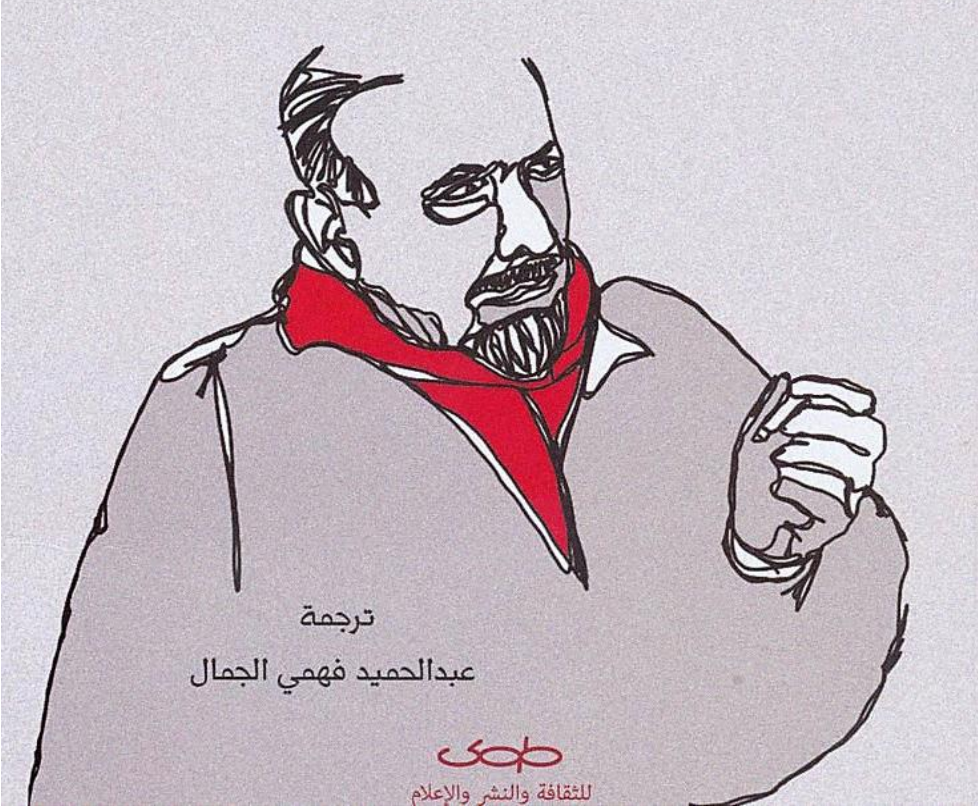
جون شتاينيك

الأوتوبيس الجامح

رواية



ترجمة

عبدالحميد فهمي الجمال

طوى
للثقافة والنشر والإعلام

جون شتاينبك

الأتوبيس الجامح

رواية

ترجمة

عبدالحميد فهمي الجمّال

للثقافة والنشر والإعلام

جون شتاينبك: ولد في ٢٧ فبراير عام ١٩٠٢ وتوفي في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨. حصل على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٢ عن روايته «عناقيد الغضب». تميز في اختيار موضوعاته وبالشكل الروائي المتجدد دوماً في رواياته. من أهم أعماله «**كاس من ذهب**» ١٩٢٩، ثم «**سهل تورتيلا**»، «**عن الرجال والفئران**» و«**شرق عدن**» و«**المهر الاحمر**». تحولت معظم رواياته إلى أفلام سينمائية وترجمت أكثرها إلى اللغة العربية. يمثل آخر جيل من الكتاب العمالقة في الأدب الأمريكي في القرن العشرين.

Book: al otobis al jameh

الكتاب: الاتوبيس الجامح

John Steinbeck

ترجمة: عبدالحميد فهمي الجمّال

Translated By: Abdulhameed Aljammal

First Edition: 2015

الطبعة الأولى ٢٠١٥



للثقافة والنشر والإعلام

طوى للثقافة والنشر والإعلام ـ لندن

TUWA MEDIA & PUBLISHING LIMITED

19 TANFIELD AVENUE, LONDON, NW2, UNITED KINGDOM

Tel: 00966210811 1 - 00966505481425

Email: Tuwa.pub@gmail.com

التوزيع: منشورات الجمل

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

ISBN 978-9933-35-219-6

الفصل الأول

على مسافة ٤٢ ميلاً أسفل «سان يسيدرو» وعلى طريق رئيسي في كاليفورنيا يتجه من الشمال للجنوب يوجد مفرق طرق ظل يسمى «ريبيل كورنرز» لفترة تقرب من ثمانين عاماً. ومن هذا المفرق يتفرع طريق فرعي إقليمي بزاوية قائمة نحو الغرب إلى أن يلتقي بعد ٤٩ ميلاً مع طريق رئيسي آخر يتجه من الشمال إلى الجنوب ويربط بين سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس ماراً بهوليوود بالطبع، فكل من يرغب في الذهاب من الوادي في الداخل إلى الساحل في هذا الجزء من الولاية يضطر لأن يسلك هذا الطريق الذي يبدأ من ريبيل كورنرز ويتعرج مخترقاً تلالاً وجزءاً صغيراً من الصحراء وماراً بأراض زراعية وجبال إلى أن يصل أخيراً إلى الطريق الرئيسي الساحلي في منتصف مدينة «سان جوان دي لاكروز» تماماً.

وقد أطلق على مفترق الطرق هذا اسم ريبيل كورنرز في عام ١٨٦٢. ويقال إن عائلة تسمى بلانكين قد احتفظت لنفسها بدكان حدادة عند هذا المفترق. وكان أفراد تلك العائلة وأصهارهم فقراء وجهلاء ومتكبرين وكنتاكيين يميلون للعنف. ولأنهم كانوا لا يمتلكون أثاثا ولا عقارات فقد أحضروا معهم من الشرق ما علق بأذهانهم من تعصب وحيل سياسية. ورغم أنهم كانوا لا يمتلكون عبيدا فإنهم كانوا على استعداد لأن يضحوا بحياتهم في سبيل الإبقاء على مبدأ العبودية. وعندما بدأت الحرب ناقش

أفراد عائلة بلانكين مسألة سفرهم عائدين عبر الغرب الذي لا حدود له للقتال من أجل الاتحاد الفيدرالي ولكنه كان طريقاً طويلاً وبعيدا للغاية وسبق لهم ان عبروه مرة. وأخذت أسرة بلانكين من الاتحاد مائة وستين فداناً ودكان حدادة وألحقوا بلانكين كورنرز بالكيان الفيدرالي. ويقال أيضاً إنهم حفروا الخنادق وصنعوا كوّات البنادق في دكان الحدادة للدفاع عن هذه المنطقة المنعزلة الثائرة ضد البانكي سكان الأماكن الشمالية في أمريكا. وكانت غالبية البانكي من المكسيكيين والألمان والأيرلنديين والصينيين وكانوا لا يميليون إلى الهجوم على البلانكيين بل وكانوا فخورين بهم بعض الشيء. ولم يعرف البلانكيين رغد العيش لأن العدو كان يحضر الدواجن والبيض والسجق المصنوع من لحوم الخنزير في أوقات الذبائح ولأن كل فرد رأى أنه ينبغي الاعتراف بمثل هذه الشجاعة بغض النظر عن القضية. وأخذ مكانهم اسم «ريبيل كورنرز» واحتفظ بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها أصبح البلانكيين كسالى دائبي العراك والخصام مع بعضهم البعض وامتلأت قلوبهم بالبغض والشكاوى شأنهم في ذلك شأن كل طائفة منهزمة حتى إن الناس كفوا عن إحضار خيولهم لعمل حدوات لها وامتنعوا عن إحضار محاريثهم لإصلاحها بعد أن تبخر الاعتزاز بهم مع انتهاء الحرب وأخيراً فإن ما لم تستطع أن تفعله جيوش الاتحاد بقوة السلاح قام به البنك الاهلي الأول في سان يسيدرو بنزع ملكية الأراضي المرهونة.

والآن، وبعد نحو ثمانين عاماً لا أحد يذكر الكثير من البلانكيين فيما عدا أنهم كانوا متكبرين بغيضين إلى النفس. وفي السنوات التي توالت انتقلت ملكية الأرض من شخص لآخر مرات عديدة قبل أن تصبح جزءاً من امبراطورية أحد ملوك الجرائد. واحترق دكان الحدادة وأعيد بناؤه ثم

احترق مرة أخرى. وما تبقى منه تم تحويله إلى كراج ومضخات بنزين ثم تحول بعدئذ إلى دكان، مطعم ـ كراج ومحطة خدمة السيارات. وعندما اشتراه جوان شيكوي وزوجته وحصلا على ترخيص بتسيير خط للنقل العام بين ريبيل كورنرز وسان جوان دي لاكروز أصبح يضم كل هذه الأمور بالإضافة إلى كونه محطة أتوبيس أيضاً. ولقد اختفى البلانكيين من على وجه الأرض بسبب الكبرياء وقدر كاف من الإهانات الوضيعة التي هي معيار الجهل والكسل، ولا أحد يتذكر الشكل الذي كانوا عليه. ولكن ريبيل كورنرز معروف وشهير وشيكوي وزوجته ينالان الكثير من الرضا والحب.

وكان يوجد مطعم صغير خلف مضخات البنزين، مطعم به كافتريا وكراسي مستديرة مثبتة بدون مسند للظهر وبه ثلاث مناضد من أجل ذلك لم تكن تستخدم غالبا؛ إذ جرت العادة على إعطاء بقشيش للمدام شيكوي عندما تقدم لك ما تطلب عند المنضدة وليس الأمر كذلك إذا قدمت لك ما تطلب عند الكاونتر. وعلى الرف الأول خلف الكاونتر كانت توجد الأقراص والقواقع الحلزونية ولقمة القاضي الحلوة المذاق، وعلى الرف الثاني كانت توجد معلبات الحساء والبرتقال والموز، وعلى الرف الثالث صناديق تحوي خبزا رقيقا من القمح ورقائق رفيعة من الأرز وحبات العنب وحبوب أخرى مطحونة، وكانت توجد شواية في أحد الأطراف خلف الكاونتر وبجانبها حوض للغسيل وبجانب ذلك صنابير البيرة والصودا، ووحدات الآيس كريم بجانب ذلك، وعلى نفس الكاونتر وبين صناديق ورق السفرة وفتحات صندوق العملة والملح والفلفل والصلصة وكانت جدران المطعم مزدانة بالتقاويم وملصقات الحائط التي تعرض صورا لفتيات لا مثيل لهن في الحياة اليومية من حيث الصدور الناهدة والأرداف غير الممتلئة ـ شقراوات وسمراوات

وذوات الشعر الأحمر ولكن دائماً مع هذا النمو في الصدر حتى إن أي زائر من أجناس أخرى قد يتصور ـ بسبب اهتمامات الفنان والنظارة ـ أن بؤرة التناسل موضوعة في الثديين.

وكانت «أليس شيكوي» وهي زوجة جوان شيكوي تعمل بين الفتيات المتألقات. وكانت عريضة الأرداف متهدلة الثديين وكانت تسير ملقية بثقلها إلى الخلف على عقبيها. وهي لم تكن غيورة على الإطلاق من فتيات التقويم وفتيات إعلانات الكوكا كولا لأنها لم تشاهد أبداً أية فتاة مثلهن وكانت تعتقد أنه لا يوجد شخص آخر لم يشاهد مثلهن، وكانت تقلي البيض وشرائح لحم الخنزير وتسخن حساء المعلبات وتسحب البيرة وتغرف الآيس كريم ولدى حلول المساء كانت تشعر بالألم في قدميها مما كان يجعلها حادة المزاج مع الميل إلى الشراسة. ومع انقضاء النهار تضيع خصلة الشعر المنبسطة من شعرها لدرجة أنها تتعلق مبللة ومسرحة بجانب وجهها. وهي في بادئ الأمر قد تمشطها بيدها على جانب وأخيراً قد تزيحها بعيداً عن عينيها.

وإلى جانب المطعم كان يوجد كراج متحول عن دكان الحدادة الاخير. وكان سقفه وعروقه الخشبية ما زالت مسودة بسبب السخام الناتج عن مصهر الحدادة القديم، وهنا كان جوان شيكوي يقوم بدور المشرف على العمل في الفترات التي لا يقود فيها الأتوبيس بين ريبيل كورنرز وسان جوان دي لاكروز، وكان جوان شيكوي رجلا لطيفا يمتاز بالثبات ويجمع بين الدماء المكسيكية والايرلندية ويبلغ من العمر نحو خمسين عاماً، له عينان سوداوان صافيتان وراس غزير الشعر ووجه مكفهر ووسيم. وكانت مدام شيكوي تحبه حبا جنونيا وتخشاه أيضاً بعض الشيء لأنه كان رجلا ولا يوجد الكثير من الرجال وهذا الأمر قد اكتشفه أليس شيكوي: لا يوجد الكثير منهم في العالم وهذا ما يكتشفه كل فرد ان عاجلا أو آجلا.

وفي الكراج كان جوان شيكوي يقوم بنفخ إطارات السيارات التي يتسرب منها الهواء وتصريف الهواء الذي تسرب إلى مواسير البنزين وتنظيف الكربوريتور من الاتربة التي علقت وتحجرت به وتركيب رداخات جديدة في طلمبات البنزين التالفة علاوة على القيام بالأمور الأخرى البسيطة التي يعرفها جمهور الميكانيكا. كل هذه الأمور كان يقوم بها أثناء النهار باستثناء الفترة من العاشرة والنصف حتى الرابعة فتلك هي الفترة التي كان يقود فيها الأتوبيس مقلّاً المسافرين الذين نزلوا في ريبيل كورنرز من الأتوبيسات «الجريهاوند» الضخمة إلى سان جوان دي لاكروز حيث يستأنفون سفرهم بالأتوبيس الجريهاوند المتجه شمالاً في تمام الساعة الرابعة والدقيقة السادسة والخمسين أو بالأتوبيس الجريهارند المتجه جنوبا في تمام الساعة الخامسة وسبع عشرة دقيقة.

وفي الفترة التي كان يقود فيها المستر شيكوي الأتوبيس كان يقوم بواجباته في الكراج عدد متتابع من الصبية أو الشبان غير الناضجين الذين هم مجرد صبية تحت التمرين. ولم يكن أحد منهم يستمر في العمل لفترة طويلة. ولم يكن الزبائن المتهورون الذين يعانون من اتساخ الكربوريتور. وبينما كان جوان شيكوي نفسه ميكانيكيا رائعاً كان صبيانه عادة من المراهقين المغرورين الذين يمضون وقتهم ما بين وضع ماركات معدنية في صندوق الفوتوغراف الموجود في قاعة الطعام والشجار الخفيف مع أليس شيكوي. وبالنسبة لهؤلاء الشبان كانت الفرصة تلوح دائماً لجذبهم غربا نحو لوس أنجلوس وبالطبع نحو هوليوود حيث يتجمع في النهاية جميع المراهقين في العالم.

وخلف الكراج كان يوجد بناءان صغيران ملحقان بالمبنى الرئيسي لهما عريشتان مكتوب على إحداهما كلمة «سيدات» ويؤدي إلى كل منهما ممر صغير أحدهما حول الجانب الأيمن للكراج والاخر حول الجانب الأيسر منه.

وكانت أشجار البلوط البيض العظيمة التي تنمو حول الكراج والمطعم هي التي تحدد مكان ريبيل كورنرز وتجعله واضحا للعيان على بعد أميال بين الحقول المنزرعة. فقد كانت طويلة وباسقة وبجذوعها وأطرافها السود خضر مشرقة في الصيف وسود متلبدة في الشتاء. وكانت أشجار البلوط هذه بمثابة علامات على الطريق في الوادي الطويل المنبسط. ولا أحد يعرف ما إذا كان البلانكيين هم الذين غرسوها أو ما إذا كانوا قد استقروا بالقرب منها فقط. ويبدو ان الاحتمال الأخير هو المنطقي بشكل أكبر، أولاً لأن البلانكيين لم يُعرف عنهم انهم يزرعون أي شيء لا يأكلونه، وثانيا لأن العمر الزمني يزيد على ثمانين عاماً على ما يبدو. وقد يكون عمرها الزمني ٢٠٠ عام وقد تكون جذورها قد نمت في أحد ينابيع المياه الجوفية مما جعلها تنمو بسرعة في هذه المنطقة شبه الصحراوية.

وكانت هذه الأشجار العظيمة تلقي بظلالها على المحطة في فصل الصيف حتى ان المسافرين غالبا ما كانوا يتوقفون بسياراتهم تحتها ويتناولون غذاءهم ويبردون موتورات سياراتهم التي تزايدت سخونتها. وكانت المحطة ذاتها بهيجة لطيفة أيضاً ومطلية بطلاء لامع باللونين الأخضر والاحمر، صف عميق من نباتات الخبيزة الافرنجية حول المطعم من جميع الاتجاهات خبيزة أفرنجية حمراء اللون وأوراق خضر قاتمة كثيفة كالسياج. وكان الحصى الأبيض أمام وحول مضخات البنزين ينشر ويسوى يوميا. وفي المطعم وفي الكراج كان يسود النظام والترتيب. مثال ذلك ان معلبات الحساء وصناديق الحبوب بل والكريب فروت كانت مرتبة على الرفوف في المطعم على شكل أهرامات صغيرة، أربعة على مستوى القاعدة ثم ثلاثة ثم اثنتين وواحدة متوازنة على القمة. وكان نفس هذا النظام ينطبق على علب الزيت في الكراج كما كانت سيور

المروحة معلقة طبقا لأحجامها على مسامير. وكان المكان يلقى عناية واهتماما إلى حد بعيد. فنوافذ المطعم كانت مزودة بشبكة من السلك لمنع دخول الذباب كما كان الباب المزود بشبكة من السلك يغلق تلقائيا عقب كل دخول أو خروج. لأن أليس شيكوي كانت تكره الذباب، فقد كان الذباب هو العبء الأخير المرهق الملقى على كاهل أليس شيكوي في عالم لم يكن من السهل عليها ان تتحمله أو تفهمه. إذ كانت تكره الذباب كراهية شديدة وكان موت ذبابة بضرابة الذباب أو اختناقها ببطء في المادة اللزجة بورق الذباب يعطيها لذة مثيرة.

ومثلما كان لجوان عادة أعداد متتابعة من الصبية الصغار لمساعدته في الكراج كانت أليس أيضاً تستأجر عدداً متتابعاً من الفتيات لمساعدتها في قاعة الطعام. وهؤلاء الفتيات كن غبيات ومغرقات في الخيال وحالمات وغير جذابات والجميلات منهن كن يغادرن المكان مع الزبائن في خلال أيام قليلة ـ وكن ينجزن القليل في مجال العمل على ما يبدو، وكن ينشرن القاذورات حولهن بملابسهن المبللة. وكن مغرمات بمجلات السينما ويتنهدن مع الفوتوغراف الكهربائي ـ وأحدث فتاة كانت لها عينان مختلطتان باللون الأحمر ورأس كئيب حزين وكانت تكتب خطابات عاطفية مطولة لكلارك جيبل. وكانت أليس شيكوي تتهم كل فتاة منهن بأنها تسمح بدخول الذباب. وقد شعرت نورما وهي أحدث فتاة ـ بوقع لسان أليس شيكوي مرات عديدة بسبب الذباب.

وكان روتين الحياة في الكورنرز في الصباح لا يتغير. فمع أول شعاع لضوء النهار أو حتى قبل دخول ضوء النهار في الشتاء إلى المطعم كانت أليس تسخن كنكة القهوة «تمثال عظيم من الفضة يشبه الإله قد يعرض في إحدى فترات التاريخ المقبلة كمعبود لأجناس الامودكينز التي اختفت من على وجه الأرض ـ وهي أجناس سابقة على أجناس عصر الذرة ـ

لسبب ما غير معروف». وكان المطعم يتميز بالدفء والبهجة عندما توقف المجموعة الاولي من سائقي اللوريات وهم متعبون لتناول طعام الافطار. وبعدئذ كان يجيء الباعة الذين بدأوا مشوارهم في الظلام متجهين إلى مدن الجنوب لكي يكون لديهم نهار كامل من العمل. وكان الباعة يعرفون دائمًا أماكن وقوف عربات النقل ويتوقفون عندها لأنه من المعتقد بوجه عام ان سائقي سيارات النقل يعرفون جيدًا أفضل الأماكن التي تقدم القهوة والطعام في الاستراحات على الطريق. ومع بزوغ الشمس كانت تتوافد الافواج الأولى من السياح بعرباتهم الخاصة لتناول الافطار والتزود بالمعلومات عن الطريق.

ولم يكن السياح الوافدون من الشمال يثيرون كثيراً شغف نورما واهتمامها. ولكن أولئك القادمون من الجنوب أو أولئك القادمون عبر الطريق المختصر من سان جوان دي لاكروز والذين ربما شاهدوا هوليوود كانوا يثيرون إعجابها. ولقد قابلت نورما شخصيا في خلال أربعة أشهر خمسة عشر شخصا ممن شاهدوا هوليوود، خمسة منهم كانوا في استوديو للتصوير السينمائي واثنان منهم شاهدوا كلارك جيبل مشاهدة العيان وجها لوجه. وبوحي من هذين الشخصين الاخيرين اللذين وصلا في وقت متقارب للغاية كتبت نورما خطابا من اثنتي عشرة صفحة بدأته بـ «عزيزي المستر جيبل» وأنهته بقولها «المخلصة المولهة في حبك: صديقة». وهي غالبا ما كانت ترتجف لدى اعتقادها ان المستر جيبل قد يكتشف انها هي التي كتبت الخطاب.

لقد كانت نورما فتاة مخلصة. وليجري الاخرون السخفاء وراء النجوم الصاعدين حديثا نحو الشهرة من أمثال فرانك سيناترا وفان جونسون وسوني تافت. وحتى في أثناء الحرب عندما لم تكن هناك أفلام لكلارك جيبل ظلت نورما مخلصة له محتفظة بحلمها دافئاً مع صورة بالالوان

للمستر جيبل وهو مرتد حلة طيران مع حزامين بهما خمسون طلقة ذخيرة على كتفيه.

وكثيراً ما كانت تسخر من انصار سوني تافت. فقد كانت تحب الرجال الأكبر سنا من ذوي الوجوه الممتعة. وهي في بعض الأحيان عندما كانت تمسح الكاونتر جيئة وذهابا بالخرقة المبللة كانت عيناها المتسعتان بالأحلام تتركزان على الباب المزود بشاشة من الأسلاك وتتقلص عيناها الشاحبتان ثم تغلقهما للحظات قصيرة وعندئذ يمكنك أن تدرك انه في تلك الحديقة السرية في رأسها قد دخل جيبل المطعم لتوه وشهق عندما رآها ووقف هنالك عند الباب وقد انفرجت شفتاه قليلاً وفي عينيه اعتراف بأن هذه المرأة هي امرأته. ومن حوله يدخل الذباب ويخرج في حرية دون اعتراض أو عقاب.

ولم يكن خيالها يسرح إلى ما وراء ذلك؛ إذ كانت نورما خجولة للغاية. وهي إلى جانب ذلك لم تكن تعرف الطريقة التي تتم بها مثل هذه الأمور. فالممارسة الحقيقية للحب في حياتها كانت مجرد سلسلة من مباريات المصارعة، مثل هذه الأمور الهدف منها ان تظل مرتدية ملابسها في المقعد الخلفي بالسيارة. ودائماً ما كانت تكسب الجولة إلى حد بعيد بمجرد التركيز العادي البسيط. وكانت تشعر ان المستر جيبل لن يفعل مثل هذه الأمور ولن يحب مثل هذه الأمور إذا سمع عنها.

وكانت نورما ترتدى ثياب الغسيل التي لها سمات محلات الناشونال دولار ولو انها كانت تمتلك بالطبع ثوبا من الساتان من أجل الحفلات. ولكنك لو دققت النظر عن كثب لوجدت باستمرار مسحة من الجمال حتى في ثياب الغسيل، أما الدبوس الفضي المكسيكى الخاص بها وهو يمثل حجر التقويم في حضارة الازاتقة فقد ترك لها طبقا لوصية خالتها

بعد أن عملت نورما كممرضة لها لمدة سبعة أشهر ولقد كانت ترغب فعلا في أن تأخذ القميص المصنوع من السيلسكين والخاتم المرصع بالفيروز واللآلئ الغريبة الشكل ولكن هذه الأشياء آلت إلى فرع آخر من الأسرة. وحصلت نورما أيضاً على مسبحة بها حبات كهرمان صغيرة. وهي لم تلبس مطلقاً الدبوس المكسيكي وحبات الكهرمان في أن واحد. وعلاوة على هذه الأشياء كانت نورما تمتلك قطعتين من المجوهرات تأخذ بالالباب تماماً وكانت تعرف انهما جميلتان للغاية. وفي عمق حقيبة سفرها الصغيرة كانت تحتفظ بخاتم زواج مكتنز بالذهب وخاتم آخر ضخم من الماس من الطراز البرازيلي وقد تكلف كلاهما خمسة دولارات، وكانت تلبسهما عندما تذهب للفراش فقط. وفي الصباح كانت تحملهما وتخبئهما في حقيبة سفرها. ولا أحد في العالم يعرف انها تمتلكهما. وعندما تذهب للفراش للنوم كانت تبرمهما ليستقرا حول الإصبع الأوسط ليدها اليسرى.

وكانت ترتيبات النوم في الكورنرز بسيطة. فخلف صالة الطعام مباشرة كان يوجد جناح ملحق بالمبنى له مظلة خشبية. وفي نهاية الكاونتر الذي يقدم عليه الطعام كان يوجد باب يؤدي إلى غرفة نوم وجلوس آل شيكوي وهي غرفة بها سرير مزدوج عليه مفرش أفغانستاني وراديو يرتكز على دعامة في الحائط وكرسيان بهما كمية كبيرة من مواد التنجيد وكنبة كبيرة من النوع الذي يمكن أن يتحول إلى سرير ـ ومجموعة هذه الأشياء تسمى طقم ـ ولمبة للقراءة من المعدن لها يرنيطة ذات زجاج أخضر مرمري. وكان باب غرفة نورما يؤدي إلى هذه الغرفة، إذ كان من رأي أليس انه ينبغي مراقبة الفتيات الصغيرات بعض الشيء وعدم السماح لهن بالتهور والانغماس في الملذات، فكان على نورما ان تمر بغرفة آل شيكوي إذا ما أرادت الذهاب إلى الحمام ـ أو عليها ان تمر من

النافذة وهذا ما كانت تفعله عادة. أما غرفة الصبي الميكانيكي فكانت بجوار غرفة آل شيكوي من الجهة الأخرى ولكن كان لها مدخل خارجي. وكان الصبي يستخدم الغرفة الصغيرة المغطاة بالعريشة والمكتوب عليها كلمة «رجال» خلف الكراج.

لقد كانت مجموعة من الأبنية الجميلة المرتبطة مع بعضها البعض. كان الريبيل كورنرز أيام البلانكيين مكاناً تعيساً قذراً مريباً ولكن شيكوي وزوجته ازدهرا هنا فقد كانت هناك أموال في البنك بالإضافة إلى قدر من الأمن والسعادة.

وكان من السهل رؤية هذا المكان المنعزل المغطى بالأشجار الضخمة على بعد أميال. لذلك لم يضطر أحد على الإطلاق ان ينظر إلى علامات الطريق الارشادية للعثور على ريبيل كورنرز والطريق المؤدى إلى سان جوان دي لاكروز. ففي الوادي العظيم كانت حقول القمح منبسطة وممتدة نحو الشرق إلى سفوح التلال ثم إلى الجبال الشاهقة، وكانت تنتهي من جهة الغرب على مسافة قريبة عند التلال المستديرة حيث أشجار البلوط المليئة بالحياة قابعة في بقعة سوداء غير منتظمة. وفي الصيف كانت الحرارة والسخونة الصفراء تومض وتحرق وتلمع فوق التلال الحارقة فكانت ظلال الأشجار العظيمة فوق «الكورنرز» شيئاً يتطلع إليه الإنسان ويتذكره. أما في الشتاء عندما كانت تتساقط الأمطار الغزيرة كان المطعم مكاناً دافئاً لتناول القهوة والفلفل الأحمر والفطائر المحشوة.

وفي أوج الربيع عندما كان العشب أخضر فوق الحقول وعلى سفوح التلال وعندما كانت أشجار الترمس والخشخاش تضفي الوانا رائعة زرقا وذهبية على أديم الأرض عندئذ لم يكن هناك مكان أكثر جمالا على وجه الأرض. وكان جماله من النوع الذي لا يمكن أن تتجاهله بسبب

الاعتياد عليه، إذ كان يأسرك من الحلق في الصباح ويعطيك آلام المتعة في فم المعدة عندما تغرب عليه الشمس. فالرائحة الذكية لنباتات الترمس والأعشاب كانت تجعل المرء يتنفس بصعوبة بل ويكاد يلهث جنسيا. وفي ذلك الوقت من فصل الازهار والنمو وقبل بزوغ ضوء النهار خرج جوان شيكوي إلى الأتوبيس حاملا فانوسا كهربائيا وسار وراءه بيميلز كارسون صبي الميكانيكي الذي يعمل معه متعثرا في خمول وكسل.

وكانت نوافذ صالة الطعام ما زالت مظلمة. وعلى التلال الشرقية لم تكن حتى الألوان الرمادية قد تكونت. وكان قدر كبير من الليل مهيمنا حتى ان طيور البوم كانت ما تزال تنعق فوق الحقول. واقترب جوان شيكوي من الأتوبيس الواقف أمام الجراج. وكان الأتوبيس تحت ضوء الفانوس يشبه بالونا كبيراً له نوافذ فضية. وكان بيريلز كارسون الذي ما زال في الحقيبة غير مستيقظ يقف مرتعشا وقد وضع يديه في جيبيه لا لأن الجو كان بارداً ولكن لأنه كان غارقا في النوم.

وهبت نسمة على الحقول وحملت معها رائحة الترمس ورائحة الأرض التي تبشر بالإنتاج السريع.

الفصل الثاني

كان الفانوس الكهربائي بقبعته التي تعكس الضوء لأسفل، يضيء بشدة على السيقان والأقدام وجذوع الأشجار القريبة من الأرض. وكان يتحرك حركات سريعة قصيرة في تأرجح لأعلى ولأسفل. وكانت لمبته تتألق بالضوء الأبيض الأزرق الذي يؤذي البصر. وحمل جوان شيكوي فانوسه إلى الكراج واستخرج حزمة من المفاتيح من جيب الأفرول الذي يرتديه وعثر على المفتاح الخاص بالقفل وفتح الأبواب العريضة وأضاء اللمبة الكهربائية المتدلية من السقف فوق الرؤوس ثم أطفأ فانوسه.

والتقط جوان طاقية مخططة من النوع الذي يرتديه الميكانيكيون من فوق نضد العمل وارتدى أفرول هيدلايت به أزرار كبيرة من النحاس الاصفر فوق المريلة والعروات الجانبية وارتدى فوق الأفرول جاكيت من جلد حصان أسود محاكة به أسورتان سوداوتان ورقبة سوداء. أما حذاؤه فكان من النوع الشديد الصلابة المستدير من الأمام وذا نعل سميك للغاية حتى انك تحسبه متورما. وكانت هناك ندبة غائرة قديمة على خده بجوار أنفه الكبير فظهرت كالظل تحت الضوء المتدلي من السقف. وجرى بأصابعه بين شعره الكثيف الأسود لتجميعه كله تحت طاقية الميكانيكي التي يلبسها. وكانت يداه قصيرتين وعريضتين وقويتين وذات أصابع مربعة مفطحة بسبب العمل وبها تشققات والتواءات لما وقع عليها من ضربات المطرقة وما أصابها من جروح. ولقد فقد العقلة الأولي للإصبع الوسطى من يده اليسرى فنما اللحم قليلاً في مكان القطع

كالكرة الصغيرة وكانت هذه الكرة متدلية ولامعة ولها نسيج مختلف عن باقي نسيج الإصبع كما لو أن العقلة كانت تحاول أن تصبح رأساً للإصبع. وعلى هذا الإصبع كان يلبس خاتم زواج عريض من الذهب كما لو ان هذا الإصبع لم يعد يصلح للعمل وينبغي ان يستخدم للزينة.

وكان يتدلي من فتحة صغيرة من مريلة الأفرول قلم رصاص ومسطرة ومقياس لقياس الضغط في إطارات السيارات. وكان جوان شيكوي حليق اللحية والشارب ولكن ليس منذ الأمس. وعلى طول جوان بذقنه وعلى رقبته كانت السوالف المقبلة التي يعلوها الشيب واللون الأبيض تشبه سوالف كلب عجوز من نوع الايرديل. وكان هذا ظاهرا بشكل واضح لأن بقية ذقنه كانت شديدة السواد. وكانت عيناه السوداوان تحولان بشكل فكاهي بنفس الطريقة التي تصاب بها عينا رجل بالحول عندما يدخن سيجارة ولا يتمكن من أخذها من فمه. وكان فم جوان ممتلئاً وحسناً: فم مسترخ وشفته السفلي منفرجة قليلاً ليس في مشاكسة وحدة مزاج ولكن في مزاج وثقة بالنفس وشفته العليا جميلة باستثناء الجانب الأيسر منها حيث كانت توجد ندبة غائرة يغلب عليها اللون الأبيض مما يتعارض مع اللون الأحمر الوردي للشفة. ولابد ان الشفة قد قطعت بالطول من أولها لآخرها فأصبح هذا الشريط الرفيع المشدود الأبيض اللون تشويها لكمال الشفة وامتلائها إذ جعلها تتكوم في ثنيات صغيرة على كلا الجانبين. ولم تكن أذناه كبيرتين للغاية ولكنهما كانتا تطلان بشدة من رأسه مثل أصداف البحر، أو كانتا في الوضع الذي يمسك بهما رجل بيديه إذا أراد أن يسمع بوضوح أكثر. لذلك كان جوان يبدو وكانه ينصت بعمق في جميع الاوقات. بينما تبدو عيناه المصابتان بالحول كانهما تضحكان مما سمع، في حين ان نصف فمه يبدو كأنه لا يوافق. وكانت حركاته توحي بالثقة حتى عندما كان لا يفعل أي شيء يتطلب الثقة واليقين. وكان يسير كما لو كان يقصد مكاناً ما محدداً.

وكانت يداه تتحركان في سرعة ودقة ولم يحدث أبداً ان تحركت يداه حركات لا هدف منها مثل العبث بعيدان الثقاب أو بالأظافر وكانت أسنانه طويلة وأطرافها مغطاة بالذهب مما كان يعطي ابتسامته قدراً ضئيلاً من الوحشية.

وعند منضدة ورشته التقط بعض الأدوات المعلقة على مسامير في الحائط ووضعها في صندوق طويل مستو: مفاتيح وزراديات ومفكات ومثاقيب وشواكيش وخرامة. وكان بيميلز كارسون واقفاً إلى جواره وهو ما زال متثاقلا بالنوم وكان مرتكزاً بمرفقه على منضدة الورشة المشبعة بالزيوت. وكان بيميلز يرتدي سويتر لأحد نوادي الدراجات البخارية وقبعة من لباد شرشر عند الأطراف. لقد كان صبيا هزيلا ذا خصر نحيل ويبلغ من العمر سبعة عشر عاماً وكان ضيق الاكتاف ذا أنف ثعلبي طويل وكانت عيناه الشاحبتان في الصباح تتخذان اللون البني، الأخضر فيما بعد أثناء النهار وعلى خديه كان يوجد زغب ذهبي اللون وكان خداه متشققين مكتنزين متآكلين بسبب البثور وحب الشباب. ومن بين الندبات القديمة كانت تتكون بثور جديدة قرمزية وحمر ينمو بعضها ويتفاقم. والبعض الآخر يذبل ويضمحل. وكانت بشرته لامعة بسبب الادوية التي كانت تباع لعلاج هذه الحالة ولا تأتي بالنتيجة المرجوة على الإطلاق.

وكانت البلوجينز التي يرتديها بيميلز ضيقة وطويلة للغاية حتى انها كانت مطوية من أسفل عشر بوصات. وكانت موثقة بخصره النحيل بواسطة حزام عريض من الجلد له مشبك جميل ومزود بابزيم من الفضة سميك ومنقوش ومرصع بأربعة فصوص من الفيروز. وكان بيميلز يضع يديه في وسطه بقدر الامكان ولكن أصابعه قد تتحرك رغما عنه إلى خديه المليئين بالبثور وما ان يتنبه إلى ما تفعله يداه حتى ينزل يديه مرة ثانية. ولقد كتب خطابات إلى كل شركة أعلنت عن علاج لحب الشباب كما ذهب إلى العديد من الأطباء الذين كانوا يدركون انهم لن يتمكنوا

من شفاء هذه الحالة ولكنهم كانوا يعرفون أيضاً انه من المحتمل ان تندثر البثور وتتلاشى خلال سنوات قليلة. وهم مع ذلك كانوا يعطون بيميلز روشتات مكتوب بها المراهم والدهانات وانواع الغسول ونصحه أحدهم بتناول الكثير من الخضراوات الطازجة غير المطبوخة.

وكانت عيناه طويلتين وضيقتين ومنحرفتين مثل عيني ذئب نائم. وفي هذا الصباح المبكر كانت عيناه شبه مغلقتين بالمواد المخاطية. وكان بيميلز يعشق النوم الكثير إلى حد بعيد. فهو إذا ما ترك له العنان لينفذ حيله وتدابيره فإنه ينام كل الوقت تقريبا. وكان جسده وروحه أرضاً لمعركة عنيفة من معارك المراهقة. فقد كان يموج دائماً بالرغبة الجنسية العارمة وعندما لا تأخذ هذه الرغبة طابعا لاجنسيا بطريقة مباشرة وعلنية فإنها تنزع إلى المناخوليا والمشاعر العميقة الممزقة أو إلى حالة من التدين القوي الذي تنبعث منه رائحة المسك والعطر. وكان عقله وعواطفه مثل وجهه من حيث دوام الانفجار والتهيج. وكان يشهد أوقاتاً من العفة والطهارة عندما كان يثور على فساده وفجوره. وعادة ما كان يعقب حالات الفساد والفجور كسل ممزوج بالجنون الصامت مما كان ينهك قواه وعندئذ كان ينتقل من حالة الهم وانقباض النفس إلى النوم العميق. وكانت هذه الحالة تجعله مخدرا ومتبلدا لفترة طويلة.

وفي ذلك الصباح كان يلبس في قدميه حذاء ماركة اكسفورد ذا لونين: بني وأبيض بإصبع بدون جورب. وكان رسغاه ظاهرين تحت البلوجينز المطوية وكان لونهما مختلفا بسبب القذارة والاتساخ. فهو في فترات الهم وانقباض النفس يكون منهك القوى إلى الحد الذي لا يستطيع معه الاستحمام أو حتى تناول كمية كبيرة من الطعام. ولم تكن قبعته التي تحز بقوة في البشرة من أجل الوسامة وحسن المنظر ولكنها كانت تعينه على أبعاد شعره الطويل البني الفاتح عن عينيه وأبعاد الشحوم والزيوت عن شعره أثناء عمله تحت السيارات. ولقد وقف في

ذلك الصباح يرقب في غباء جوان شيكوي وهو يضع الآلات في صندوقه بينما راح عقله يتمرغ في سحب متلبدة كثيفة من النوم وهي سحب تكاد تعرضه للمرض بسبب قوتها.

وقال جوان «أوصل مصباح الشغل بالسلك الطويل. حرك نفسك يا بيميلز. أسرع الآن واستيقظ».

وبدأ على بيميلز انه يهز نفسه كما يفعل الكلب. وقال موضحاً «يبدو انني لا أستطيع التيقظ والتخلص من النوم». «حسناً اخرج المصباح إلى هناك واخرج لوحتي الخشبية فقد آن لنا ان نذهب الآن».

فالتقط بيميلز المصباح اليدوي المغلف بشبكة من السلك لحماية زجاجه وبدأ يفك الكابل الثقيل المغلف بعازل من المطاط من حول مقبض المصباح ثم أوصل السلك بفيشة الكهرباء القريبة من الباب فقفز الضوء متألقا من المصباح اليدوي. ورفع جوان صندوق الآلات الخاص به وخرج من الباب ونظر إلى السماء المعتمة. لقد طرأ تغيير على الهواء. فقد ظهرت ريح خفيفة محركة الأوراق الحديثة في أشجار البلوط ومحدثة حركة بسيطة بين نباتات الخبيزة الافرنجية. لقد كانت ريحا متقلبة منذرة بالمطر. فوقف جوان يشمها كما لو كان يشم زهرة.

وقال «يا إلهي.. لو أمطرت سيكون المطر غزيرا مدرارا».. وكانت قمم الجبال في اتجاه الشرق قد بدأت تظهر معالمها مع بزوغ الفجر. وخرج بيميلز حاملاً مصباح اليد المضيء ونشر الكابل خلفه على الأرض فظهرت الأشجار العظيمة في وضوح بينما انعكس الضوء على الأوراق الخضر/ الصفر لأشجار البلوط الجديدة الصغيرة. وأخذ بيميلز مصباحه إلى الأتوبيس وطفق راجعاً إلى الكراج لإحضار اللوح الخشبي الطويل ذي العجلات المثبتة من أسفل والذي يسمح للإنسان بالاستلقاء عليه وتحريك نفسه من مكان لآخر أثناء العمل تحت السيارة. وألقى باللوح على الأرض بجانب الأتوبيس.

وقال «حسناً. يبدو أنها ستمطر. انها تمطر سنوياً في مثل هذا الفصل من كل عام».

فقال جوان «إنني لا أشكو من هذا الفصل ولكني أشكو من هذا الترس المراد إصلاحه بينما المسافرون منتظرون والأرض تكون مثل العجين بفعل المطر».

وقال بيميلز «المطر يؤدي إلى ظهور الأعشاب الجيدة للماشية» فتوقف جوان عن العمل ونظر نحوه وقد تجعدت عيناه في لهو وتسلية وقال «أكيد. من المؤكد أنها تفعل ذلك» فأشاح بيميلز بوجهه في خجل وارتباك.

وكان الأتوبيس مضاء آنئذٍ بالمصباح اليدوي وبدا عجيبا لا حول له ولا قوة، ففي مكان العجلات الخلفية كان يوجد حصان ان ثقيلان من الخشب وبدلاً من ان ترتكز مؤخرة الأتوبيس على محاور العجل فإنها كانت ترتكز على أربعة في أربعة ممتدة من حصان لآخر.

لقد كان أتوبيسا قديماً به محرك ذو أربعة أسطوانات ضغط منخفض بفتيس حديث مما كان يعطيه خمسة سرعات للأمام بدلاً من ثلاثة اثنتان منهم تحت معدل السرعة المتوسطة واثنتان فوق معدل السرعة المتوسطة. وكانت الجوانب البالونية للأتوبيس ثقيلة ولامعة بسبب طلاء الالمونيوم. ولكنها مع ذلك كانت تظهر النتوءات والالتواءات والتحطيم والخدوش مما يدل على أن له تاريخا طويلاً حافلا بالعنف. فالطلاء اليدوي لسيارة قديمة يجعلها تبدو أكثر قدماً وأشد رادءة عما لو تركت على حالتها الطبيعية بما في ذلك من صدأ يبعث على التكريم والاحترام.

ولقد أعيد بناء الأتوبيس من الداخل أيضاً. فالمقاعد التي كانت في يوم ما منسوجة من قش الخيزران قد جرى تنجيدها بقماش مشمع أحمر اللون. ومع ان هذه العملية قد تمت بطريقة انيقة ونظيفة فإنها لم تتم

بطريقة حرفية فنية. فقد كان الجو يموج برائحة حمضية خفيفة منبعثة من القماش المشمع بالإضافة إلى رائحة الزيت والبنزين التي تنفذ بشكل واضح. لقد كان أتوبيسا قديماً للغاية وشهد رحلات عديدة وصعاب كثيرة. كانت أرضيته المصنوعة من خشب البلوط مقورة ولامعة بفعل أقدام المسافرين وكانت جوانبه منثنية ثم قومت وأصلح من شانها. أما نوافذه فكان يصعب فتحها نظرا لأن هيكله بأكمله قد تعرض للتلف مما غير في شكله. فكان جوان ينزع النوافذ في الصيف ثم يقوم بتركيبها مرة أخرى في الشتاء.

وكان التمزق في مقعد السائق قد وصل في العمق إلى السوست اللوليبة ولكن كانت توجد مخدة ذات قماش شيت وردي في المكان الممزق لتحقق هدفا مزدوجا. حماية السائق وإبقاء السوست اللولبية لأسفل. وفي أعلى الزجاج الأمامي للأتوبيس كانت تتدلي الأشياء المقدسة: حذاء طفل رضيع ـ وذلك من أجل الحماية لأن القدم المتعثرة لطفل رضيع تتطلب العون المستمر من الله، وقفاز ملاكمة صغير للغاية. وذلك من أجل القوة، قوة قبضة اليد على عجلة القيادة وقوة البستم (المكبس) في دفع الذراع بين المكبس والكرنك، وقوة الإنسان من حيث هو فرد مسؤول وفخور. وكانت تتدلي عند الزجاج الأمامي للأتوبيس دمية من البلاستيك في شكل عروسة لها غطاء للرأس من ريش النعام الأحمر الزاهي وترتدي ساريا هنديا مثيرا. وكانت هذه الدمية من أجل ملذات الجنس والعين والأنف والاذن. وعندما يكون الأتوبيس في حالة حركة فإن هذه الأشياء المعلقة تدور وتتحرك وتتأرجح أمام عيني السائق.

وعند منتصف الزجاج الأمامي للأتوبيس وفوق المرآة الداخلية مباشرة كان يوجد تمثال صغير معدني لعذراء جاداليوب مطلية بألوان زاهية ولها أشعة ذهبية ورداء أزرق اللون وتقف على هلال يرفعه ملائكة. وكان هذا

التمثال هو ما يربط جوان شيكوي بالابدية والخلود. فقد كانت علاقته بالدين بسيطة من حيث ارتباط الدين بالكنيسة والعقيدة كما كانت علاقته بالدين قوية من حيث إن الدين ذكرى ومشاعر. فهذه العذراء السوداء كانت بمثابة أمه وبمثابة البيت المعتم الذي ربته فيه والدته التي كانت تتحدث الإسبانية بلهجة أيرلندية. لأن أمه قد اتخذت من عذراء جاداليوب آلهة لها. فقد خرج من فؤادها القديس باتريك والقديس بريدجيت والعشرة آلاف عذراء الشاحبات اللون المنتميات «للشمال» ونفذت إلى كيانها هذه العذراء السوداء التي تسري الدماء في عروقها والتي لها علاقة وطيدة بالناس.

لقد أعجبت أمه بهذه العذراء السوداء الخاصة بها والتي يحتفل الناس بعيدها بإطلاق الصواريخ الملونة إلى عنان السماء. وبالطبع لم يفكر والد جون شيكوي المكسيكي في هذا الأمر بطريقة أو بأخرى. فمن يظن غير ذلك؟ فمن الواضح ان الأنبوبة الصاعدة ذات الأزيز كانت الروح الصاعدة إلى الله أما الفرقعة الهائلة المتوهجة عند القمة فهي الدخول الدرامي إلى قاعة عرش الاله. ومع ان جوان شيكوي غير مؤمن بالارثوذكسية ـ وقد بلغ آنئذٍ من العمر خمسين عاماً، فإنه قد يشعر بالقلق لو انه قاد الأتوبيس بدون جودالوبانا لترقبه وترعاه في عناية. فقد كان دينه من النوع العملي.

وتحت العذراء كان يوجد صندوق هو في الأصل صندوق قفاز وفي هذا الصندوق كان يوجد مسدس ماركة سميث ويسون عيار ٤٥ كما كان يوجد به زجاجة صبغة يود وأربطة وزجاجة لافاندر لها رائحة الاملاح ونصف لتر غير مفتوح من الويسكي. فوجود هذه الأشياء كان يعطي جوان شعوراً بالثقة والمقدرة على مواجهة معظم المواقف.

وكان الاصدام الأمامي للأتوبيس به عبارة ما زال بالإمكان قراءتها بصعوبة «قوة المسيح العظمى» ولكن هذه العبارة كان قد كتبها أحد

ملاك الأتوبيس السابقين أما الآن فقد كتبت في جرأة الكلمة البسيطة «سويت هارت» على الاكصدام الأمامي والخلفي.

ثم عرف الأتوبيس باسم «سويت هارت» بين كل من عرفوه. وكان الأتوبيس آنئذٍ غير قادر على الحركة فعجلاته الخلفية مرفوعة ومؤخرته مصوبة لأعلى في الهواء ومرتكزة على أربعة × أربعة بين حصانين من الخشب.

وأخذ جوان شيكوي الترس الخلفي الجديد وبعض التروس الصغيرة وراح يدحرجها مع بعضها البعض في حرص وعناية وقال ليميلز «قرب الضوء ولف الترس الصغير لفة كاملة. أذكر اننى ذات مرة وضعت ترساً خلفياً صغيراً جديداً على ترس صغير قديم وسارت الأمور على ما يرام».

فقال بيميلز «من المؤكد ان التروس المتآكلة تحدث صوتاً وهو صوت كأنه ينبعث من باطن الأرض نحوك ليهاجمك. وما الذي كسر تلك السنة فيما تظن؟».

فأمسك جوان الترس الخلفي بالعرض أمام الضوء وأدار الترس الصغير في بطء وفحص تواؤم كل سنة مع غيرها أثناء الدوران وقال «لا أدري. فهناك أمور لا يعرفها أحد عن المعادن وعن الماكينات أيضاً. خذ مثلا: فورد، ان شركة فورد إذا أخرجت للسوق مائة سيارة تكون اثنتان منها أو ثلاثة غير سليمة بالمرة. بمعنى انه لا يوجد شيء واحد فقط غير سليم بالسيارة ولكن السيارة بأسرها تكون غير سليمة: السست والموتور ومضخة المياه والمروحة والكربوريتور. وهي تضعف وتتخاذل تدريجيا ولا أحد يعرف السبب في ذلك. وقد يختار المرء سيارة أخرى من بين صف السيارات على وجه السرعة وقد يظن انها تشبه باقي السيارات تماماً. ولكنها ليست كذلك. فهي قد زودت بشيء غير موجود في السيارات الأخرى فهي أكثر قوة وهي تقريباً تشبه الشخص المزود بقدر

أكبر من الأمعاء ولذلك فهي لا تتعطل في الطريق ولا تنكسر مهما فعلت».

فقال بيميلز «لقد كان عندي واحدة من هذا النوع. موديل ٨ ثم بعتها. وأراهن على أن ها ما زالت تجري. لقد احتفظت بها لمدة ثلاث سنوات ولم انفق عليها دايم واحد».

ووضع جوان الترس الخلفي والصغير على سلم الأتوبيس والتقط الترس الخلفي القديم من على الأرض. وتحسس بإصبعه المكان الخام الذي كسرت منه السنة. وقال «المعدن مادة غريبة. إذ يبدو أحياناً انها قد أصيب بالارهاق والتعب. تصور انهم في المكسيك ـ وهي البلد التي جئت منها ـ تعودوا ان يكون عندهم سكينتان أو ثلاث من سكاكين الجزارة وهم يستخدمون واحدة منها فقط ويغرزون الاخريات في الأرض ويقولون ان ذلك يريح السلاح. ولست أدري مدى صحة هذا الاعتقاد ولكني أعرف ان تلك السكاكين المغروزة في الأرض يصبح نصلها ناعما قاطعا. وأظن ان أحداً لا يعرف الكثير عن المعادن حتى أولئك الذين يصنعونها، ولنضع الآن هذا الترس على عامود الاسطوانة. هنا. أحضر الضوء وركزه هنا».

ووضع جوان اللوح الخشبي الصغير خلف الأتوبيس ونام عليه مستلقيا على ظهره وانزلق بسرعة تحته بمساعدة قدميه. «صوب الضوء قليلاً جهة اليسار، لا، إلى أعلى من ذلك، هناك، والآن ادفع إلى بصندوق الآلات الخاص بي. ممكن؟».

وانهمكت يدا جوان في العمل وتساقط قدر ضئيل من الزيت على وجنته فمسحها بظهر يده وقال «هذه مهنة وضيعة».

وحملق بيميلز من تحت الأتوبيس إليه وقال «ربما أستطيع تسليط الضوء بزاوية على تلك الصامولة». فقال جوان: «أوه، عليك أن تحركه

بعد دقيقة». وقال بيميلز «آمل ان تجعله يسير اليوم؛ فأنا أرغب في النوم في سريري الخاص بي الليلة. فالمرء لا يستطيع أن ينام مستريحا فوق كرسي».

فضحك جوان في فتور «هل سبق لك ان رأيت في حياتك اناسا أكثر جنونا من هؤلاء الناس عندما اضطررنا للرجوع عقب انكسار ذلك الترس؟ قد تظن انني تعمدت ذلك، وقد وصل جنونهم إلى الحد الذي جعلهم يضايقون أليس ويسيئون إلى الفطائر التي صنعتها وأظن انهم اعتقدوا انها هي التي رتبت ذلك. فالناس عندما يكونون على سفر لا يحبون ان يعطلهم أي شيء».

فقال بيميلز معلقاً «حسناً، لقد حصلوا على أسرتنا. ولست أدري ما الذي جعلهم يحتجون ويشتكون بصوت مرتفع. فالذين ناموا في الكراسي هم أنت وانا وأليس ونورما. وكان أسوأهم آل برتشارد، ولست أقصد ميلدريد ـ الفتاة ـ ولكني أقصد أبوها العجوز وأمها العجوز. فهما يتصوران انهما قد أصبحا كالغجر بطريقة ما. فالمستر برتشارد قال لي ألف مرة انه مدير وشخص مهم وانه سيجعل شخصا ما يعاني عقابا له على ما حدث. وقال ان الذي حدث يعتبر إساءة وإهانة. ولقد حصل هو وزوجته على سريرك».

ـ وأين نامت ابنتهما ميلدريد؟

ومع هذا التساؤل لمعت عينا بيميلز بعض الشيء.

فقال جوان «أظن على الكنبة الطويلة أو ربما مع أبيها وأمها، أما ذلك الشخص الذي يعمل في شركة الحيل الخداعة فقد نام على سرير نورما».

فقال بيميلز «لقد شعرت بالارتياح نحو هذا الشخص. فهو لم يقل كلاما كثيرا. وقال انه سينهض بسرعة ولم يتكلم عن مهنته أو حرفته.

ولكن آل برتشارد أثاروا ضجة حول ما حدث باستثناء ميلدريد. أتعرف إلى أين هم ذاهبون يا مستر شيكوي؟. انهم ذاهبون في رحلة جنوباً إلى المكسيك. ولقد كانت ميلدريد تدرس اللغة الاسبانية في الكلية ولذلك ستقوم بالترجمة لوالديها».

ودفع جوان بمسمار خابور في عامود الاسطوانة ودقه برفق في مكانه. ثم سحب نفسه من تحت الأتوبيس وقال «فلنجمع نهاية المؤخرة الآن».

وكان الضوء يتسلق عنان السماء وفوق الجبال. إذ ان الفجر الذي لا لون له تحرك بدرجاته الرمادية والسوداء حتى ان الأشياء البيض والزرق أصبحت فضية وحمر والأشياء الخضر الداكنة أصبحت سودا. وظهرت الأوراق الجديدة على أشجار البلوط الضخمة سودا وبيضا وبدت حواف الجبال مدببة. وبدأت السحب الكثيفة الثقيلة التي تتدحرج في السماء كالكائنات القصيرة المكتنزة تتخذ لنفسها لونا أحمر ورديا على حوافها الشرقية.

وفجأة قفز الضوء الكهربائي في صالة الطعام فوثبت أطراف نباتات الخبيزة الافرنجية إلى الوجود. فحملق جوان نحو الاضواء وقال: «استيقظت أليس شيكوي. لن يمضي وقت طويل الا وتكون القهوة جاهزة، هيا بنا فلنحرك مؤخرة الأتوبيس لأسفل».

واشتغل الرجلان سوية بجد واجتهاد. وكان كل منهما يفهم ما ينبغي عمله. فقام كل منهما بإنجاز الجزء الخاص به. ونام بيميلز مستلقيا على ظهره هو الآخر وراح يربط صواميل الاغطية وهبط عليه شعور جميل وهو يقوم بهذا العمل المشترك.

وضغط جوان بيده على صامولة فانزلق مفتاحه ونزع الجلد واللحم عن مفصل إصبعه. فجرت الدماء كثيفة وسوداء من يده الملطخة بالزيت

والشحوم فوضع مفصل إصبعه في فمه وامتصه مما أوجد خطا من الزيوت والشحوم حول فمه.

وسأله بيميلز «جرح عميق؟».

«لا، هذا فأل حسن على ما أظن؛ إذ لا يمكن للمرء ان ينهي عملا بدون دماء. وهذا هو ما كان يقوله لي والدي دائماً».

وامتص الدماء مرة أخرى وبدأ النزيف يتراجع تدريجياً.

وانساب دفء الفجر بالوانه الحمر الوردية حتى ان ضوء الكهرباء بدا وكأنه يفقد بعض ضيائه وتألقه.

وقال بيميلز في كسل «ترى كم عدد الذين سيحضرون في أتوبيس الجريهاوند» وعندئذ هبطت عليه فكرة قوية نابعة من المشاعر الطيبة نحو المستر شيكوي. وكانت فكرة مؤثرة للغاية حتى كاد يحس بالالم. وبدأ يقول في حيرة وتذلل واستسلام وتوسل: «مستر شيكوي».

فتوقف جوان عن لف الصامولة وانتظر ان يطلب منه بيميلز إجازة ليوم واحد أو رفع الاجر أو أي شيء آخر. فقد كانت الدلائل تشير إلى أن هناك مطلبا حيث كان ذلك واضحا من النغمة التي تكلم بها وهذه متاعب بالنسبة لجوان. فالمتاعب تبدأ دائماً بهذه الطريقة.

وكان بيميلز صامتا، حيث لم يعثر على الكلمات التي يعبر بها. فسأله جوان في حذر «ماذا تريد؟».

«مستر شيكوي، أيمكننا ان نحدد الأمر من الآن ـ أقصد هل يمكنك أن تحدد الأمر من الآن بحيث لا تناديني بكلمة بيميلز بعد ذلك؟».

فأخذ جوان مفتاحه من الصامولة وحرك رأسه يمنة ويسرة. فقد كان الاثنان مستلقين على ظهرهما ووجهاهما في اتجاه بعضهما البعض. ورأي جوان فوهة براكين الندبات القديمة والطفح الجلدي الجديد بالإضافة إلى بثرة كبيرة متوترة لها رأس صفراء على وشك الآن فجار

على خده. فامتلأت عينا جوان بالحنان والرقة وهو ينظر. وأدرك الأمر الذي هبط عليه فجأة وتعجب كيف انه لم يدرك ذلك من قبل.

وسأله في خشونة «ما اسمك؟».

فقال بيميلز «إيد، إيد كارسون، تربطني قرابة بعيدة مع كيت كارسون، وقبل ان أصاب بهذه البثور في المدرسة الابتدائية اعتادوا أن يسمونني كيت» وكان صوته رزينا وهادئا، ولكن صدره كان يعلو ويهبط في ثقل محدثا صفيرا في فتحتي انفه.

واتجه جوان بنظره بعيداً عنه ثم عاد بنظره إلى هذا الجزء المنتفخ من غلاف المحور الخلفي وقال «وهو كذلك، هيا بنا نخرج الروافع من تحت الأتوبيس».

وانزلق خارجاً من تحت الأتوبيس وقال «أحضر الزيت من هناك الآن».

فذهب بيميلز بسرعة إلى الكراج وأخرج مسدس الضغط ساحبا وراءه خرطوم الهواء. وفتح الصنبور فاندفع الهواء المضغوط في المسدس خلف الزيت. وأحدث المسدس صوتا كالتكتكة وهو يملأ الغلاف بالزيت إلى أن فاض قدر ضئيل إلى الخارج في كثافة ثم أغلق ثقب الغلاف. وقال جوان «يا كيت. امسح يديك. وتبين ما إذا كانت أليس قد أعدت القهوة. ممكن؟» فذهب بيميلز نحو صالة الطعام. وبالقرب من الباب حيث توجد إحدى شجرات البلوط الضخمة، وقف هنالك برهة لالتقاط عند رقعة من الظلام القريب. فقد كان يرتجف من أوله لآخره في نوع من القشعريرة.

الفصل الثالث

وعندما كشف بزوغ الشمس عن الجبال في جهة الشرق نهض جوان شيكوي من على الأرض ونفض الغبار العالق بأفروله عند الساقين والمؤخرة. وسطعت الشمس متوهجة على نوافذ صالة الطعام ورقدت دافئة على العشب ثانية المحيط بالجراج وتأججت على نباتات الخشخاش في الحقول المنبسطة وعلى المساحات العظيمة المنعزلة من نباتات الترمس.

وذهب جوان شيكوي إلى باب الدخول للأتوبيس وأطل بداخله وأدار مفتاح الكونتاكت ودفع بالمارش إلى أسفل بظهر يده فأحدث المارش زئيرا وخشخشة ثم تعشق به المحرك وزأر للحظات إلى أن قلل جوان من سرعة حركته، ثم دفع بيده الدبرياج لأسفل وعشق تروس السرعة المنخفضة ورفع يده عن الدبرياج فدارت العجلات الخلفية في بطء في الهواء ثم ذهب جوان إلى المؤخرة لكي يصغي إلى حركة التروس ولكي يحاول سماع أية حركة غير متوافقة في عملية التجميع.

وكان بيميلز يغسل يديه في وعاء مسطح به بنزين في الكراج. وسخنت الشمس ورقة شجر بنية اللون تركت من العام الماضي وألقت بها الرياح على أحد أركان أفريز باب الكراج وبعد برهة زحفت ذبابة صغيرة كانت مستقرة مع الليل في تثاقل خارجة من تحت ورقة الشجر ووقفت تحت الشمس الصافية. وكانت أجنحتها وأوحالها تعكس ألوانا

متعددة وكانت بطيئة الحركة بفعل برودة الليل، ومسحت الذبابة أجنحتها برجليها ثم مسحت رجليها في بعضها البعض ثم وجهها برجليها الاماميتين بينهما الشمس المائلة تحت السحب العظيمة المنتفخة تدفئ عصاراتها. وفجأة أقلعت الذبابة ودارت في الهواء دورتين ورفرفت تحت أشجار البلوط واصطدمت بشاشة الأسلاك على باب صالة الطعام ووقعت على ظهرها وأحدثت طنينا وأزيزا وهي على الأرض لدى تقلبها رأسا على عقب لبرهة قصيرة ثم صححت من وضعها وطارت لأعلى واتخذت موضعا لنفسها على الاطار بجانب باب صالة الطعام. واتجهت أليس شيكوي التي كانت مرهقة بسبب الجلوس على مقعد طوال الليل نحو الباب ونظرت إلى الخارج في اتجاه الأتوبيس. وفتح الباب ذو الأسلاك المانعة للذباب فتحة صغيرة لا تزيد على بوصات قليلة ولكن الذبابة قذفت بنفسها من خلال الفتحة فرأتها أليس وهي تنفذ من الفتحة وضربت نحوها بفوطة الاطباق التي كانت تمسكها في يدها. فطنت الذبابة في جنون لبعض الوقت ثم استقرت بعدئذ تحت حافة الكاونتر. وشاهدت أليس العجلات الخلفية للأتوبيس وهي تدور في كسل في الهواء ثم دخلت إلى خلف الكاونتر وأغلقت صمام البخار الخاص بكنكة القهوة.

وبدا السائل البني في الانبوبة الزجاجية على جانب الكنكة خفيفا وشاحب اللون. ومسحت بفوطتها الكاونتر ولاحظت وهي تفعل ذلك ان كعكة جوز الهند البيضاء الضخمة تحت غطائها البلاستيك الشفاف قد قطع منها شريحة على شكل حرف ٧ من إحدى جوانبها. فأخذت سكينا من الصينية الفضية ورفعت الغطاء البلاستيك وشذبت حافة الكعكة ووضعت الفتات في فمها. وقبل ان يعود الغطاء البلاستيك إلى مكانه اندفعت الذبابة فجأة تحت الحافة وألقت بنفسهاعلى حشو جوز الهند

وعلقت تحت جزء بسيط بارز للأمام بحيث لا يتمكن أحد من رؤيتها من أعلى وراحت تحفر وتناضل في جوع في المواد الحلوة المذاق. فقد عثرت على جبل شاهق ضخم من الكعك وكانت سعيدة للغاية. ودخل بيميلز بينما تنبعث منه رائحة البنزين والزيوت والشحوم. واتخذ مكانه فوق أحد الكراسي المستديرة العالية التي لا مسند لها وقال «حسناً. قمنا بإنجاز ذلك العمل».

فسألته أليس في سخرية «أنت، ومن غيرك؟».

«حسناً، بالطبع قام المستر شيكوي بالاعمال الفنية التخصصية البارعة، أرغب في فنجان قهوة وقطعة من الكعك».

«سبق لك ان أخذت بالفعل من تلك الكعكة قبل أن أستيقظ» ومشطت شعرها بإحدى يديها لتبعد الشعر عن عينيها وأضافت «لا يمكنك أن تنكر ذلك».

فقال بيميلز «حسناً، أضيفي تلك القطعة على حسابي، انني أدفع ثمن طعامي، أليس كذلك؟» فقالت أليس «ما السبب في انك تريد ان تأكل كل أنواع الحلوى؟ انك منكب على صينية الحلوى طوال النهار. وتكاد لا تحصل على أي أجر، فكل أجورك تدفع مقدما ثمنا لانواع الحلوى، وأراهن على أن هذا هو السبب في البثور والدمامل، لماذا لا تتوقف عن تناول الحلوى لبعض الوقت؟».

فنظر بيميلز لأسفل في خجل نحو يديه. كانت أظافره محاطة باللون الأسود في الأماكن التي لم يصل إليها البنزين. وقال «الحلوى غنية بالطاقة الغذائية، فالشخص الذي يعمل يحتاج للطاقة الغذائية. ففي نحو الساعة الثالثة بعد الظهر على سبيل المثال عندما تخور قوى الإنسان فإنه يحتاج بدون شك إلى طعام غني من حيث الطاقة الغذائية».

فردت أليس «انها غنية في الرش في البنطلون. انك تحتاج لطاقة غذائية بقدر ما أحتاج أنا إلى...» ولم توضح له ما تهدف إليه. لقد كانت أليس تستبيح المحرمات ولكنها لم تطلب ذلك علنا على الإطلاق وإنما كانت تكتفي بالتلميح. وصبت القهوة من الصنبور في فنجان القهوة ـ فنجان سميك له قاعدة منبسطة وبدون طبق ومزجت القهوة بقدر من اللبن ثم رفعت بالفنجان عبر الكاونتر.

ونظر بيميلز في ارتباك نحو فتاة الكوكاكولا التي تمايلت في إثارة على صندوق الفوتوغراف ثم وضع أربعة ملاعق من السكر وحرك القهوة بالملعقة حركات عمودية ودائرية.

وكرر القول في صبر «أريد قطعة من الكعك».

«حسناً، ان ذلك سيقضي عليك؛ فأنت بهذه الطريقة سيصبح لك أرداف مثل البالون».

فنظر بيميلز إلى أرداف أليس ثم حول نظره عنها بسرعة. وأخذت أليس السكينة من خلف الكاونتر وقطعت جزءاً من كعكة جوز الهند فانهارت حافة الكعكة على الذبابة وضغطت عليها لأسفل. وجرفت أليس ذلك الجزء من الكعك في طبق ودفعت به عبر الكاونتر. فانقض عليه بيميلز بملعقة قهوته.

وسألها «ألم يستيقظ هؤلاء الناس؟».

«لا، ولكني سمعتهم يتحركون، ولابد ان أحدهم قد استهلك كل المياه الساخنة؛ إذ لم أجد على الإطلاق أية كمية في صالة الطعام».

فقال بيميلز «لابد انها ميلدريد».

«الفتاة؟ ربما أخذت حماماً ساخناً».

فنظرت إليه أليس في حدة وقالت «أنت تنجح في الحصول على طاقتك الغذائية وعليك ان تبقي عقلك حيث يجب أن يكون».

«أنا لم اقل أي شيء. عجبا!!!!! توجد ذبابة في هذه الكعكة».

فتجمدت أليس في مكانها وقالت «لقد وجدت بالأمس ذبابة في الحساء المقدم لك. أظن انك تحمل ذبابا في جيبك».

«لا، انظري هنا، إنها ما زالت تركل وترفس».

فاقتربت أليس وصاحت «اقتلها، اكتم أنفاسها، أتريد لها أن تتملص وتخلص نفسها؟» ثم التقطت شوكة من خلف الكاونتر وهرست بها الذبابة مع فتات الكعك وألقت كل ذلك في صندوق القمامة.

فسألها بيميلز «وما هو الموقف الآن بالنسبة لكعكتي؟».

«سأحضر لك قطعة أخرى بدلاً منها، لا أدري السبب في انك دائماً تعثر على ذباب، لا أحد غيرك يعثر على ذباب».

فقال بيميلز: «كل ما في الأمر انني سعيد الحظ».

«صه».

«قلت انني كنت...».

«لقد سمعت ما قلته».

لقد كانت مضطربة ومرهقة وعصبية المزاج «احفظ عليك لسانك والا ستخرج من هنا على وجه السرعة حتى انك تظن ان النار قد اشتعلت فيك، فأنا لا يهمني انك ميكانيكي، فأنت بالنسبة لي شخص تافه... شخص تافه له وجه ممتلئ بالبثور» فشعر بيميلز بالخجل والارتباك وهبطت ذقنه لأسفل وأسفل على صدره بينما أخذ غضبها يتصاعد. ولم يكن يدري انها تصب عليه جام غضبها بسبب أمور أخرى عديدة.

فقال «نا لم أقل شيئاً. الا يستطيع المرء ان يقول نكتة؟».

وكانت أليس قد وصلت إلى ذروة غضبها وكان عليها إما ان تنطلق في ثورة غضب جنونية هيستيرية تطفئ أضواء النهار الساطعة من ذاتها ومن كل إنسان آخر حولها وإما ان تهدئ من روعها على وجه السرعة، لأنها كانت قد بدأت تشعر بالضغوط التي لا يمكن السيطرة عليها تسرى وترتفع وتتصاعد في صدرها وفي حلقها. ودرست الموقف في سرعة خاطفة فأدركت ان الأمور صعبة: فالأتوبيس يجب أن يسافر وجوان لم يحصل على قدر من الراحة. وقد يسمعها الناس الذين استخدموا الأسرة ـ وهي في ثورة غضبها ـ فيخرجون وربما يضربها جوان وهو سبق له ان ضربها مرة ليس ضربا مبرحا ولكنه كان يضربها بإتقان وبإيقاع موقوت بدقة متناهية حتى انها تصورت انه كاد ان يقضى عليها. وعندئذ جاءها الخوف الأسود الذي كان رابضا دائماً عند حافة عقلها ـ وهو ان جوان قد يتركها، فهو سبق له ان ترك نساء أخريات وهي لم تعرف كم عدد هؤلاء النساء لأنه لم يذكر ذلك على الإطلاق، ولكن أي رجل في مثل جاذبيته لابد وان يكون قد ترك نساء أخريات كثيرات.

حدث كل هذا التفكير في أقل من ثانية فقررت أليس عدم الاستسلام للغضب والهيجان. فدفعت ضغوط الغضب لأسفل في صدرها. وفي تخشب واكتئاب رفعت الغطاء البلاستيك وقطعت قطعة تزيد عن الحجم العادي ووضعتها في طبق ثم حملته إلى الكونتر ووضعته أمام بيميلز وقالت «كل الناس عصبيين المزاج».

فرفع بيميلز نظره من فوق أظافر أصابعه ورأى كيف ان بعض خطوط الشيخوخة بدأت تزحف على رقبتها كما لاحظ سمك جفني عينيها العلويين، ولاحظ ان بشرة يديها قد فقدت النعومة والتماسك الذي

تتميز فيهما بشرة الفتيات الصغيرات في السن فشعر بالاسف والحزن من أجلها وعلى الرغم من انه لم يوهب نعمة الجمال فإنه كان يعتقد ان الشباب هو الشيء الوحيد في العالم الذي يجدر بالإنسان الحفاظ عليه وان الشخص الذي فقد شبابه يعتبر في عداد الاموات. لقد أحرز انتصارا عظيما هذا الصباح وهو عندما رأى الضعف والتردد والحيرة في أليس تهيأ لإحراز انتصار آخر جديد.

فقال «المستر شيكوي يقول انه لن يناديني باسم بيميلز بعد ذلك».

«ولم لا؟».

«حسناً، لقد طلبت منه الا يناديني بهذا الاسم؛ فاسمي إدوارد وقد اعتادوا ان يسمونني في المدرسة باسم كيت على أساس ان اسمي الأخير هو كارسون».

«أيناديك جوان بكيت؟».

«نعم».

ولم تفهم أليس في الواقع أي شيء يتعلق بهذا الأمر، وكانت هناك حركة خلفها في غرفة النوم. وقع أقدام بين السجاجيد وبعض الكلام المنخفض. وما ان أدركت وجود الغرباء حتى أصبح بيميلز أكثر قربا من نفسها لأنه لم يكن غريبا تماماً وقالت «سأرى كيف تسير الأمور».

وكانت الشمس تسطع في الداخل من خلال النوافذ الامامية ومن خلال الباب محدثة خمس بقع ناصعة من الضوء على الحائط وملقية بالنور على عبوات الجريب فروت وعلى أهرامات البرتقال خلف الكاونتر. ولكن المربعات المضيئة أعتمت ثم انطفأ نورها، فقد كان هناك دوي الرعد الهادر وهطلت الأمطار فجأة وراحت تهطل بشدة فوق السطح.

فاتجه بيميلز نحو الباب ونظر إلى الخارج، لقد كان المطر يهطل بغزارة ملقيا بحجب الظلام فوق المزارع ومحدثا صوتا عالياً فوق الطريق الاسمنتي. وكانت هناك نظرة فولاذية نحو ضوء الليل، فرأى جوان شيكوي في داخل الأتوبيس محتميا من المطر. وكانت عجلات الأتوبيس الخلفية ما زالت تدور في بطء، ثم شاهد جوان وهو يقفز إلى الأرض وينطلق مسرعا نحو صالة الطعام، فأمسك له بيميلز بالباب ليظل مفتوحا فانزلق جوان مسرعا إلى داخل الصالة. ورغم هذه المسافة القصيرة التي قطعها جوان مهرولا، أصبح أفروله داكنا بسبب مياه الأمطار وأحدث حذاؤه أزيزا في رطرطة على أرضية الصالة.

وقال «يا إلهي! هذه فعلا رخة مطر شديدة فجائية». وأضفى الحائط الرمادى الظلمة على التلال وكان ذلك الحائط المائي مشوبا بضوء معتم في لون المعدن. وانحنت رؤوس نباتات الترمس إلى أسفل مثقلة بالمياه. ودقت أعناق زهور نباتات الخشخاش وتناثرت على الأرض كالعملات الذهبية ولم يكن باستطاعة الأرض المبللة بالمياه امتصاص المزيد منها. وراحت الجداول الصغيرة تتخذ طريقا لها في اتجاه الأماكن المنخفضة. وكانت نوبات المطر تزأر فوق سطح صالة الطعام في «الريبيل كورنرز».

وجلس جوان شيكوي إلى إحدى الموائد بجانب نافذة صالة الطعام واحتسى فنجانا من القهوة ممزوجة بقدر وافر من الزبدة ومضغ كعكة ونظر إلى المطر الهاطل مدرارا. ودخلت نورما وراحت تغسل الاطباق القليلة في الحوض المصنوع من الصلب الذي لا يصدأ والموجود خلف الكاونتر.

وطلب جوان «أحضري لي فنجانا آخر من القهوة، ممكن؟» فدارت نورما حول نهاية الكاونتر في فتور بسبب الإرهاق. وكان الفنجان ممتلئاً

للغاية حتى ان قدرا ضئيلا فاض على الجوانب ووصل إلى أسفل الفنجان، فانتزع جوان ورقة سفره وطواها لتكون بمثابة نشافة للفنجان المبلل ثم قال «أنت لم تحصلي على قدر وافر من الراحة، أليس كذلك؟».

وكانت نورما آنئذٍ هزيلة وشاحبة اللون وكان ثوبها مكرمشا. وكان باستطاعة المرء ان يلحظ انها ستتعرض للشيخوخة المبكرة قبل سن الشيخوخة بوقت كبير؛ إذ كانت بشرتها كئيبة وكانت يداها مليئتين بالبقع. فهناك أشياء كثيرة للغاية أدت إلى إصابة نورما بمرض الحماق.

فقالت نورما «لم أتمكن من النوم على الإطلاق وحاولت ان أنام على الأرض ولكن دون جدوى».

فقال جوان «حسناً، لن يحدث ذلك مرة أخرى. كان ينبغي لي إحضار سيارة لنقلهم إلى سان يسيدرو».

وقالت أليس «تعطيهم أسرتنا، والآن كيف هبطت عليك تلك الفكرة؟ وهل تظن انه كان باستطاعتهم الحصول على أسرة أصحاب المحل في أي مكان آخر؟ انهم غير مطالبين بأي عمل يؤدونه اليوم. فليس أمامهم سوى الخلود للراحة والجلوس في استرخاء».

فقال جوان «أنت تأخذين هذا غلطة عليَّ فيما أظن».

فقالت أليس «أنت لا يهمك ان تنام زوجتك في كرسي، فأنت على استعداد للتبرع بسريرها في أي وقت». ومرة أخرى بدأت أليس تشعر بثورة الغضب تتصاعد في كيانها مما أخافها؛ فهي لم ترد لهذه الثورة ان تتصاعد. ولكن ها هي مشاعر الغضب كامنة وتتصاعد وتغلي في داخلها.

وهبط لوح من المطر فوق السطح كأنه مقشة ثقيلة وترك وراءه صمتا وحل محله مباشرة كمية أخرى من المطر. وارتفع خرير المياه المتساقطة

من أفريز السطح ومن أفريز تصريف المياه عالياً مرة أخرى. وكان جوان ينظر في تأمل نحو الأرض وهو يبتسم ابتسامة صغيرة تزم فمه على الشريط الأبيض للندبة فوق شفته وكان هذا شيئاً آخر تخشاه أليس؛ فهو قد ترك لها العنان ليرقبها وأدركت هي ذلك.

لقد كانت جميع العلاقات والمواقف بالنسبة لأليس هي أمر بين شخص وشخص آخر فقط فهي والشخص الآخر كل شيء والاخرون لا وجود لهم على وجه الأرض. لا يوجد هناك تظليل أو درجات للون، فهي عندما تتحدث مع جوان فلا يوجد سواهما فقط. وهي عندما تكدر نورما يختفي العالم بأسره مخلفا وراءه اثنين فقط. وهي ونورما في دنيا من السحب الرمادية اللون.

ولكن كان بمقدور جوان آنئذٍ ان يوصد الباب أمام كل شيء وينظر إلى الأمر من حيث علاقته بالأشياء الأخرى، فالأشياء مختلفة من حيث أحجامها وأهميتها.

لقد كان باستطاعته ان يرى ويحكم ويتدبر ويستمتع، كان باستطاعته الاستمتاع بالناس، أما أليس فكان باستطاعتها فقط ان تعشق، ان تحب، ان تكره، ان تبغض فهي لم تشاهد الظلال ولم تشعر بها مهما كانت.

وعندئذ جمعت أليس شعرها المسترسل إلى الخلف، لقد اعتادت ان تستخدم غسولا لشعرها مرة كل شهر مما كان يعطيه اللمعان الغريب والسحر الذي يأسر الرجال ويبقيهم في عبوديتها. وكانت عينا جوان غير عابئة ولاهية في تسلية. وكانت هذه مسألة مرعبة بالنسبة لأليس. فقد كان ينظر إليها ليس كامرأة غاضبة أضفت الظلام على العالم ولكن كواحدة من آلاف النساء الغاضبات اللائي تستأهلن الدراسة والفحص بل والتمتع بهن وكان هذا هو الرعب القاسي الوحيد بالنسبة لها. لقد حجب جوان

العالم عنها وكانت تدرك انها لم تحجب عنه شيئا؛ إذ كان باستطاعته ان يرى من حولها بل ومن خلالها الأشياء الأخرى. والرعب الذي تذكره عن المرة التي ضربها فيها لا يكمن في الضرب في حد ذاته ـ فهي سبق لها ان ضربت وحصلت من وراء الضرب على الإثارة والخصوبة وهو أمر أبعد ما يكون عن البغض والكره ولكن جوان كان يضربها كما لو كان يضرب حشرة، إذ لم يكن يهتم بها كثيراً أثناء الضرب بل ولم يكن غاضبا للغاية وإنما كان متوترا فقط، فهو قد ضرب شيئاً مزعجا صاخبا لمجرد ان يسكته، وكانت أليس تحاول فقط ان تجذب انتباهه بإحدى الطرق القليلة التي تعرفها. وكانت تحاول في تلك الاونة ان تفعل نفس الشيء وأدركت من البؤرة المتغيرة في عينه انه أفلت بعيداً عنها.

«إنني أحاول ان أهيئ بيتا صغيراً جميلا لنا نحن الاثنان، بيتاً ظريفاً وبه سجادة وطاقم كراسي مكسوة بالقطيفة ثم تقوم أنت بتقديم هذا البيت للغرباء» وتهدج صوتها: «وتدع زوجتك تجلس في كرسي طوال الليل».

فنظر جوان ببطء لأعلى وقال «يا نورما أحضري لي فنجاناً من القهوة، ممكن؟ مع مراعاة زيادة كمية الكريم».

وأعدت أليس نفسها لمقاومة ثورة الغضب التي أدركت انها على وشك ان تحدث. وبعدئذ نظر إليها جوان في بطء. وكانت عيناه السوداوان دافئتين وبهما قدر من الشعور بالتسلية وتغيرت بؤرة النظر مرة أخرى وأصبح ينظر إليها وأدركت انه قد رآها.

وقال «لم ينجم عن ذلك أي ضرر لك».

واستطرد:

«وسوف أجعلك تستمتعين بالسرير الليلة».

فتلاحقت انفاسها واكتسحتها موجات ساخنة وتحولت ثورة الغضب إلى رغبة عارمة ثم ابتسمت له ابتسامة جوفاء ولعقت شفتيها وقالت له في رقة متناهية «يا ابن الحرام» وتنهدت تنهيدة طويلة مرتعشة وسألته «أتريد قليلاً من البيض؟».

«نعم، اثنتين مسلوقتين في الماء لمدة أربع دقائق تقريباً».

فقالت «أعرف ذلك، أتحب ان أحضر لك أيضاً لحم خنزير مملح؟».

«لا، أريد قطعة من الخبز التوست وكعكتين».

وذهبت أليس وراء الكاونتر وقالت «أتمنى ان يخرجوا من هناك فأنا أرغب في الذهاب للحمام الخاص بي».

فقال جوان «إنهم يتحركون وسوف يخرجون بعد وقت قصير».

وكانوا يتحركون، وكان هناك وقع أقدام في غرفة النوم، وفتح باب في الداخل وقالت امرأة في حدة «حسناً، أظن ان باستطاعتك ان تطرق».

فرد عليها صوت رجل قائلاً: «آسف يا سيدتي، كان الطريق الآخر الوحيد أمامي هو ان أخرج من النافذة».

فقال رجل آخر بصوت يدل على شيء من السلطة «يستحسن ان تطرق على الباب دائماً يا صديقي، هل أصبت بجرح في قدمك؟».

«نعم».

وانفتح الباب الموجود في نهاية الكاونتر وخرج منه رجل ضئيل الجسم متجه إلى صالة الطعام. وكان مرتديا حلة مزدوجة الصدر وقميصا بنيا فاتحا من ذلك النوع الذي يرتديه الرجال المسافرون والذي يعرف باسم «قميص المسافرين لمسافة ألف ميل» لأن الاتساخ لا يظهر عليه

بوضوح. وكانت حلته ذات لون وسط ما بين الفلفل والملح وذلك لنفس السبب. وكان يرتدي رباط عنق أخضر غامق من النوع المشغول بالابرة، وكان وجهه صارماً مثل وجه كلب صغير، وكانت عيناه ناصعتين وبهما شيء من التساؤل والاستفسار مثل عيني كلب صغير، وفوق شفته العليا كان هناك شارب صغير مشذب بعناية وشبيه بالدودة، وعندما يتكلم تبدو وكانها تقوس ظهرها. واسنانه كانت بيضاً ومستوية باستثناء السنتين الاماميتين العلويتين حيث كانتا تلمعان ببريق الذهب. وكان يبدو كأنه في عجلة من أمره، أو كأنه قد نظف بدلته باستخدام فرشة شعره. وكان لقميصه المظهر المشدود الذي ينجم عن غسل الياقة في حوض غسيل الأيدي والتربيت عليها وفرطحتها على أعلى صوان التسريحة لكي تجف، وكان يوجد نوع من الثقة المتناهية في شكله ونوع من الفزع في وجهه كما لو كان يحمي نفسه من الاهانة بوسائل مدروسة.

وقال «صباح الخير يا جماعة، انني لمندهش حقا.. ترى أين نمتم جميعا، وأراهن على انكم قضيتم الليل بطوله جالسين».

فقالت أليس في مرارة «حسناً، لقد حدث ذلك».

وقال جوان «كل شيء على ما يرام، وسنذهب للفراش الليلة في وقت مبكر».

«هل أصلحت الأتوبيس؟ وهل تظن اننا سنسافر بالأتوبيس في هذا المطر؟».

فقال جوان «أوه! بالتأكيد».

وسار الرجل إلى أن اقترب من نهاية الكاونتر وهو يعرج ثم جلس وهو يتألم إلى إحدى المناضد الصغيرة وأحضرت نورما كوبا من الماء ومجموعة من الأواني الفضية مغلفة في ورق السفرة.

«أتريد بيضا؟».

«مقلي، على أن يكون صفار البيض مفتوحا ولحم الخنزير طازجا وتوست مدهون بالزبدة، أتفهمين؟ فأصعب شيء في العالم هو الحصول على توست مدهون بالزبدة، وعليك ان تدهني ذلك التوست بالزبدة.. بكمية كبيرة من الزبدة ودعي الزبدة تذوب في التوست بحيث لا تظهر منه أية أجزاء صفر، وسوف أعطيك بقشيشا حسناً».

ثم رفع قدمه الموضوعة في حذاء أكسفورد بني اللون به ثقوب كنوع من الزخرفة ونظر إليها وزام في ألم بصوت يشبه صوت الخنزير.

فتساءل جوان «هل أصيب رسغ قدمك بجرح؟».

وانفتح الباب الموجود عند نهاية الكاونتر، وخرج منه رجل متوسط الحجم كان يشبه الرئيس ترومان ونواب رؤساء الشركات وكتبة الحسابات العموميين الحاصلين على مؤهلات، وكانت نظارته تقف متأهبة للكفاح على جانبي وجهه وكانت حلته رمادية اللون ومتلائمة، وكان يوجد شيء من اللون الرمادي في وجهه أيضاً. لقد كان رجل أعمال وكان شبيها برجال الأعمال ومرتديا كرجال الأعمال، وفي عروة طية جاكتته كان يوجد دبوس محفل ماسوني دقيق للغاية بحيث لا يمكن للمرء مشاهدته من مسافة أربعة أقدام، وكانت العروة السفلى من الصديري غير مزررة، وحقيقة الأمر ان هذا الزرار الاسفل لم يقصد به ان يستخدم في التزرير، كما كانت هناك ساعة ذهبية جميلة وسلسلة مفاتيح تقطع هذا الصديري وتدخل وتخرج من عروة زر وتستمر في مسارها.

وقال «مدام برتشارد ستتناول بيض مقلي نيئ بعض الشيء إذا كان طازجا، بالإضافة إلى توست ومربى الفواكه المسلوقة، والآنسة برتشارد

تريد فقط عصير برتقال وقهوة. وانا أريد جريب فروت وقشدة وبيضا يحرك تماماً وينال قسطا وافرا من النضج وتوستا جافا وقهوة بوستن ـ تلك التي يكون نصفها لبن والنصف الآخر قهوة ويمكنك إحضار كل هذه الأشياء على صينية».

فنظرت أليس لأعلى في غضب وقالت «يستحسن ان تجيئوا إلى هنا؛ فليس عندنا صينية لتقديم الطلبات عليها».

فنظر إليها المستر برتشارد في برود وقال «لقد تأخرنا هنا، وفقدت بالفعل يوماً كاملا من إجازتي، وليست غلطتي ان الأتوبيس قد تعطل، وعليك الآن ان تحضري هذا الافطار إلى هنا، كذلك لا تشعر زوجتي بأنها على ما يرام، وانا غير معتاد على الجلوس على كرسي بدون مسند والمدام برتشارد غير معتادة على الجلوس على هذا النوع من الكراسي أيضاً».

فنكست أليس رأسها مثل بقرة حلوب غاضبة وقالت: «اسمع، انني أريد الذهاب للحمام لكي أغسل وجهي وانتم تشغلون الحمام».

وتحسس المستر برتشارد نظارته في عصبية وقال «أوه! فهمت».

وأدار رأسه نحو جوان فانعكس الضوء على نظارته حتى انه كانت هناك مرآتان بدون عينين خلفهما، وأخرجت يده سلسلة ساعته من جيب الصديري، وفتح مبرد أظافر صغير ذهبي وجرى برأسه أسفل كل ظفر، ونظر فيما حوله واجتاجه شيء من قشعريرة الحيرة والارتباك، فقد كان المستر برتشارد رجل أعمال؛ إذ كان رئيساً لشركة متوسطة، وهو لم يسبق له مطلقاً ان كان وحيدا، إذ كان يدير أعماله مجموعات من الناس يقومون بأعمال متشابهة ويفكرون تفكيرا متماثلا بل ويشبهون حيث يلتقون مع بعضهم البعض في النوادى لكي لا يتسرب إليهم أي عنصر

أجنبي أو أية أفكار أجنبية، وكانت حياته الدينية هي محفله وكنيسته وهما محميان ومحجبان، وكان يلعب البوكر أسبوعيا بالليل مع رجال يشبهونه تماماً حتى ان نتيجة اللعب تكون متعادلة إلى حد ما. وانطلاقاً من هذه الحقيقة كانوا جميعا مقتنعين بأنهم لاعبو بوكر ممتازون للغاية، وأينما ذهب لم يكن بمفرده وإنما كان وحدة في مجموعة في نادي في كنيسة في حزب سياسي في محفل، ولم يحدث ان تعرضت أفكاره وآراؤه للنقد على الإطلاق منذ أن اندمج بإرادته الحرة مع أناس يشبهونه. وكان يقرأ جريدة تكتبها المجموعة لتقرأها المجموعة، وحتى الكتب التي تصل إلى منزله كان يتم اختبارها بمعرفة لجنة كانت تقوم بحذف المادة التي قد تضايقه. وكان يكره الدول الاجنبية والأجانب لأنه كان من الصعب عليه ان يجد بينهم شخصا مماثلا وشبيها له، ولم يكن يرغب في الخروج على مجموعته. صحيح انه كان يرغب في الارتقاء ليصل إلى قمة المجموعة ويحوز إعجابها ولكنه لم يحدث له ان رغب في تركها. وصحيح انه في بعض الحفلات التي كانت ترقص فيها الفتيات عاريات تماماً وتجلس في كؤوس الخمور الضخمة، كان ينفجر بالضحك ويشرب الخمر ولكن كان معه هناك خمسمائة برتشارد آخرون.

والان وبعد ان سمع توا تلك العبارة القبيحة التي قالتها أليس عن الحمام ودورة المياه نظر حوله في صالة الطعام واكتشف انه وحيداً، لأنه لم يجد نسخة أخرى من المستر برتشارد. واستقرت نظارته لبعض الوقت على الرجل الضئيل الجسم المرتدي حلة الشغل ولكنه كان به أمور غريبة. وصحيح انه كان يضع دبوسا من نوع ما في عروته عبارة عن قضيب عليه طلاء خزفي ثمين يميل إلى اللون الأزرق وبه نجوم بيض إلا أن هذا القضيب لا يمثل ناديا يعرفه المستر برتشارد، لذلك وجد نفسه متبرما من هؤلاء الناس بل ومتضايقا من إجازته، وشعر بالرغبة في

العودة إلى غرفة النوم وإغلاق الباب وراءه ولكن كانت هناك تلك المرأة الجسورة التي أرادت الذهاب للتواليت. وراح المستر برتشارد ينظف على وجه السرعة أظافره كمبرد الاظافر الذهبي الموجود في سلسلة ساعته.

وحقيقة الأمر ان المستر برتشارد لم يكن على ذلك النحو، فهو قد أعطى صوته ذات مرة لأوجين ديبز ولكن ذلك قد حدث منذ فترة طويلة مضت ولكن الناس في مجموعته كانوا يرقبون بعضهم البعض فأي انحراف عن قوانين السلوك كان يلاحظ أولاً ثم يناقش فيما بعد، ومن يحد من الرجال يجد نفسه غير راسخ فإذا أصر لا يتعامل معه أحد تجاريا.

فالتلوين الوقائي كان يقوم بالحماية فعلا، ولكن لم يكن هناك ازدواج في حياة المستر برتشارد. فهو قد تخلي عن حريته ثم نسي الشكل الذي كانت عليه حريته وبدأ ينظر إلى تلك الحرية على انها سخافة من سخافات الشباب. ووضع مسألة إعطاء صوته لأوجين ديبز في مصاف زيارته لأحد بيوت اللهو عندما كان في سن العشرين. فكلاهما أمر يمكن توقع حدوثه من أولاد كبار. وفي حفلة غذاء رسمية بأحد النوادي تصادف ان روى قصة إعطاء صوته لأوجين ديبز ليبرهن على انه كان شاباً نشيطاً جريئاً وان مثل تلك الأمور كانت جزءاً من فترة المراهقة شانها في ذلك شأن حب الشباب. وعلى الرغم من انه كان يلتمس لنفسه العذر بل وكان يستمتع بمسألة إعطاء صوته لديبز فإنه كان منزعجا للغاية بسبب انشطة ابنته ميلدريد.

فقد كانت منطلقة مع زملاء خطرين في الكلية ومع أساتذة واناس معينين ممن لهم ميول شيوعية. فهي قبل الحرب أوثقت باخرة تحمل حديد خردة كانت متجهة لليابان ثم جمعت أموالا لتوفير الامدادات

الطبية من أجل من أسماهم المستر برتشارد بالشيوعيين في الحرب الإسبانية، وهو لم يناقش تلك الأمور مع ميلدريد، وهي لم ترغب في التحدث معه في هذه الأمور بأسلوب مباشر وبوضوح كامل؛ فقد كان لديه إحساس قوي بأنه لو التزم كل منها بالهدوء وضبط النفس فإنها قد تشفى من هذه الحالة من تلقاء نفسها، وكان يعتقد انها إذا تزوجت وانجبت طفل سيؤدي ذلك إلى وضع حد لقلقها السياسي وقال انها إذا تزوجت ستعثر على قيمتها الحقيقية.

ولم يكن المستر برتشارد يتذكر بوضوح زيارته لبيت اللهو، فقد كان عمره عشرين عاماً وكان مخمورا، وبعدئذ شعر شعوراً قويا بالدنس والاسف. وتذكر الأسبوعين اللذين أعقبا تلك الزيارة عندما ظل منتظرا في رعب ظهور أعراض المرض، وكان قد وضع خطة للانتحار إذا ظهرت أعراض المرض وذلك بأن يقتل نفسه ويجعل الأمر يبدو وكانه حادثة من الحوادث.

وكان آنئذٍ عصبيا، فهو منذ البداية لم يكن يرغب في القيام بهذه الاجازة، وهو كان متجها إلى المكسيك التي يعتبرها ـ رغم الملصقات الدعائية السياحية ـ دولة قذرة بل وراديكالية بشكل خطير، فهم في المكسيك قد نزعوا ملكيات البترول أو بتعبير آخر سرقوا الملكية الخاصة، وما هو الفارق إذن بينهم وبين روسيا؟ وكان المستر برتشارد يعتقد ان روسيا قد حلت محل شيطان العصور الوسطى كمصدر لكل دهاء وشر ورعب، وكان عصبيا في هذا الصباح لأنه لم ينعم بالنوم هو الاخر؛ إذ كان يحب سريره الخاص به، ولكي يتعود على سرير آخر فإن الأمر يتطلب منه أسبوعا. وهو هنا كان قد دخل فعلا في ثلاثة أسابيع من النوم في سرير غير سريره في كل ليلة، والله يعرف نوعية الزبائن الذين شغلوا تلك الأسرة.

كان يشعر بالارهاق وكانت بشرته خشنة الملمس، فقد كان الماء

عسيرا قاسيا هنا حتى انه عندما حلق ذقنه كان يعلم مقدما انه ستكون هناك حلقة من الشعر النامي إلى الداخل حول رقبته خلال ثلاثة أيام.

وآخرج منديلا من جيب الصديري ونزع نظارته وقام بتنظيفها، وقال «سأخبر زوجتي وابنتي؛ فنحن لا ندري اننا تسببنا في إزعاجكم إلى هذا الحد».

وأعجبت نورما بكلمة «إزعاج» وكررتها لنفسها عدة مرات «إزعاج ـ انني لم أرغب في إزعاجك يا مستر جيبل، ولكني أظن انه ينبغي أن تعرف».

وكان المستر برتشارد قد رجع إلى غرفة النوم، وكان صوته مسموعا وهو يشرح الموقف وكانت أصوات نسائية تستوضح الأمر.

ونهض الرجل ذو الشارب من كرسيه وطفق يعرج في ألم نحو الكاونتر ويزمجر بصوت مكتوم. وعاد معه سلطانية السكر وغاص في كرسيه مرة أخرى وقد قطب جبينه.

فقالت له نورما في اهتمام «كان ينبغي لي أن أحضر لك ذلك».

فابتسم لها وقال موضحاً في شهامة «لم أرغب في مضايقتك».

فقالت نورما «لم يكن هذا ليزعجني على الإطلاق».

ووضع جوان فنجان قهوته.

وقال بيميلز «أرغب في قطعة من كعكة جوز الهند تلك».

فقطعت له أليس ـ وهي غير منتبهة ـ قطعة ودفعت بها عبر الكاونتر وسجلت ذلك في دفتر الحساب.

وقال بيميلز «أظن انني لم أحصل مطلقاً على أي قطعة كعك مجانا».

فقالت أليس «يخيل إليَّ انك حصلت على الكثير مجانا دون أن أسجل ذلك في دفتر الحساب».

وقال جوان للرجل الضئيل الجسم «يبدو انه قد حدث لك التواء شديد في ذلك الجزء».

فقال الرجل «أصابع القدم مسحوقة، سأجعلك تلقي نظرة عليها».

وخرج المستر برتشارد من غرفة النوم وجلس إلى المنضدة الشاغرة الباقية.

فك الرجل الضئيل الجسم أربطة حذائه الاكسفورد ثم خلعه ونزع جوربه ووضعه بعناية في حذائه الاكسفورد، وكانت قدمه معصوبة ابتداء من مشط الرجل حتى نهاية أصابع القدم، وكان الرباط ملوثا ومبتلا بدماء حمراء صافية.

فقالت أليس على وجه السرعة «لا داعي لأن ترينا».

فقد كانت الدماء تسبب لها الاغماء.

فقال الرجل الضئيل الجسم «على كل حال ينبغي لي تغيير الاربطة» وراح يفك الشاش الطبي وعرض قدمه أمام الجميع، لقد كان الإصبع الكبير للقدم والاصبعان التاليان له مسحوقين تماماً وقد اسودت الاظافر بها كما كانت نهايات الأصابع مسحوقة وملطخة بالدماء ومسلوخة ومتجلطة.

ونهض جوان ليرى عن كثب. واقترب بيميلز وحتى نورما لم تستطع البقاء بعيداً.

وعلق جوان قائلاً «يا إلهي! انها مسحوقة بشكل مريع، دعني أحضر بعض الماء لأغسلها، ويجب أن تحصل على نوع من المراهم والدهانات، ويجب أن تسارع بالعلاج لكي لا تفقد تلك القدم تماماً».

وأحدث بيميلز صفيراً حاداً مدوياً بين أسنانه للتعبير عن اهتمامه بنوعية الاصابة. وكان الرجل الضئيل الجسم ينظر إلى وجه جوان وعيناه تلمعان في بهجة واستفسر «أتظن ان الجرح رديء؟».

فقال جوان «أنت على حق، الجرح رديء للغاية».

«أتظن انه ينبغي لي الذهاب إلى طبيب؟».

«حسناً، لو كنت مكانك لذهبت إلى طبيب».

فضحك الرجل الضئيل الجسم في سرور وقال «ذلك هو كل ما أردت ان أسمعه».

ثم نزع ظفر إصبع الابهام من مشط القدم. فإن قشعت القشرة التي تغطى أعلى قدمه ورفعت معها الجلد والدماء والأصابع المسحوقة ـ وتحتها كانت توجد قدمه بأكملها سليمة وخالية من الاصابات وكذلك الأصابع، ثم ألقى برأسه للخلف وضحك في ابتهاج وقال «جيدة، أليس كذلك؟ من البلاستيك، انتاج جديد».

واقترب المستر برتشارد ونظر في اشمئزاز وقال الرجل «إنها لتيل واندر أرتفشيال صور فوت».

وانتزع من جيبه الجانبي علبة مسطحة وناولها لجوان قائلاً: «لقد كنت لطيفا للغاية معي. وأريد لك ان تأخذ واحدة، مع أطيب تحيات أرنست هورتن ممثل شركة الاعاجيب الصغيرة».

وانطلق صوته يتسابق مع حماسه «إنها في ثلاثة أحجام ـ واحد واثنين وثلاثة أصابع قدم مسحوقة. وهذه التي أعطيها لك من نوع الثلاثة أصابع وتشبه تماماً تلك التي رأيتها توا. وهي مزودة بالاربطة وبزجاجة من الدم الصناعي لتجعل منظر الاربطة يبدو مرعبا، وبداخلها التعليمات. وينبغي ان تلينها في مياه دافئة عند ارتدائها لأول مرة. وهي بعدئذ تتلاءم مع نوع

لون البشرة ولا أحد يستطيع أن يميزها عن لون البشرة. ويمكنها ان تجلب لك قدرا كبيراً من المرح والبهجة».

وانحنى المستر برتشارد للأمام، وعلى مسافة في مؤخرة ذهنه استطاع ان يرى نفسه وهو يخلع جوربه في اجتماع مجلس الإدارة، ويمكنه ان يفعل ذلك عقب عودته من المكسيك مباشرة على أن يمهد لذلك بقصة عن عصابات اللصوص.

فتساءل «ما هو الثمن؟».

فقال أرنست هورتن «دولار ونصف الدولار، ولكني لا أبيع بالقطاعي الا فيما ندر. فالتجار يتخاطفونها منى بمجرد حصولي عليها ولقد بعت أربعين دستة للتجار في خلال أسبوعين».

فقال المستر برتشارد وقد اتسعت عيناه في إعجاب شديد «يا إلهي! هذا غير معقول؟».

«إنني على استعداد لأن أريك دفتر الطلبات التجارية الخاص بي إذا كنت لا تصدقني، انها أسرع عملية بيع لبدعة جديدة تمت في حياتي. وشركة الأعاجيب الصغيرة تربح الآن من ورائها».

فسأله المستر برتشارد «ما هو سعر التكلفة وما هو صافي الربح؟».

«حسناً، انني لا أود الاجابة على هذا السؤال إلا إذا رغبت في الدخول كتاجر في هذا الشان، انها أخلاقيات الأعمال التجارية كما تعرف».

فأومأ المستر برتشارد برأسه وقال «حسناً، أرغب في الحصول على واحدة بالسعر القطاعي على سبيل التجربة».

«سأحضر لك واحدة عقب الانتهاء من تناول طعامي مباشرة».

ثم سأل نورما «هل أعددت ذلك التوست المدهون بالزبدة؟».

فقالت نورما «سأحضر حالاً» وقد اعتراها شعور بالذنب، وذهبت خلف الكاونتر وأدارت زر تشغيل ماكينة تحميص الخبز.

واستطرد أرنست قائلاً في ابتهاج شديد: «وكما ترى فإن علم النفس هو الذي يروج لنا عملية البيع، فنحن سبق لنا ان قمنا بتخزين كمية كبيرة من الأصابع الصناعية المبتورة لسنوات حيث كانت حركة بيعها بطيئة، ولكن هذه ـ انها تعتمد على السيكولوجي وأنت تقوم بخلع حذائك وجوربك، فلا أحد يظن على الإطلاق انك ستتجشم مشقة ذلك العمل، والشخص الذي قدم هذه الفكرة حصل لنفسه على أجر كبير للغاية».

فقال المستر برتشارد في إعجاب «وأظن انك تحصل على بعض المكاسب من وراء ذلك».

وكان قد أخذ يشعر بتحسن كبير عن ذي قبل.

فقال أرنست «أقوم بذلك على ما يرام» واستطرد: «لقد أحضرت معي في حقيبة العينات الخاصة بي واحدة أو اثنتين من الأشياء الأخرى الصغيرة التي قد تدخل السرور عليك، وهي لا تباع الا للتجار ولكني سأعرضها عليك؛ فلربما تدخل عليك البهجة والسرور».

فقال المستر برتشارد «إنني أرغب في شراء نصف دستة من الأقدام المحتقنة».

«نصف دستة من نوع الثلاثة أصابع؟».

ففكر المستر برتشارد في الأمر ملياً، انه يريد هذه الأشياء ليعطيها كهدايا ولكنه لا يريد المنافسة، ان تشارلي جونسون باستطاعته عرض

هذه الحيل بنجاح أكبر من المستر برتشارد؛ فتشارلي رجل مضحك بطبيعته.

وقال «إذا اقترضنا انك ستسمح لي بأخذ واحدة من ذات الثلاث أصابع وثلاثة من ذات الاصبعين واثنتين من ذات الإصبع الواحد فسيكون ذلك مناسباً لما أريد».

وأخذت نوعية المطر في التغير، إذ جاء في شكل مطر مدرار غزير فجائي شديد البلل تتخلله فترات قصيرة من الرذاذ الخفيف، وجلس جوان بالقرب من النافذة ومعه قهوته وقد تبقى في الطبق نصف كعكة بنية اللون.

وقال جوان «ستقل حدة المطر قليلاً على ما أظن»، واستطرد: «أريد تحريك نهاية السيارة لأعلى بعض الشيء قبل أن نبدأ».

وقال بيميلز «أريد قطعة من كعكة جوز الهند تلك».

فقالت أليس «لا، لن أعطيك، فعليّ أن أبقي قليلاً من الكعك من أجل الزبائن».

«حسناً، إنني زبون، أليس كذلك؟».

فقالت أليس «لا أدرى ما إذا كان أتوبيس سان يسيدور سيحضر لنا مسافرين اليوم، يجب عليّ الاحتفاظ بكمية قليلة من الكعك».

وفي نهاية الكاونتر كانت توجد صينية حلوى متدرجة كالسلم ومليئة بقضبان الحلوى المغلفة في عبوات، فنهض بيميلز من فوق كرسيه الذي لا مسند له ووقف أمام هذا العرض، وأمعن النظر في العبوات الجميلة الصغيرة لفترة طويلة قبل أن يختار. وأخيراً انتقى ثلاثة قوالب ووضعها في جيبه وقال «واحدة من نوع الطفلة الرضيعة راث وواحدة من نوع عش الحب وواحدة من نوع حبيبة القلب جوزة الهند».

فقالت أليس «حبيبة القلب جوزة الهند ثمنها دايم واحد لأنها محشوة بالبندق والجوز واللوز».

فقالت بيميلز «أعرف ذلك».

فالتقطت أليس دفتر الحساب من خلف الكاونتر وقالت: «لقد أخذت الآن بما يزيد على أجرك قليلاً».

الفصل الرابع

وما ان خرج آل برتشارد من غرفة النوم حتى قالت نورما بسرعة «عليَّ ان أمشط شعري وانظف بعض الشيء» وخرجت بسرعة نحو الباب. فانطلقت أليس خلفها مباشرة.

وقالت أليس لها في برود «أنت تأخذين دورك بعدي في الحمام» فذهبت نورما عبر غرفة نوم المستر شيكوي وزوجته ومنها إلى غرفة نومها الخاصة بها. ثم أغلقت الباب خلفها. ونظراً لعدم وجود مفتاح فقد أوصدت الباب بالمزلاج الموجود بجوار القفل لكي تخلو إلى نفسها في شيء من العزلة. وكان سريرها الحديدي الضيق.. وهو من النوع الذي يستخدم في الجيش ـ غير مرتب وكانت حقيبة العينات الضخمة الخاصة بأرنست هورتن مستندة إلى الحائط.

لقد كانت غرفة ضيقة للغاية. وفي داخلها كان يوجد صوان الملابس وسلطانية تحتوي على مادة لقتل الحشرات مستندة إلى أحد الحوائط. وفي أعلى هذا الصوان كان يوجد رأس وسادة ناعم كالحرير ومزركش في الحواشي ولامع ومربوط بشكل مؤقت. وكان لونه أحمر وردي وبه صورة لمدفعين متقاطعين أمام باقة من الورد الأحمر اللون وكانت هناك قصيدة شعر مطبوعة على رأس المخدة تحت عنوان: «ابتهالات جندي لامة»:

«بين الرصاص والقنابل أفكر فيك يا أمي العزيزة

آمل ان تنقذني صلواتك وتحافظ على حياتي

وعندما تنتهي الحرب وننتصر فيها

سأعود إليك يا حياتي.. يا أحب الناس إلى قلبي».

ونظرت نورما بسرعة إلى النافذة المعتمة بضوء الأمطار ثم أدخلت يدها تحت ياقة ردائها وقلبت الياقة. وفي الحافة المقلوبة للياقة كان يوجد مفتاح صغير مربوط بدبوس مشبك. وفكت نورما المشبك وأخذت المفتاح ثم جذبت حقيبتها الصغيرة من تحت صوان الملابس وفتحت قفل الحقيبة ثم رفعت غطاءها. فظهرت فوق الأشياء الموجودة في الحقيبة صورة لامعة لكلارك جيبل ذات إطار من الفضة وعليها توقيع «مع أطيب تمنياتي، كلارك جيبل». وكانت قد اشترت الصورة والبرواز والتوقيع من محل لبيع الهدايا التذكارية في سان يسيدور.

وجرت بيدها بسرعة إلى أسفل الحقيبة وعثرت أصابعها على علبة خاتم مستديرة. فجذبتها وفتحت غطاءها واطمانت على وجود الخاتم بها، ثم دفعت بالعلبة مرة أخرى إلى قاع الحقيبة وأغلقتها ثم قفلتها بالقفل ودفعت بها تحت صوان الملابس، ثم أعادت المفتاح إلى المشبك بداخل ردائها، وفتحت درج صوان الملابس وأخذت منه فرشاء ومشط واتجهت نحو النافذة، وعلى الحائط بجانب ستائر الكريتون ذات الورود الحمر والخضر كانت توجد مرآة لها إطار فوقفت نورما أمام تلك المرآة ونظرت إلى نفسها.

وجاء ضوء في لون الرصاص عبر النافذة وسقط على وجهها، فوسعت عينيها بشدة ثم ابتسمت وأظهرت كل أسنانها.. كانت ابتسامتها

مليئة بالحيوية. ووقفت على أصابع قدميها قليلاً ولوحت بيدها لحشد كبير من الناس وابتسمت مرة أخرى.

ثم جرت بالمشط في شعرها القليل الكثافة وجذبت المشط بقوة عندما أمسكت نهايات الشعر المتموجة به. وأخذت قلم الزينة من صوان الملابس وراحت ترسم الأماكن غير الواضحة في حاجبيها الشاحبين مع التركيز على التقوس الموجود في الوسط لكي يكتسب وجهها النظرة المندهشة. ثم بدأت تمشط شعرها. عشرة خبطات على جانب وعشرة على الجانب الآخر. وأثناء التمشيط كانت ترفع وتثني عضلات إحدى ساقيها ثم نفس الشيء بالنسبة للساق الأخرى لتنمية بطن الساق. وكان ذلك روتينا أوصت به نجمة سينمائية لم يسبق لها ان مارست أي نوع من أنواع الرياضة عن طيب خاطر وكل ما في الأمر انها كانت لها ساقان جميلتان.

وألقت نورما نظرة خاطفة على النافذة عندما ازدادت ظلمة الضوء؛ إذ كانت تكره ان يشاهدها الناس وهي تؤدي رقصات خيالية غريبة. ولقد كانت نورما غائصة ومغمورة أكثر من جبل ثلج عائم. ولم يكن يبين منها فوق السطح سوى أصغر الأشياء. لأن أعظم وأفضل وأجمل جزء في نورما كان يرقد مخبئاً خلف عينيها في حماية وبدون أن يمس.

ودار مقبض الباب في غرفة نورما وتلا ذلك ضغط على الباب فتصلبت نورما ووقفت دون حراك، ثم تحركت يد واحدة فقط وراحت تمسح في جنون عند حاجبيها ونجحت في عمل هباب رمادي اللون على جبينها، وبدأت تسمع طرقا خفيفا على باب غرفة النوم في شيء من الادب والاستحياء، فوضعت فرشاتها على صوان الملابس وجذبت رداءها لأسفل واتجهت نحو الباب. ودفعت المزلاج وفتحت الباب فتحة

بسيطة. وهناك كان وجه أرنست هورتون ينظر إليها وقد تقوس شاربه المتماسك الغزير الشعر فوق فمه.

واستطرد هو قائلاً «لقد كنتم اناسا كرماء للغاية من جميع النواحي. وانا لا أريد أن أتسبب في إزعاج آخر علاوة على ما قمت به».

وزال التوتر عن نورما ببطء ولكنها كانت لا تزال تتنفس بصعوبة بعض الشيء. وفتحت الباب وتراجعت قليلاً للخلف فدخل أرنست إلى الغرفة مبتسما في خجل. ثم توجه إلى السرير.

وقال «كان ينبغي لي أن أرتب هذا السرير» ثم سحب الملاءة والبطانية وراح يبسطها ويزيل الكرمشة عنها.

فقالت نورما «لا، سأقوم انا بعمل ذلك».

وقال أرنست «بل إنك لم تنتظري لتأخذي البقشيش الذي وعدتك به».

واستطرد «ولكني قد أحضرته لك».

وانتهى من ترتيب السرير ترتيبا انيقا كما لو كان قد قام بهذا العمل مرات عديدة من قبل.

فقالت نورما «كان باستطاعتي ان أفعل ذلك بنفس الدقة».

فقال «حسناً، لقد تم ترتيبه الآن».

ثم اتجه إلى حقيبة العينات الخاصة به وقال «أتسمحين لي بأن أفتح هذه؟ فأنا أريد أن أستخرج منها بعض الأشياء».

فقالت نورما «نعم».

وامتلأت عيناها بالشغف والاهتمام، فوضع حقيبة العينات الكبيرة فوق سريرها وفتح الكالون ورفع الغطاء فظهرت أشياء غريبة ومدهشة

في الحقيبة. كانت توجد هناك انابيب من الورق المقوى ومناديل لليد تغير من ألوانها أعداد من السيجار المنفجر والقنابل الكريهة الرائحة. كما كانت هناك قاذفات للصوت وأبواق وقبعات من الورق من أجل الحفلات ورايات وأزرة تبعث على الضحك بالإضافة إلى وسائد حريرية مثل تلك الموجودة فوق الحائط.

وكان أرنست يقوم باستخراج ستة من الأقدام الصناعية المحتقنة في عبواتها المسطحة. واقتربت نورما منه لكي ترقب عن كثب حقيبة العينات العجيبة. وانبهرت للغاية لدى رؤيتها سلسلة متتابعة من الصور الفوتوغرافية لنجوم السينما.. صورا لم تشاهد مثيلا لها من قبل على الإطلاق. فقد كانت مضغوطة ومصبوبة في ألواح كثيفة من البلاستيك الصافي لمسافة ربع بوصة على الأقل وكان يوجد شيء عجيب في هذه الصور: إذ كانت تبدو مسطحة ومنبسطة ولكن الوجوه فيها كانت مستديرة ولها عمق بسبب بعض حيل الالتواء أو ربما عن طريق الضوء المنعكس حيث بدت كان لها ثلاثة أبعاد وكان حجم الاطارات ٨ × ١٠ بوصات.

وعلى القمة كانت توجد صورة مبتسمة لجيمس ستيوارت تشبهه تماماً، ومن تحتها كانت تبرز صورة أخرى لم تتبين منها سوى الشعر وجانبا من الجبهة ولكنها عرفت ذلك الشعر وتلك الجبهة فانفرجت شفتاها ولمعت عيناها وتحركت يدها ببطء في الحقيبة ورفعت صورة جيمس ستيوارت على جانب وهنالك كان هو: كلارك جيبل ويبدو كاملا وممتلئا. وقد اتخذ وضعا يتسم بالصرامة والقوة: الذقن متجه لأعلى والعينان ترمقان في عزم وتصميم، انها لم تشاهد مثل هذه الصورة من قبل، وتنهدت في عمق وحاولت السيطرة على انفاسها المتلاحقة لكي لا تسمع، ورفعت الصورة لأعلى وحملقت في العينين، وكانت عيناها متسعتين ومنومتين تنويما مغناطيسيا.

وأخذ أرنست يرقبها وأدرك مدى اهتمامها وشغفها، وقال: «أليس ذلك شيئاً جذاباً للغاية ومذهلاً تماماً، انها فكرة جديدة. فالصورة تبدو في شكل مستدير وتكاد تشبه التمثال؟».

فأومأت نورما برأسها دون أن تنطق بكلمة واحدة، فقال أرنست «في رأيي ان هذه المجموعات البسيطة من الصور سوف تكتسح أمامها أي نوع آخر من الصور لأنها ضد الحموضة وضد الرطوبة وتعيش للأبد ولن تتحول إلى اللون البني فهي قد شكلت بأسلوب ملائم في داخل الاطار، وسوف تعيش للأبد».

ولم تترك عينا نورما الصورة على الإطلاق وحاول أرنست استرداد الصورة ولكن أصابعها تشبثت بها كالمخالب.

وخرج صوتها في تمتمة خشنة مبحوحة وهي تقول «كم ثمنها؟» فقال أرنست «إنها مجرد عينة، انها شيء نريه للتجار ونعرضه عليهم، فهي ليست للبيع، أتريدينها؟».

ـ «كم ثمنها؟».

وكانت أصابعها بيضا بسبب الضغط، ونظر إليها أرنست في تمعن. فرأى وجهها مصمما وجامدا ورأى عضلات فكها متصلبة متخشبة وأدرك ان فتحتي انفها تخفقان قليلاً بفعل السيطرة على التنفس.

فقال أرنست «إننا نبيعها بـ ٢ دولار أمريكي في حالة البيع بالقطاعي، ولكني سبق ان قلت لك انني سأعطيك بقشيشا حسناً، فهل تفضلين ان تأخذي هذه الصورة بدلاً من البقشيش؟».

وجاء صوت نورما مبحوحا خشنا: «نعم».

ـ «حسناً، يمكنك أن تأخذيها».

واختفى اللون الأبيض تدريجيا من أصابعها، وكانت هناك أضواء من

اللذة والافتخار والاشباع في عينيها. ولعقت شفتيها وقالت «شكرا، أوه! شكراً يا سيدي».

ثم أدارت وجه الصورة نحوها وعانقتها، ولم يكن البلاستيك بارداً كالزجاج وإنما كان دافئاً ناعم الملمس.

وقال أرنست «أظن ان باستطاعتي ان أدير أموري بعينة واحدة فقط، انني سأتجه إلى الجنوب ولن أعود للمركز الرئيسي للشركة الا بعد ستة أشهر ووضعت في الاعتبار ضرورة قضاء أسبوعين في لوس أنجلوس، فهي مكان عظيم لتسويق الأشياء والبدع الجديدة».

وحملت نورما الصورة إلى صوان ملابسها وفتحت الدرج ودفعت بالصورة تحت كومة من الملابس ثم أغلقت الدرج. وقالت «هل ستذهب إلى هوليوود؟».

«أوه! بالتأكيد. بل وهي أفضل من لوس أنجلوس من حيث تسويق البدع الجديدة» وحينئذ ستكون المسألة كأنها إجازة لي أيضاً، وانا لي عدد من الأصدقاء هناك، أقوم بإجازتي وأتجول من مكان لآخر وأشاهد الأشياء وأباشر عملي التجاري في نفس الوقت، أصطاد عصفورين بحجر واحد. فأنا لا أضيع الوقت، ولي صديق منذ أن كنا سوية في الجيش وهو يعمل الآن في أحد استوديوهات التصوير السينمائي في هوليود، ودائماً ما أرتاد بعض الأماكن معه.

وفي آخر مرة سافرنا سوية لحضور حفلة في ميلروز جروتو وهي توجد في الطرف الآخر من ميلروز بعد R. K. O مباشرة. وكانت حفلة ممتازة بمعنى الكلمة. ولا أريد أن أقول لك ما قمنا به من أعمال. ولكنه لم يسبق لي أن حظيت بمثل هذا القدر الكبير من المرح في معياتي. ثم اضطر صديقي بالطبع إلى العودة إلى عمله في الاستوديو.

وأصبح لنورما نفس العزم والتصميم الموجود لدى كلب صيد صغير وهو يرقب حشرة. فسألت فجأة «هل يعمل صديقك في الاستوديو؟ وما هو اسم هذا الاستوديو؟».

فقال أرنست «مترو جولدن ماير» وكان منهمكا في ترتيب حقيبته وإعادة العينات إليها ولم يكن ينظر لأعلى نحوها، لذلك لم ينتبه إلى صوت انفاسها في حلقها ولم يلحظ النغمة غير الطبيعية التي صاحبت صوتها.

«أتدخل إلى الاستوديو كثيرا؟».

«نعم، فصديقي ويلي يحضر لي تصريحا للدخول، فأذهب وأشاهدهم وهم يصورون في بعض الأحيان، وصديقي ويلي يعمل نجارا، وكان يعمل هناك قبل الحرب ورجع الآن إلى هناك، وانا خدمت في الجيش معه، وهو زميل لطيف للغاية، وياله من إنسان رائع أثناء الحفلات، فهو يعرف نساء ولديه أرقام تليفونات أكثر مما تتصورين، كتاب ضخم سميك أسود مليء بأرقام التليفونات، حتى انه لا يتذكر أي شيء عن نصف عدد النساء اللائي يحتفظ بأرقام تليفوناتهن».

وبدأ الحماس يدب في أرنست وهو يتحدث عن هذا الموضوع، فجلس على الكرسي الصغير المستقيم بجوار الحائط وضحك بصوت مكتوم وقال «وفي بداية الحرب وقبل ان أتعرف على ويلي كان ويلي مرابطا، في منطقة «سانتا انا» وبدأ الضباط يسمعون عن كتابه الأسود وبدأوا يأخذونه معهم إلى هوليوود لكي يحضر لهم النساء وكانوا يعطونه تصريحا في أي وقت يشاء، وأحرز نجاحاً كبيراً بعد أن شحنوا معداته وأجهزته إلى الخارج».

وظهرت على عيني نورما لمحة سريعة من الضيق أثناء هذا السرد المستفيض. وعبثت أصابعها في مريلتها وارتفع صوتها ثم انخفض وهي تقول «أيضايقك ان تقدم لي معروفا؟».

فقال أرنست «أي خدمة؟ ماذا تريدين؟».

«حسناً، لو انني أعطيتك وكنت في إحدى زياراتك لمترو جولدن ماير ثم تصادف ان رأيت المستر جيبل، فهل تعطيه الخطاب؟».

«من يكون المستر جيبل هذا؟».

فقالت نورما في حزم «المستر كلارك جيبل».

«أوه! هل تعرفينه؟».

فقالت نورما في برود «نعم، فأنا ابنة عمه».

«أوه! فهمت ما ترمين إليه، حسناً، من المؤكد انني سأفعل ذلك، ولكن من المحتمل الا أذهب؟ لماذا لا ترسلينه بالبريد؟».

فضاقت عينا نورما وقالت في غموض «إنه لا يتسلم خطاباته، فهناك فتاة كالسكرتيرة تأخذ الخطابات وتحرقها».

فقال أرنست «لا!! ولأي سبب تفعل هي ذلك».

ففكرت نورما للحظات في هذا الأمر ثم قالت «إنهم فقط لا يريدون له ان يرى الخطابات».

«ولا حتى الخطابات الواردة من أقاربه؟».

فقالت نورما «ولا حتى الخطابات المرسلة من ابنة عمه».

«هل هو أخبرك بذلك؟».

«نعم»، وكانت عيناها متسعتين وخاليتين من أي تعبير، واستطردت «نعم، وانا سأذهب إلى هناك بالطبع في القريب العاجل لقد قدمت لي

عروض بالعمل وكنت على وشك الذهاب ولكن ابن عمي ـ أعني المستر جيبل قال (لا، يجب أن تحصلي أولاً على الخبرة من الحياة العملية، فأنت ما زلت صغيرة، وليس هناك ما يدعو للتسرع) ولذلك فأنا أحصل على الخبرة الآن فالإنسان يتعلم الكثير من الناس في صالات الطعام، وانا أدرس الناس في جميع الاوقات».

فنظر إليها أرنست في شيء من الشك، لقد عرف قصصا خيالية عن خادمات في المطاعم أصبحن نجوما في السينما بين يوم وليلة، ولكن نورما لم تكن لديها المواهب التي تؤهلها لذلك.. ولم تكن لها ساقان جميلتان. كانت ساقاها مثل العصي، ولكنه كان يعرف حوالي اثنتين أو ثلاث من ممثلات السينما اللائي كن في غاية البساطة بدون المكياج حتى انه يتعذر على المرء التعرف عليهن بعيداً عن الشاشة، ولقد قرأ عنهن، فإذا كانت نورما لا تشبه الممثلات فباستطاعتهم ان يغيروا من شكلها بحيث تبدو ممتلئة ويدفعون بها إلى هذا المجال، وإذا كان كلارك جيبل ابن عمها ففي ذلك نفوذ كبير ومركز قوي لا يقهر وهذه فرصة كبيرة بالنسبة لها.

وقال «حسناً، انني لم أفكر في الحصول على تصريح من ويلي للدخول للاستوديو في هذه المرة، ولقد ذهبت إلى هناك مرات قليلة للغاية ولكن ـ حسناً، إذا كنت ترغبين في ذهابي إلى هناك فإني سأذهب على الفور وأبحث عنه وأعطيه رسالتك. وما هو السبب في انك تفترضين ان هم يتخلصون من الخطابات المرسلة إليه بالبريد؟».

فقالت نورما في عاطفة فياضة «انهم يريدون أن يستنزفوه حتى الموت، وبعد ذلك يلقون به كحذاء قديم».

واجتاحتها موجات متتالية من العواطف، وكانت في نوبة من نوبات

النشوة والسعادة القصوى وكانت موجات الهلع والخوف تزحف عليها في نفس الوقت. فهي لم تعرف الكذب من قبل وهي لم يسبق لها ان فعلت شيئاً مثل هذا. لقد كانت منطلقة فوق دعامة خشبية طويلة غير ثابتة وكانت تدرك ذلك. فسؤال واحد من جانب أرنست أو مجرد معرفته لقدر ضئيل من المعلومات من شأنه ان يلقي بها بعيداً من فوق الخشبة لتهبط في هوة سحيقة في ارتطام شديد، ومع ذلك لم تستطع ان تمنع نفسها من مواصلة الحديث.

فقالت «انه رجل عظيم، رجل فاضل عظيم، فهو لا يحب الادوار التي يسندونها إليه لأنه ليس من هذا القبيل، بل انه لم تكن لديه الرغبة في القيام بدور Rhett Iutler لأنه ليس ماكرا وخائنا لزملائه فهو لا يرغب في تمثيل أدوار من هذا النوع».

وكان أرنست قد أخفض من عينيه وراح يدرس نورما من خلال رموش عينيه، وبدأ أرنست يدرك جوانب الموقف؛ إذ بدأ مفتاح الموقف يزحف إلى ذهنه، فقد كانت نورما في تلك اللحظة مشرقة وجميلة بشكل ربما لم يسبق له مثيل، وكان وجهها يتسم بالوفاء والشجاعة وفيض عظيم حقيقي من الحب، وكان هناك أمران فقط أمام أرنست ليفعلهما: إما ان يهزأ بها وإما ان يتماشى مع الموقف، ولو كان هناك أي شخص آخر في الغرفة - أي رجل آخر مثلاً لكان قد ضحك وسخر منها ليحمي نفسه من احتقار الشخص الآخر ولكان قد شعر بمزيد من الخجل والاضطراب لأنه أدرك ان ذلك الشيء الذي يلمع في عيني الفتاة هو أمر غاية في النقاء والقوة والفيض. وكان هذا هو الشيء الذي جعل المبتدئين من الرهبان يرقدون الليالي على الأرض الحجرية أمام المذابح، ولم يسبق لأرنست على الإطلاق ان شاهد مثل هذا التدفق القوى لورود الحب العطرية.

فقال أرنست: «سآخذ الخطاب وسأخبره بأنه من ابنة عمه».

فظهرت دلائل الخوف على وجه نورما وقالت «لا، انني أفضل ان أجعلها مفاجأة له. قل له فقط ان الخطاب من صديقة، ولا تقل له أي كلام آخر».

فسألها أرنست «متى ستسافرين إلى هناك لاستلام العمل؟».

«حسناً، لقد قال المستر جيبل انه ينبغي لي الانتظار لعام آخر وقال انني صغيرة في السن وأحتاج للخبرة ودراسة الناس، وأحيانا ما أشعر بالضيق من ذلك وأتمنى لو كنت هناك في منزلي الخاص بي معهم - تلك الستائر الضخمة السميكة وكنبة طويلة ضخمة وسميكة هي الأخرى، لكي أرى صديقاتي: بيتى دافيز وانجريد برجمان وجوان فونتين، فأنا لا أختلط مع الاخريات اللائي يلجان للطلاق باستمرار وأشياء أخرى من هذا القبيل، فنحن نجلس سوية ونتحدث في الأمور الجادة كما اننا ندرس طوال الوقت لأن هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تؤدي إلى ارتقاء الممثلة بحيث تصبح ممثلة عظيمة، وهناك عدد كبير ممن يعاملن المعجبين بهن معاملة وضيعة فلا يوقعن على الاتوجراف وأشياء من هذا القبيل، أما نحن فلا نفعل ذلك، بل اننا في بعض الأحيان ندخل عندنا فتيات من الشارع لتناول قدح من الشاي والتحدث معهن كما لو كن مثلنا تماماً لاننا ندرك اننا مدينون في كل ما حصلنا عليه للمعجبين والمعجبات بنا»، وكانت ترتجف من الداخل بفعل الخوف ولم تستطع الكف عن الكلام، وكانت تبتعد كثيراً عن الدعامة الخشبية ولم تستطع الكف عن الحديث حتى أصبحت الدعامة على وشك ان تقذف بها بعيداً عنها.

وقال أرنست «إنني لم أفهم في بادئ الأمر انك قد انتظمت بالفعل في السلك السينمائي. فهل أنت نجمة سينمائية بالفعل؟».

فقالت نورما «نعم».

واستطردت «ولكنك لم تعرفني بسبب اسمي الذي استخدمه هنا، فأنا لي اسم آخر استخدمه في هوليوود».

«ما هو؟».

فقالت نورما «لا أستطيع أن أخبرك به، وأنت الشخص الوحيد في هذا المكان هنا الذي يعرف أي شيء عني، وآمل الا تقول ذلك لأحد، هل ستخبر الاخرين؟».

فاهتزت مشاعر أرنست وقال «لا، لن أخبر أحداً إذا كانت هذه هي رغبتك».

فقالت نورما «لا تفش سري».

فقال أرنست «بكل تأكيد، أعطني الخطاب وسأضمن وصوله إليه».

«ستضمن وصول ماذا وإلى من؟» هكذا قالت أليس في مدخل الباب. واستطرد «وماذا تفعلان هنا انتما الاثنان وحدكما في غرفة النوم؟» وجالت بعينيها في شك وريبة باحثة الدليل والبرهان، ثم مرت بعينيها بسرعة فوق حقيبة العينات الموجودة على السرير وتوقفت عيناها فوق الوسادة ثم فحصت بعينيها المفرش، وبعدئذ تحركت نحو نورما وطافت بعينيها فوق قدمي نورما ثم فوق ساقيها وتوقفت قليلاً فوق جونلتها وتوقفت بعض الشيء على خصرها وبعدئذ استقرت فوق وجهها المحتقن.

وكانت نورما على وشك الغثيان بسبب الحيرة والارتباك وكان خداها متوهجين بالدماء في أماكن مختلفة، ووضعت أليس يديها على ردفيها.

وقال أرنست مهدئاً الموقف «لقد جئت لآخذ حقيبة عيناتي لكي

أفسح المكان، فطلبت مني ان أسلم رسالة إلى ابن عمها في لوس أنجلوس».

«ولكنها ليس لها ابن عم في لوس أنجلوس».

فقال أرنست في غضب «لها ابن عم بكل تأكيد، وانا أعرف ابن عمها».

وعندئذ انفجر الغضب الذي كان يحاول الخروج من أليس طوال الصباح فصاحت قائلة «اسمع ما أقوله لك، انني لن أسمح للباعة الجائلين بخداع الفتيات اللائي استأجرهن».

فقال أرنست «لم يمسها أحد، لا أحد وضع يده عليها».

«حسناً، وماذا كنت تفعل في غرفة نومها؟».

وتصاعدت حلقات الهستيرها في داخل أليس فصدر صوت صارخ ثقيل من حلقها وسقط شعرها حول وجهها وراحت عيناها تلف في حركة دائرية وقد امتلأت بالدموع. وأصبحت شفتاها قاسيتين مزمومتين كما يفعل المقاتل عندما يضرب في قوة وقسوة غريما له في شبه غيبوبة.

«إنني لن أسكت على هذا الأمر، أتظن انني أريد لها ان تصبح حاملا؟ أتظن انني أريد أولادا غير شرعيين في كل أرجاء المكان هنا؟ ونحن نعطيكم أسرتنا وحجراتنا!!».

فصرخ أرنست قائلاً «قلت لك أن شيئاً لم يحدث».

وكانت تجتاحه موجة من اليأس في مواجهة هذا الجنون، حتى ان انكاره قد رن في أذنيه كأنه اعترافات، ولم يفهم السبب الذي جعلها تقول ذلك القول. وبدأ يشعر بالآلام والاضطرابات في معدته بسبب الاتهامات الظالمة وأخذ الغضب يتصاعد في داخله هو الآخر.

وكان فم نورما مفتوحا والتقط فمها ميكروب الهستيريا فصدرت عنها صرخات كالعويل مع كل نفس لاهث وتقاتلت يداها أمامها كما لو كانت كل يد تحاول تحطيم الأخرى.

وتقدمت أليس نحو نورما وكانت قبضة يدها اليمنى مشددة ليس كقبضة يد امرأة ولكن الأصابع كانت مطوية في قوة والمفاصل الأولى للأصابع متجهة لأعلى وبارزة والابهام ملاصق للمفاصل الأولى. وكانت كلماتها ثقيلة ومبللة: «اخرجي من هنا، اخرجي من المكان بأسره، اخرجي تحت المطر».

ثم قامت أليس بهجوم مفاجئ على نورما فتحركت نورما بعيداً إلى الوراء وصدرت عنها صرخة مليئة بالرعب.

وكانت هناك خطوات سريعة في المدخل وقال جوان في حدة «أليس!!».

فتوقفت، وانفتح فمها في ارتخاء، ودب الخوف في عينيها ودلف جوان إلى الغرفة في بطء وقد وضع إبهاميه في جيبي أفروله كالخطاف. وتحرك نحوها في خفة مثل القط المتسلل. وكان الخاتم الذهبي الموجود في إصبعه الذي قطع جزء منه يلمع في الضوء الرصاصي القادم من النافذة. وتلاشى غضب أليس وحل محله الشعور بالرعب. فابتعدت عنه في خوف وتخطت نهاية السرير وسارت في الطريق المسدود إلى أن أصبحت ملتصقة بالحائط. وهنالك أوقفت.

فهمست قائلة «لا تضربني، أرجوك لا تضربني».

فاقترب جوان منها وتحركت يده اليمنى ببطء على ذراعها في المكان الذي يعلو المرفق مباشرة. وكان ينظر إليها، لا من خلالها أو حولها.

وأدارها برفق وقادها عبر الغرفة ثم عبر الباب وأغلق الباب على نورما وأرنست.

فحملقا في الباب المغلق والتقطا انفاسهما بصعوبة.

ثم قاد جوان أليس إلى السرير المزدوج وأدارها برفق فانحنت في تداعي لأسفل كالكسيح وسقطت إلى الوراء وهي تحملق فيه بجنون ووحشية. فالتقط وسادة من رأس السرير ووضعها تحت رأسها وربت في رفق على خدها بيده اليسرى تلك اليد التي بها إصبع مبتور في جزئه الأعلى وبها خاتم الزواج وقال لها «ستصبحين على ما يرام الآن».

فوضعت ذراعيها على وجهها في شكل متقاطع وكان نشيجها وبكاؤها مخنوقاً وأجشاً وجافاً.

الفصل الخامس

جلست برنسيس برتشارد وابنتها ميلدريد والمستر برتشارد إلى منضدة صغيرة على يمين باب الدخول لصالة الطعام وقد ازداد اقتراب أفراد المجموعة الصغيرة من بعضهم البعض. إذ شعر الشخصان الأكبر سنا انهما بشكل ما معرضين للهجوم، أما ميلدريد فكانت متأهبة لدفع الأذى عنهما. وهي طالما تعجبت كيف ان والديها قد بقيا على قيد الحياة في عالم رديء شديد القسوة والوحشية. فهي كانت تعتبرهما طفلين صغيرين ساذجين بدون حماية، وكانت إلى حد ما على صواب بالنسبة لأمها. ولكن ميلدريد أغفلت ان الطفل لا يتلف ولا يتخاذل فهو راسخ ويثابر مثابرة خالصة ليشق لنفسه طريقا في الحياة. وكان هناك نوع من عدم التلف في برنيس. فقد كانت جميلة بعض الشيء وكان انفها مستقيما وهي قد لبست نظارة لفترة طويلة للغاية حتى ان المسطحات بين عينيها قد تشكلت بفعل الضغط ولم يكن فقط الجزء الغضروفي العالي لانفها رفيعا للغاية بسبب النظارة وإنما ظهرت هناك أيضاً بقعتان حمراوان حيث كان الشنبر يضغط في أوقات منتظمة. وكانت عيناها ملونتين باللون البنفسجي وبهما غشاوة مما كان يعطيهما نظرة جوانية جميلة.

وكانت تتسم بالانوثة والرقة. ودائماً ما كانت ترتدي ملابس بها مسحة من الموضة التي كانت سائدة في فترة مضت. ومن وقت لآخر كانت ترتدي دانتلا مزركشة ودبابيس مشبك من النوع القديم. ودائماً ما

كانت بلوزاتها مزدانة ببعض الشرائط والدانتلات والاشغال اليدوية وكانت الياقات والاساور دائماً بدون عيوب. وكانت تستخدم ماء التواليت لافاندو حتى ان هذه الرائحة كانت تنبعث دائماً من بشرتها وملابسها وحقيبة يدها كما كانت تصدر عنها رائحة أخرى حمضية لا تكاد تدرك وهي الرائحة الخاصة بها. وكان لها رسغان جميلان وقدمان جميلتان وكانت تلبس أحذية باهظة الثمن من جلد الماعز عادة وبها زركشة ودانتلا وفيونكة صغيرة فوق وجه القدم. وكان فمها ذابلا بعض الشيء وصبيانيا وناعما وبدون قدر كبير من الشخصية. وكانت قليلة الكلام للغاية ولكنها قد اشتهرت بين شلتها بالطيبة وحب الخير والذكاء أولاً لقولها أشياء جميلة فقط عن الناس بل وعن أولئك الذين لا تعرفهم وثانيا لعدم تحدثها على الإطلاق عن فكرة عامة من أي نوع باستثناء العطور أو الطعام. فهي كانت تقابل أفكار الناس الآخرين بابتسامة هادئة كما لو كانت تغفر لهم وجود أفكار لديهم. وحقيقة الأمر انها لم تكن تصغي إليهم بانتباه.

ولقد بكت ميلدريد مرات عديدة في غضب عندما كانت ترى ابتسامة أمها التي توحي بأنها تعرف وتغفر وجود تلك الأفكار عقب إحدى خطب ميلدريد السياسية أو الاقتصادية. وقد اكتشفت الابنة بعد وقت طويل ان أمها لم تكن تستمع على الإطلاق لأية مناقشات ليست لها علاقة بالناس أو الأماكن أو الأشياء المادية. ومن جهة أخرى كانت برنيس لا تنسى مطلقاً أية معلومات تفصيلية عن السلع أو الألوان أو الاسعار؛ إذ كان باستطاعتها ان تتذكر على وجه الدقة المبلغ الذي دفعته ثمنا لقفاز أسود من السويد منذ سبع سنوات. ولقد كانت مغرمة بالقفازات والخواتم - أي نوع من الخواتم. كما كانت تحتفظ بمجموعة كبيرة إلى حد ما ولكنها كانت تلبس دائماً مع أي شيء آخر خاتم

الخطوبة الماسي الصغير الخاص بها وأسورة الزواج الذهبية، وهذه الأشياء كانت تخلعها لدى الاستحمام فقط. وكانت تظل لابسة لها لدى قيامها بغسل أمشاطها وفرشاتها في ماء النشادر في حوض غسيل الايدي. فماء النشادر ينظف الخواتم ويزيد الماسات الصغيرة لمعانا وبريقا.

وكانت حياتها الزوجية بهيجة إلى حد ما وكانت معجبة بزوجها. وكانت تظن انها تعرف نقاط ضعفه وحيله وأساليبه ورغباته. وهي نفسها كانت معوقة بما يعرف بحالة «البرود الجنسي» مما حال بينها وبين تحقيق أي نشوة من زوجها، كما كانت تعاني من الحموضة مما كان يمنعها من الحمل بالأطفال إلا إذا قامت أولاً بتحييد الاحماض في جسدها صناعيا. وهي قد اعتبرت هاتين الظاهرتين أمراً طبيعيا وأي تعديل لهما يعد أمراً شاذا ولا طعم له. وكانت تتحدث عن النساء من ذوات الرغبة الجامحة بأن تشير إليهن بقولها «ذلك النوع من النساء» وكانت تشعر بالاسف بعض الشيء من أجلهن مثلما تشعر بالاسف نحو المدمنين على تعاطي المخدرات والمواد الكحولية.

وهي قد تقبلت الرغبة الجنسية المتفتحة لدى زوجها ثم تدرجت المسألة وأصبحت تتقبلها وهي على وشك الإغماء ولكن عدم الرغبة المستمرة من جانبها قد أدى إلى اختناق رغبة زوجها تدريجيا إلى أن بدأ يعتقد في النهاية انه بصدد الوصول إلى مرحلة من العمر تكون فيها مثل هذه الأمور غير ذات بال.

ومن حيث أسلوبها في الحياة كانت امرأة قديرة للغاية. إذ كانت تدير منزلا مناسباً ونظيفا ومريحا وتعد وجبات مفيدة ومغذية دون أن تكون لذيذة الطعم. فهي كانت تعتقد ان التوابل لا لزوم لها لأنه قيل لها منذ

فترة طويلة انها تقوي الرغبة لدى الرجال. ولم يكن ثلاثتهم ـ هي والمستر برتشارد وميلدريد ـ يعانون من أي زيادة في الوزن على الإطلاق، ربما بسبب سخافة الطعام الذي لا يفتح الشهية.

وعرفت برنيس بين صديقاتها كواحدة من ألطف الناس الذين تصادفهم طوال حياتك ومن أكثر الناس بعدا عن الانانية وحب الذات وغالبا ما كن يتحدثن عنها كقديسة وهي نفسها كثيراً ما قالت انها سعيدة لأنها تحتفظ بألطف الصديقات وأكثرهن إخلاصا في العالم بأسره. وكانت تحب الزهور وتزرعها وتشذبها وتضع لها المخصبات وتقطفها. وكانت تحتفظ دائماً في منزلها بفاظات الزهور حتى ان صديقاتها قلن عن منزلها انه يشبه «محل بيع الزهور» وكانت ترتب الزهور بنفسها بطريقة رائعة للغاية.

وهي لم تكن تتعاطى الادوية. وفي أغلب الأحيان كانت تعاني في صمت من الإمساك إلى أن تريحها الضغوط المتراكمة. وهي لم يسبق لها على الإطلاق ان مرضت مرضا حقيقياً أو أصيبت بإصابة بالغة وبالتالي لم يكن لديها مقياس تقيس به الالم. فمجرد وخزة في جانبها أو صداع أو ألم غازي تحت قلبها كان يجعلها تقتنع بينها وبين نفسها انها على وشك ان تموت. وكانت واثقة من انها ستموت عندما تلد ابنتها ميلدريد حتى انها رتبت كل شيء لكي تكون سهلة بالنسبة للمستر برتشارد بل انها قد كتبت رسالة لا تفتح الا عقب وفاتها تنصح فيها زوجها بأن يتزوج مرة أخرى حتى يمكن للطفل أو الطفلة ان يحصل على أم. ومزقت الرسالة فيما بعد.

وكان جسدها وعقلها بليدين كسولين. وفي أعماقها كانت تحارب حقدا دفينا على الناس الذين جربوا أشياء جميلة بينما هي قد اجتازت

الحياة كسحابة رمادية في غرفة رمادية. ونظرا لقلة مدركاتها الحقيقية فإنها عاشت وفقا لبعض القواعد: التعليم حسن ومفيد. ضبط النفس ضروري. كل شيء في وقته ومكانه. الاسفار توسع الآفاق. وكانت هذه القاعدة الاخيرة هي التي أرغمتها أخيراً على الذهاب في إجازة إلى المكسيك.

وهي لم تعرف كيف توصلت إلى قراراتها النهائية. فقد كانت عملية مطولة وبطيئة قائمة على تلميحات وإيعازات واقتراحات وأحداث لا نهاية لها إلى أن دفعت كثرتها العددية المسألة إلى التحقق في النهاية فهي في حقيقة الأمر لم تكن ترغب في الذهاب إلى المكسيك ولكنها كانت ترغب في مجرد العودة إلى صديقاتها عقب زيارة المكسيك. أما زوجها فلم تكن لديه الرغبة في الذهاب على الإطلاق. وهو كان يفعل ذلك من أجل أسرته ولانه كان يأمل في أن تعود عليه هذه الرحلة بالخير والنفع الثقافي. أما ميلدريد فكانت ترغب في الذهاب ولكن ليس مع والديها. إذ كانت ترغب في مقابلة أناس جدد وغرباء عليها ومن خلال مثل هذه الاتصالات والعلاقات تصبح هي نفسها إنسانة جديدة وغريبة. فقد كانت تشعر ان لديها ينابيع هائلة من العاطفة في داخلها لم يزح عنها الستار. فلربما كانت لديها تلك الينابيع. فكل شخص لديه هذه الينابيع تقريبا.

ورغم ان برنيس برتشارد ترفض الخرافات، فإنها كانت تتأثر تأثرا عميقاً بالدلائل والتلميحات، فانهيار الأتوبيس في وقت مبكر من الرحلة أخافها أو بدا ذلك كنذير سوء لسلسلة من الحوادث التي تفسد الرحلة تدريجيا. وهي كانت حساسة بالنسبة لما يعانيه المستر برتشارد من قلق. ففي الليلة الماضية قالت له وهي مستلقية بدون نوم في سرير آل شيكوي المزدوج ومصغية لانفاس زوجها المنبعثة في تنهد «ستحول هذا إلى مغامرة عندما ينتهي. انني أكاد أسمعك وأنت تتحدث عنه. سيكون هذا أمراً غير عادي يبعث على التسلية والضحك».

فقال لها المستر برتشارد «أظن ذلك».

لقد كان هناك إعزاز ومحبة من نوع معين بين هذين الشخصين، تكاد تكون علاقة من النوع الموجود بين أخ وأخته. وقد نظر المستر برتشارد إلى حالة القصور عند زوجته كامرأة على انها من سجايا وصفات المرأة الحميدة. وهو لم يكن يخامره أدنى شك بالنسبة لأمانتها وإخلاصها، إذ كان يدرك في اللاشعور انها لا تستجيب للمؤثرات كما كان يدرك في داخل عقله ان ذلك أمر سليم. وكان يرجع حالة أعصابه وأحلامه المزعجة والآلام الحادة التي تظهر أحياناً في الجزء الأعلى من جوفه إلى تناول قدر كبير للغاية من القهوة وعدم ممارسة قدر كاف من الرياضة البدنية.

كان معجباً بشعر زوجته الجميل المتموج دائماً والنظيف دائما. كما كان معجبا بملابسها النظيفة الخالية من البقع والتلوث. وكان يحب التهاني التي تتلقاها زوجته على حسن إدارتها للمنزل وعنايتها بأزهارها. لقد كانت زوجة يفتخر بها الإنسان وهي قد انجبت وربت ابنة جميلة. ابنة جميلة وفي صحة جيدة.

فقد كانت ميلدريد فتاة جميلة، فتاة طويلة، أطول من أبيها ببوصتين وأطول من أمها بخمس بوصات. وقد ورثت ميلدريد عن أمها العيون البنفسجية والضعف الذي يسري فيهما. فهي كانت تلبس النظارة إذا أرادت رؤية شيء بوضوح. وكان فخذاها وردفاها متماسكين ومستقيمين وناعمين بسبب كثرة التمرينات الرياضية. إذ كانت تجيد لعبة التنس وكانت قلب الهجوم في فريق كرة السلة التابع لكليتها. وكان ثدياها كبيرين ومتماسكين وعريضين عند القاعدة. وهي لم ترث النكبة الفزيولوجية الموجودة عند أمها. فهي قد مارست الحب مرتين ممارسة تامة وبالغة حد الكمال مما أعطاها إشباعا هائلا وجعلها تتطلع باستمرار إلى ضرورة وجود علاقة دائمة.

وكان ذقن ميلدريد يتم عن التصميم والعزم مثل ذقن والدها. وكان فمهاً ممتلئاً وليناً ومتهيباً بعض الشيء. وكانت تلبس نظارة ثقيلة ذات شنبر أسود مما كان يضفي عليها طابع التلميذة. وكانت المفاجأة تعلو دائماً وجوه معارفها الجدد لدى رؤيتها في حفل راقص بدون نظارة، وكانت تجيد الرقص إذا تحرت الدقة بعض الشيء ولكنها كانت تمارس الرياضة البدنية وربما كانت تزاول الرقص في حرص أكثر من اللازم وبدون الاسترخاء الكافي. وكان لديها شيء من الميل نحو الزعامة والقيادة وان كان ذلك أمراً يمكن التغلب عليه عن طريق شريك له معتقدات وحجج قوية مقنعة.

وكانت معتقدات ميلدريد قوية أيضاً ولكنها كانت قابلة للتغيير. وهي قد تناولت بعض القضايا وكانت عادة قضايا حسنة. وهي لم تفهم والدها على الإطلاق لأنه كان يحيرها ويربكها. فعندما تقول له شيئاً معقولا ومنطقياً تجد فيه غباء أبكم وعجزا تاما في مقدرته على التفكير مما كان يرعبها. ولكنه بعدئذ يقول أو يفعل شيئاً ذكيا للغاية حتى انها قد تتحول فجأة إلى الاتجاه الآخر. فهي عندما كانت تقتنع بأنه صورة كاريكاتيرية لرجل أعمال بخيل وحقير وقاس كان يحطم مفهومها الذهني عنه بعمل أو بفكرة تتسم بالكرم والرقة وحسن التمييز والادراك.

ولم تكن تعرف شيئاً عن حياته العاطفية على الإطلاق تماماً مثلما لم يعرف هو عنها شيئاً. وحقيقة الأمر انها كانت تعتقد ان الرجل في متوسط عمره لا تكون له حياة عاطفية. فقد كانت ميلدريد ـ وهي الفتاة التي بلغت من العمر واحداً وعشرين عاماً ـ تشعر ان العصارات والسوائل تجف عند سن الخمسين طالما ان الجاذبية في تلك الحقبة من العمر تضيع من الرجال والنساء على حد سواء. وهذه حقيقة واقعة لذلك كانت تعتقد ان من المناظر القبيحة ان ترى رجلا أو امرأة في سن الخمسين في حالة حب.

ولكن إذا كانت هناك فجوة بين ميلدريد وأبيها فقد كانت هوة سحيقة بينها وبين أمها. فالمرأة التي ليس لها رغبات قوية تتطلب الاشباع لا يمكن أبداً ان تصبح قريبة من نفس فتاة لها رغبات قوية وكانت هناك محاولة مبكرة من جانب ميلدريد لأن تشترك مع أمها في النشوة الكبرى وتحصل من وراء ذلك على التثبت ولكنها قوبلت بالذهول والحيرة وعدم التوصل إلى فهم المطلوب مما دفع ميلدريد إلى الانسحاب إلى داخل ذاتها. ثم ظلت لفترة طويلة فاقدة الثقة في أي فرد ومعتقدة انها فريدة من نوعها وان جميع النساء الاخريات يشبهن أمها. ومع ذلك فقد تمكنت امرأة شابة ضخمة الجثة قوية العضلات تعلم الهوكي والكرة الرخوة والرماية بالسهام في الجامعة من كسب ثقة ميلدريد أخيرا. كسبت كل ثقتها ثم حاولت الذهاب معها إلى الفراش. ولم تنمح هذه الصدمة من نفسها الا عندما ذهب معها بالفعل إلى الفراش طالب في الهندسة رخيم الصوت وله شعر كالاسلاك.

وبعدئذ أصبحت ميلدريد صامتة لا تفصح عن أفكارها وخططها. وأصبحت تدبر أفكارها بنفسها وانتظرت الوقت الذي تتحرر فيه من والديها إما بالموت أو الزواج أو الحوادث. ولكنها كانت تحب والديها وهي كانت ستخاف من نفسها لو ان رغبتها في موتهما قد ظهرت على سطح عقلها يوماً ما.

ولم يكن هناك على الإطلاق أي ارتباط وثيق بين هؤلاء الثلاثة على الرغم من المحافظة على الشكليات محافظة تامة. فقد كانوا أعزاء وأحباء وودودين. ولكن جوان شيكوي وزوجته أقاما علاقة بينهما بشكل منتظم وعلى نحو لا يدرك كنهه المستر برتشارد وزوجته. وكانت صداقات ميلدريد الوطيدة التي تحقق لها الاشباع لا يعرف والداها أي شيء عنها. وكان يجب الا يعرفا. كان الموقف يتطلب الا يعرفا؛ إذ كان والدها

ينظر إلى الفتيات الصغيرات اللائي يرقصن عاريات في المواخير على انهن لا اخلاق لهن. ولكنه لم يكن يتصور انه وهو الذي شاهد وصفق ودفع النقود للفتيات كان بأي شكل من الاشكال مرتبطا بالفساد والرذيلة.

وهو قد حاول مرة أو مرتين بناء على إصرار من زوجته ان يحذر ميلدريد من الرجال لمجرد ان يعلمها كيف تحمى نفسها. ولقد كان يعتقد ان لديه معلومات وفيرة عن العالم مع ان كل معلوماته كانت عبارة عن الاقوال والروايات التي سمعها علاوة على الزيارة الوحيدة التي قام بها إلى منزل اللهو وزيارة المراخير وإذعان زوجته له وهو إذعان خال من العاطفة والاستجابة.

وفي هذا الصباح كانت ميلدريد ترتدي سويتر وجونلة مطوية وحذاء منخفضا يشبه الخف. وكان ثلاثتهم يجلسون إلى المنضدة الصغيرة في صالة الطعام. وكان معطف المدام برتشارد المصنوع من فراء الثعلب والذي له ثلاثة أرباع طول معلقا على مشجب بجانب المستر برتشارد. وكان من عادته ان يرعى هذا المعطف وان يساعد زوجته على ارتدائه منها ويتأكد من انه قد علق بطريقة سليمة ولم يلق في إهمال. وكان يربت على زغب الفراء بيده عندما يتضح له انه تعرض للتكسير والضعضعة. وهو قد أحب هذا المعطف وأحب فيه انه غالي الثمن. وكان يحب ان يرى زوجته مرتدية هذا المعطف وان يسمع النساء الاخريات وهن يتحدثن عنه في تأمل. فالفراء المأخوذ من ثعلب أسود اللون كان نادر الوجود نسبيا ولذلك فهو شيء قيم يمتلكه الإنسان ومن ثم كان المستر برتشارد يهتم به اهتماماً خاصاً. وكان هو أول من يقترح دائماً وضعه في الدولاب مع بوادر الصيف وهو الذي اقترح عدم أخذه إلى المكسيك بالمرة. أولاً لأن المكسيك دولة استوائية وثانيا بسببب وجود العصابات التي قد تسرقه. أما المدام برتشارد فأشارت إلى ضرورة

أخذه إلى المكسيك أولاً لأنه ينبغي لهم ان يزوروا لوس أنجلوس وهوليود حيث يرتدي الجميع معاطف من الفراء وثانيا لأن الجو بارد للغاية في المكسيك ليلاً واستسلم المستر برتشارد لرأيها بسهولة إذ كان المعطف بالنسبة له وبالنسبة لزوجته هو البادج الذي يدل على علو مركزهم الاجتماعي وعلى انهم ناجحون في الحياة ومحافظون وراسخون.

كان المعطف في تلك الاونة معلقا بجوار المستر برتشارد. فجرى بأصابعه في مهارة بين الشعر لكي يبعد شعر الوقاية الطويل عن الطبقة الداخلية للمعطف. ولقد سمعوا أثناء جلوسهم إلى المنضدة ـ من خلال غرفة النوم ـ هجوم أليس الصارخ الخشن على نورما وصدموا صدمة كبيرة لدى سماعهم السفالة والابتذال الحيواني في هجومها مما دفعهم لأن يقتربوا من بعضهم البعض بقدر المستطاع. وأشعلت ميلدريد سيجارة متجنبة النظر في عيني أمها. وكانت قد بدأت تدخن السجائر منذ الشهور الستة الاخيرة أي عندما بلغت سن الواحد والعشرين. وبعد الانفجار الأول لم يطرق الموضوع شفاهة مرة أخرى على الإطلاق. ولكن أمها كانت تعبر عن عدم ارتياحها بتعبيرات من وجهها في كل مرة تشعل فيها ميلدريد سيجارة أمامها.

وكان المطر قد توقف. وكان الماء يتساقط من أشجار البلوط البيض فوق السطح. وكانت الأرض مبتلة بالماء والتراب معجونا بالمياه وكانت الأرض مخضلة. أما الحبوب الممتلئة والثقيلة بفعل البلل وبفعل الربيع الخصيب فقد مالت في تثاقل إلى أسفل تحت وطأة كميات المطر الاخيرة حتى انها امتدت بعيداً في تموجات مكدودة وكانت المياه تسيل وتجري وتبقبق وتندفع لتجد لنفسها أماكن منخفضة في الحقول، وكانت الحفر بجانب الطريق الرئيسي المرصوف الخاص بالولاية ممتلئة بالمياه،

بل وكانت المياه تغزو هذا الطريق المرتفع في بعض الأماكن. وفي كل مكان كان هناك خرير المياه واندفاع المياه. وفقدت جميع نباتات الخشخاش الذهبية أوراق زهورها وأصبحت نباتات الترمس مستلقية ومنتفخة وثقيلة للغاية بحيث لا تقوى على رفع رؤوسها.

وبدأت السماء تصغر وبدأت المساحة الشاملة للسحب في التمزق إلى قطع فأصبحت هناك مساحات من السماء الصافية المحببة للنفس تتحرك عليها سحب خفيفة بسرعة. وهبت ريح عاتية في طبقات الجو العليا وأخذت تنشر وتمزج وتنسح السحب مع بعضها البعض كالحصيرة ولكن الهواء على الأرض كان ساكنا تماماً وكانت هناك رائحة الديدان والحشرات ورائحة الأعشاب المبللة والجذور المكشوفة.

وجرت المياه في الحفر الضحلة من منطقة صالة الطعام والكراج في الريبل كورترز إلى الحفرة الكبيرة بجوار الطريق الرئيسي. وكان الأتوبيس يقف لامعا ونظيفا في طلائه الالمنيوم وكانت المياه ما زالت تقطر من جوانبه وزجاجه الأمامي الذي ظهرت به خطوط صغيرة من الأمطار. وفي داخل صالة الطعام كان الدفء يزيد بعض الشيء عن الوضع الطبيعي.

وكان بيميلز خلف الكاونتر يحاول تقديم العون والمساعدة بإنجاز أي عمل. وهو لم يفعل هذا على الإطلاق من قبل. فهو قد التحق بأعمال مختلفة قبل مجيئه للريبل كورنرز ولكنه كان دائماً يكره العمل وبالتالي يكره مستخدميه. إلا أن تجربة الصباح كانت لا تزال قوية التأثير عليه حيث كان لا يزال يسمع صوت جوان في أذنيه وهو يقول له «كيت. امسح يديك وتبين ما إذا كانت أليس قد أعدت القهوة» لقد كانت أجمل عبارة سمعها في حياته فأحدثت أعظم تأثير عليه. ولذلك فقد أراد أن

يفعل شيئاً من أجل جوان. فقام بعصر البرتقال ليقدم العصير لآل برتشارد وحمل القهوة إليهم وكان يحاول الآن ان يراقب محمصة الخبز ويقلي البيض على نحو يختلط فيه الصفار بالبياض.

وقال المستر برتشارد «نحن جميعا سنتناول بيضا مقليا مختلطا البياض بالصفار. فهذا سيسهل الأمر أكثر. ويمكنك أن تترك الجزء الخاص بي من البيض في المقلاة لفترة أطول ليصير جيداً وجافاً».

فقل بيميلز «أوكي» وكانت مقلاته ساخنة للغاية وكان البيض يتكتك ويخشخش وتصدر عنه رائحة تشبه رائحة ريش الدواجن المبلل بسبب القلي السريع للغاية.

وكانت ميلدريد قد وضعت ساقا على ساق وهي جالسة. وكانت جونلتها ممسوكة تحت ركبتها على نحو يوحي بانكشاف الجانب البعيد عن بيميلز. فأراد ان يذهب للجانب الآخر لإلقاء نظرة. ونظرت عيناه الضيقتان المتحركتان بسرعة نظرات سريعة لا حصر لها نحو المساحات التي سيراها. ووضع خطة في ذهنه بحيث إذا لم تتحرك هي فإن عليه ان يقدم البيض ويضع فوطة سفرة على ذراعه وبعد ان يضع لهم أطباقهم يتخطى منضدتهم ويستمر في السير الصدفة. ثم ينحني لأسفل وينظر للخلف من تحت ذراعه وعندئذ يكون باستطاعته رؤية ساق ميلدريد.

وأحضر فوطة السفرة وراح يمزج البيض ويخلطه بسرعة لكي يتم إعداده قبل أن تتحرك ميلدريد في جلستها. ولكن البيض كان قد التصق حتى انه اضطر لأن يجرفه من على السطح لكي يترك القشرة المحروقة في المقلاة. وملأت رائحة البيض المحروق صالة الطعام. فنظرت ميلدريد لأعلى وشاهدت البريق في عيني بيميلز ثم نظرت لأسفل ولاحظت ان جونلتها ممسوكة فجذبتها. ورآها بيميلز وهي تفعل ذلك

دون أن ينظر إليها نظرة مباشرة. وأدرك انه قد انكشف أمره فاندفعت الدماء إلى وجهه وأحس باللسع والوخز في خديه.

وارتفع دخان أسود من مقلاة البيض كما ارتفع دخان أزرق من محمصة الخبز. فجاء جوان في هدوء من غرفة النوم وراح يشم الرائحة في عمق.

وقال «يا إلهي! ماذا تفعل يا كيت؟».

فرد بيميلز في قلق واضطراب«انني أحاول تقديم العون والمساعدة بعمل أي شيء».

فابتسم جوان وقال «حسناً، شكراً لك، ولكن أظن انه يستحسن الا تساعد بإعداد البيض» ثم تقدم نحو موقد البوتاجاز وأخذ المقلاة الساخنة المليئة بالبيض المحروق ووضعها كما هي في الحوض وفتح صنبور الماء عليها فأحدثت أزيزا وصفيرا وبقللة لفترة قصيرة ثم خمدت في توجع تحت الماء.

وقال جوان «ياكيت، اذهب للخارج وحاول تشغيل الموتور، فإذا لم يدر لا تجعله يشرق لأن ذلك سيؤدي إلى إغراقه فقط. إذا لم يدر الموتور مباشرة اخلع رأس الموزع وجفف أطرافه فلربما قد أصابه بعض البلل. وإذا نجحت في تشغيل الموتور اجعله يدور ببطء لدقائق قليلة وبعد ذلك انقله إلى سرعة عالية واجعل العجلات تدور وتلف ولكن احرص على الا يخلص الأتوبيس نفسه وينزل من فوق تلك الركائز الخشبية. اجعل الموتور يدور ببطء ودون أن يتحرك الأتوبيس بالفعل».

فمسح بيميلز يديه وتساءل «أينبغي ان أفتح صمام الزيت أولاً لأتأكد من ان وعاء الزيت لا يزال ممتلئا؟».

«نعم، أنت تعرف طبيعة عملك، نعم القي نظرة، فالزيت على

المشبك في نهاية محور العجل كان سميكا بعض الشيء هذا الصباح» فقال بيميلز «ولكن الأتوبيس قد يهز نفسه ويهبط من فوق القوائم الخشبية» وكان قد نسي النظرة الاخيرة على ساق ميلدريد وبدأ يزهو بنفسه بسبب مديح جوان له.

«يا كيت، انني لا أتخيل ان يقوم أي إنسان بسرقة الأتوبيس، ولكن عليك بمراقبته» فضحك بيميلز في مرح ممزوج بالتملق على نكتة رئيسه في العمل وخرج من الباب.

ونظر جوان عبر الكاونتر وقال للحاضرين «زوجتي ليست على ما يرام الآن، ماذا تريدون لأحضره لكم أيها الناس؟ مزيد من القهوة؟».

فقال المستر برتشارد «نعم. لقد كان الولد يحاول أن يقلي بعض البيض فحرقه تماماً. زوجتي تحب البيض غير ناضج تماماً».

فاستدركت مدام برتشارد «أحبه كذلك إذا كان طازجا».

فقال المستر برتشارد «إذا كان طازجا، وأريد البيض الخاص بي جافا».

فقال جوان «البيض طازج وعلى ما يرام، طازج لأنه خارج لتوه من الثلج».

فقال مدام برتشارد «لا أظن انني أستطيع تناول بيض مخزون في الثلج».

«حسناً هذه هي حالة البيض فلن أكذب عليكم».

فقالت مدام برتشارد «سأتناول فطيرة فقط».

وقال المستر برتشارد «وانا أريد نفس الشيء».

ونظر جوان نظرة جريئة مكشوفة مليئة بالإعجاب إلى ساقي ميلدريد،

ونظرت هي إليه فارتفعت عيناه تدريجيا من فوق ساقيها وامتلأت عيناه السوداوان بمتعة كبيرة للغاية وظهر فيها الإعجاب بكل صراحة ودون مواربة حتى ان ميلدريد أحمر وجهها خجلا بعض الشيء ودبت الحمى والسخونة في كيانها وخارت قواها وشعرت بهزة كهربائية.

وأشاحت بنظرها بعيداً عنه وقالت «أظن انني بحاجة إلى مزيد من القهوة. وسأحتاج أيضاً إلى فطيرة».

فقال جوان «لم يتبق سوى فطيرتين فقط. سأحضر لكم فطيرتين وقوقعة حلزونية من الحلوى ويمكنكم ان تتصارعوا على هذه الأشياء».

ودبت الحركة فجأة في موتور الأتوبيس بالخارج وبعد برهة قصيرة انخفضت سرعته إلى هدير خفيف.

فقال جوان «صوت الأتوبيس على ما يرام».

وخرج أرنست هورتون في هدوء من باب حجرة النوم في خفية بعض الشيء وأغلق الباب وراءه وسار إلى أن وصل إلى المستر برتشارد ووضع الستة لفائف على المنضدة وقال «هاك ستة منهم».

فانتزع المستر برتشارد حافظة نقوده وتساءل «أمعك فكة ورقة فئة العشرين دولار».

فضغط جوان على الزر المكتوب عليه «ليس للبيع» في آلة تسجيل النقود ورفع العجلة في قسم الفواتير وقال:

«باستطاعتي ان أعطيك ورقتين من فئة العشرة دولارات».

فقال أرنست هورتن «هذا يفي بالغرض المطلوب، فأنا معي دولار أو نحو ذلك وأنت مدين لي بتسعة دولارات» وأخذ ورقة من فئة العشرة دولارات وأعطى المستر برتشارد دولارا.

فتساءلت مدام برتشارد «ما هذه الأشياء؟».

والتقطت واحدة منها. فجذبها زوجها بسرعة من يدها. وقال لها في غموض «لا تأخذيها».

«ولكن ما هذه الأشياء».

فقال المستر برتشارد في مداعبة «ذلك أمر أعرفه انا، ولن يمضي وقت طويل حتى تعرفيه».

«أوه! أهي مفاجأة؟».

«هذا صحيح، وعلى الفتيات الصغيرات عدم التدخل فيما لا يعنيهن» وكان المستر برتشارد يسمي زوجته دائماً «الطفلة الصغيرة» عندما يود المزاح معها مما كان يجعلها تتحول تلقائيا إلى نفس المزاح عند زوجها فتصير لعوبة هي الأخرى.

فسألته «ومتى ترى الفتيات الكسولات اللائي بدون عمل الهدايا الجميلة؟».

فقال «ستعرفين» وحشى اللفائف المنبسطة في جيبه الجانبي. وأراد ان يدخل عليها وهو يعرج عندما تحين له الفرصة. وقرر ان يدخل تغيرا من عندياته على هذه الخدعة. إذ سيدعى ان قدمه محتقنة إلى حد كبير بحيث لا يستطيع أن يخلع حذاءه وجوربه بنفسه وسيجعل زوجته تخلع له جوربه. ويا لها من إثارة عظيمة وهو يرقب وجهها. ستكون على وشك الإغماء عندما ترى قدمه المحتقنة.

وسألته في ضيق بعض الشيء «ما هذه الأشياء يا إليوت؟».

«ستعرفين، ولا داعي لأن تضايقي نفسك يا فتاتي الصغيرة».

واستانف الحديث مع أرنست «اسمع، لقد خطرت لي توا فكرة جديدة، سأقولها لك فيما بعد».

فقال أرنست «نعم، ان هذا هو ما يجعل العالم يفور بالحيوية والتجديد. فأنت تتوصل إلى فكرة جديدة وتتسلط الفكرة على عقلك. وأنت تريد ان تحدث تغييرا جذريا ولكن المسألة مجرد فكرة بسيطة تشبه ما يسمونه في هوليود بتغيير في خط السير. فأنت تأخذ أحد الأشياء التي حققت نجاحاً ماديا وتدخل عليها التغيير. وهو تغيير ليس كبيراً للغاية ولكنه تغيير بالقدر الكافي وعندئذ تكون قد حصلت على شيء جديد».

فقال المستر برتشارد «ان ذلك أمر معقول ومنطقي».

فقال أرنست «إن مسألة الأفكار الجديدة غريبة ومدهشة».

ثم جلس على كرسي بدون مسند ووضع ساقا على ساق واستطرد قائلاً «فلقد توصلت إلى نوع من الابتكار وتوهمت اننى سأجلس لأحصي أرباحي ولكنني كنت مخطئاً في أوهامي هذه؛ ان هناك عدداً كبيراً من الأشخاص يسافرون كثيراً مثلي هنا وهناك ويعتمدون في حياتهم على الحقيبة. حسناً وربما يكون هناك اجتماع أو مؤتمر يتعين عليك أن تحضره أو ربما يكون أمامك موعد جميل، عندئذ فأنت تحب ان تكون مرتديا جاكيت توكسيدو للسهرة حسناً. فأنت إذا وضعت هذه الجاكيت في حقيبة السفر فإنها تشغل حيزا كبيراً وربما لا تستخدمها سوى مرة واحدة أو مرتين طوال الرحلة. حسناً، من هنا جاءت لي الفكرة. افترضت ان يأخذ المسافر معه بدلة جميلة قائمة تصلح للأعمال - يكون لونها كحليٍ غامق أو تكاد تكون سوداء أو اكسفورد - وافترضت ان يكون لهذه البدلة أغطية من الحرير تشبه الاهداب الصغيرة والاشرطة

الحريرية التي تمسك بالبنطلون. ففي فترة ما بعد الظهر تكون لديك بدلة داكنة جميلة ثم تنزل الاغطية الحريرية إلى الاهداب المزركشة وتربط الاشرطة وعندئذ يكون لديك جاكيت توكسيدو. ولقد فكرت أيضاً في كيس صغير لوضعها فيه».

فصاح المستر برتشارد «يا لها من فكرة رائعة. انني أقول لك انني قد اضطررت لتخصيص مكان في حقيبتي من أجل جاكيت توكسيدو. ويهمني ان أعرف شيئاً من هذا القبيل. ولو انك أعددت العدة لهذا الابتكار ونظمت جملة دعائية على المستوى القومي فلربما نستطيع الحصول على موافقة أحد نجوم السينما الكبار على هذه الفكرة».

فرفع أرنست يده وقال «وهذا بالضبط هو ما تخيلته. ولكنني كنت مخطئاً وأنت على خطأ أيضاً. لقد رسمت كل شيء على الورق وكيف ان العملية ستسير على ما يرام وكيف ان ساق البنطلون سيكون لها عروات صغيرة جداًمن الحرير من أجل المشابك وبعدئذ تصادقت مع شخص يسافر ويجوب البلدان من أجل التسويق لمحلات كبيرة تبيع الملابس» ثم ضحك أرنست واستطرد قائلاً:

«وهذا الصديق أوضح لي الموقف على وجه السرعة فقال لي:

انت بهذه الطريقة تعاقب المحلات الكبرى عقابا قاسيا. انهم يبيعون التوكسيدو في أي مكان بسعر يتراوح بين ٥٠ و١٥٠ دولاراً أمريكيا. وأنت تجيء بأفكار جديدة لتبيع التوكسيدو بمبلغ بسيط تافه لا يتعدى عشرة دولارات. انهم سيطردونك من المنطقة بأقصى سرعة».

وهنا أومأ المستر برتشارد في حزم وقال «نعم، انني أدرك الموقف الآن، انهم يعملون على حماية انفسهم وحماية المساهمين».

وقال أرنست «وكنت قد تصورت انني سأجلس لأحصي أرباحي.

وتخيلت ان الشخص الذي يسافر بالطائرة مثلاً تواجهه مسألة عدم تخطى حقائبه لوزن معين وان ذلك الشخص لديه كل الحق في أن يوفر مكاناً في حقيبة سفره. فالمسألة تبدو كأنها بدلتان تأخذان وزن بدلة واحدة. وبعدئذ تصورت ان شركات المجوهرات ربما تشتري الفكرة مجموعة من أزرار الزينة وأزرار كم القميص وطيات الجاكيت والاساور كلها في عبوة جميلة. وانا لم أبدأ في تنفيذ فكرتي هذه ولم أسترشد برأي أي شخص ولم أقم بالدعاية اللازمة حتى الآن، فلربما لا يزال بها شيء ما».

فقال المستر برتشارد «الأمر يستلزم ان نجلس سوية لنتباحث الأمر جيداً. هل سجلت هذه الفكرة؟».

«حسناً، لا، فأنا لم أرغب في الدخول في النفقات قبل أن أعثر على شخص تستهويه الفكرة».

فقال المستر برتشارد «أوه! أظن انك على حق.. مصاريف المحامين وغير ذلك يكلف قدرا من المال أنت على حق».

ثم غير موضوع الحديث وسأل جوان «متى سنبدأ الرحيل».

«حسناً! الأتوبيس الجريهاوند سيصل إلى هنا حوالي الساعة العاشرة. وهذه الأتوبيسات تحضر لنا بضائع بشكل منتظم كما تحضر لنا بعض المسافرين. لذلك ينبغي لنا ان نبدأ الرحيل في العاشرة والنصف وهذا هو جدول المواعيد. هل لي أن أحضر لكم أيها الناس أي شيء آخر؟ هل أحضر المزيد من القهوة؟».

فقال المستر برتشارد «أريد قدحا آخر من القهوة» فأحضر له جوان القهوة، ونظر إلى الخارج من النافذة فرأى الأتوبيس الذي تدور عجلاته

في الهواء. ونظر المستر برتشارد إلى ساعته وقال «لا يزال أمامنا ساعة من الزمن».

وجاء رجل طويل منحنى الظهر كبير في السن من حول جانب المبنى، وهو الرجل الذي كان قد نام في سرير بيميلز. ثم فتح الباب المؤدي إلى صالة الطعام ودخل إلى الصالة وجلس على كرسي بدون مسند. وكان رأسه منحنيا باستمرار نحو الأمام على جذع رقبته حتى ان أرنبة أنفه كانت تشير مباشرة نحو الأرض. وكان قد تخطى سن الستين بكثير. وكان حاجباه متدليين فوق عينيه تماماً مثل حاجبي كلب صيد من نوع «سكاي». وكانت شفته العليا الطويلة ذات المجرى العميق مرفوعة فوق أسنانه مثل زلومة الحلوف الصغيرة وبدا طرف سنته الوسطى كأنه ممسوك. أما عيناه فلها لون ذهبي ممزوج باللون الاصفر مما جعله يبدو متوحشاً.

وقال بدون أي مقدمات تمهيدية «انني لا أستريح لذلك وبالأمس لم أسترح لما حدث عندما تعطل الأتوبيس. وشعوري بالقلق متزايد اليوم أكثر من الأمس».

فقال جوان «لقد أصلحت الات الجر الخلفية للأتوبيس، وهو يدور الآن بشكل لائق».

فقال الرجل «يبدو انني سألغي رحلتي وأعود إلى سان يسيدرو في الأتوبيس الجريهاوند».

«حسناً. باستطاعتك ان تفعل ذلك».

فقال الرجل «لقد جاءني شعور معين، كل ما في الأمر انني غير مرتاح لذلك. فهناك شيء ما يحذرني من الأخطار وسبق له ان انذرنى مرتين من قبل ولم أهتم لتحذيره فوقعت في المتاعب».

فقال جوان وقد ارتفع صوته قليلاً في ضيق وتبرم «ان الأتوبيس على ما يرام».

فقال الرجل «إنني لا أتحدث عن الأتوبيس، انني أعيش في هذه المقاطعة ومن أهالي هذه المنطقة، فالأرض تمتلئ بالمياه مما يجعل نهر سان يسدرو يفيض بالماء، وأنت تعرف كيف يفيض نهر سان يسيدرو. فهو من تحت منطقة بيكو بلانكو ينزل حتى منطقة لونبين كانبون في شكل عروة كبيرة، والأرض تصبح مليئة بالمياه. وكل قطرة من الماء تجري لتصب في نهر يسيدرو، وهو الآن سيكون هائجاً مائجاً».

وبدأت دلائل الذعر تظهر على وجه المدام برتشارد فتساءلت:

«أتظن ان هناك أخطاراً؟».

فقال الرجل «لدي إحساس بالخطر، فقد كان الطريق القديم يدور عادة حول تلك العروة من النهر ولا يعبرها مطلقا. ومنذ ثلاثين عاماً ظهر لنا المستر «تراسك» وتحايل إلى أن أصبح رئيسا لهيئة الطرق في هذه القاطعة ولما كان الطريق القديم غير ملائم بالنسبة له فقد انشأ اثنين من الكباري ليوفر ماذا؟ ليوفر اثني عشر ميلاً فقط. هذا هو كل ما وفره. وتكلف انشاء الكوبريين سبعة وعشرين ألف دولار من ميزانية المقاطعة. لقد كان المستر تراسك لصاً وغشاشاً».

ثم أدار رقبته المتخشبة وراح يرقب آل برتشارد.

واستطرد قائلاً «لص. وغشاش. وبينما كانت أصابع الاتهام تشير إليه في عملية أخرى مات، مات منذ ثلاث سنوات، مات بعد أن أصبح رجلا غنيا. وحلف وراءه ولدين في جامعة كاليفورنيا يعيشان الآن على النقود التي قدمها دافعو الضرائب».

ثم توقف عن الحديث وتحركت شفته العليا من جانب لآخر فوق

أسنانه الطويلة الصفراء واستطرد قائلاً «وإذا تعرض هذان الكوبريان لأي ضغوط حقيقية فإنهما سيتداعيان لأن الخرسانة المسلحة ليست قوية بالقدر الكافي. سأضطر لإلغاء رحلتي والعودة إلى سان يسيدور».

فقال جوان «لقد كان النهر على ما يرام أمس الأول. لم تكن به مياه الا فيما ندر».

«أنت لا تعرف نهر سان يسيدور، فهو يمكن أن يرتفع خلال ساعتين، لقد سبق لي أن رأيته وقد وصل اتساعه إلى نصف ميل وتغطى بالابقار والدواجن الميتة، لا، انني لن أسافر طالما سيطر على هذا النوع من الإحساس، ومع كل ذلك فأنا لست من المؤمنين بالخرافات والخزعبلات».

«أتظن ان باستطاعة الأتوبيس اجتياز الكوبري؟».

«إنني لا أقول ما أظنه، لقد كان تراسك لصا وغشاشا، وخلف وراءه رأسمال قدره ٣٦,٥٠٠ دولار وولداه اللذان يتعلمان في الكلية ينفقان من هذا المال في إسراف شديد».

وخرج جوان من خلف الكاونتر واتجه إلى تليفون الحائط وقال «هالو، أعطني محطة خدمة السيارات الخاصة بالسيد «بريد» على خط طريق سان جوان، انني لا أعرف رقم التليفون» وانتظر برهة ثم استطرد «هالو، أنا شيكوي أحدثك من الريبل كورنرز. كيف حال النهر؟ أوه. صحيح؟! حسناً. أوكي. سأراك بالسرعة الكافية» ثم وضع جوان السماعة وقال شارحا الموقف «النهر مرتفع بعض الشيء وهم يقولون ان الكوبري على ما يرام».

«من الممكن ان يرتفع ذلك النهر بمعدل قدم عن كل ساعة عندما

تغرق الأمطار الغزيرة الفجائية منطقة بينكانون ومن المحتمل ان يتداعى الكوبري لدى وصولك إلى هناك».

فنظر إليه جوان في شيء من الضيق وقال «ماذا تريدني ان أفعل؟ هل أؤجل الرحلة؟».

«تصرف كما يحلو لك، كل ما في الأمر انني أريد أن ألغي رحلتي وأعود أدراجي إلى سان يسيدور، فأنا لن أقدم على هذا النوع من العبث، فأنا ذات مرة كان عندي شعور كهذا ولم أهتم بهذا الشعور فكانت النتيجة ان كسرت ساقاي الاثنتان، لا، ياسيدي. لقد هبط علي هذا الشعور عندما تعطل أتوبيسك بالأمس».

فقال جوان «حسناً اعتبر نفسك ملغياً من الآن».

«إن ذلك هو ما أريده يا سيدي، فأنت لست قديم العهد في هذه المنطقة، وأنت لا تعرف ما أعرفه انا عن تراسك، مرتبه السنوي ١٥٠٠ دولار ومع ذلك فقد خلف وراءه ثروة تبلغ ٣٦,٥٥ دولار ووثيقة صريحة بامتلاك ١٦٠ فدانا من الاراضي، تصور هذا!!».

فقال جوان «حسناً، سأعمل على أن تعود عن طريق أتوبيس الجريهاوند».

«حسناً، انني لا أهدف إلى تشويه سمعة تراسك، ولكنني أقص عليك الحقيقة فقط. ويمكنك أن تتخيل وتحسب هذه المسألة بنفسك ٣٦٥٠٠ دولار».

وتساءل أرنست هورتن: «ولنفرض ان الكوبري تداعى».

فقال جوان: «عندئذ لن نعبر عليه».

«وعندئذ ماذا سنفعل؟ هل نلف ونعود أدراجنا؟».

فقال جوان: «أكيد، إما أن نفعل ذلك وأما ان نقفز إلى الضفة الأخرى».

فابتسم الرجل المنحنى وهو ينظر فيما حوله في الغرفة وقد اعتراه شعور بالانتصار. وقال «أتفهمون الموقف؟ ستعودون أدراجكم إلى هنا وعندئذ سوف لا يكون هنا أتوبيس متجه إلى سان يسيدور. وإلى متى ستقبعون هنا في هذه المنطقة؟ لشهور؟ تنتظرونهم لحين بناء كوبرى جديد؟ اتعرفون من هو رئيس هيئة الطرق الجديد؟ ولد جامعي. تخرج حديثا في الكلية. كل الكتب ولا خبرات. باستطاعته ان يرسم كوبري ويضع التصميمات له ولكن هل باستطاعته تشييد كوبري؟ سوف نرى».

فضحك جوان فجأة وقال «حسناً. الكوبري القديم لم تكتسحه المياه بعد ومع ذلك فأنت من الآن قلق على الكوبري الجديد الذي لم يتم انشاؤه بعد».

فأدار الرجل رقبته التي ينبعث منها الألم من جانب لآخر. وتساءل «هل ستلجأ للوقاحة وقلة الأدب؟».

وللحظة بدا ضوء أحمر كأنه يتوهج في عيني جوان السوداوين وقال «نعم. لا تقلق. سأجعلك تستقل أتوبيس الجريهاوند. فأنا لا أريد أن آخذك معي في هذه الرحلة».

«حسناً، ليس باستطاعتك ان تركلني بعيداً، فأنت سائق للنقل العمومي».

فقال جوان في إعياء «وهو كذلك، انني أتعجب أحياناً من الأسباب التي تجعلنى أحتفظ بالأتوبيس، وربما لا أحتفظ به لفترة أطول من ذلك، فهو لا يجلب سوى وجع الدماغ. هبط عليك إحساس. كلام فاض وجنون وسخافات».

وكانت برنيس تتابع سير هذه المناقشات بانتباه شديد. وقالت «إنني لا أؤمن بهذه الأمور. ولكنهم يقولون ان موسم الجفاف قد حل الآن في المكسيك وانه يشبه الخريف وان المطر يكون هناك في فصل الصيف».

فقالت ميلدريد «يا إلهي! المستر شيكوي يعرف المكسيك معرفة جيدة. فقد ولد هناك».

«أوه! هل ولدت هناك؟ حسناً، انه فصل الجفاف، أليس كذلك؟».

فقال جوان «في بعض الأماكن، وأظن انه موجود في المنطقة التي ستسافرون إليها. فهناك أماكن أخرى لا تشهد أي فصل جفاف على الإطلاق».

وسلك المستر برتشارد صوته وقال «اننا ذاهبون إلى مكسيكو سيتي وإلى بوبلا وبعد ذلك إلى كورنفاكا وتاسكو وقد تشمل الرحلة أكابالكو كما سنذهب إلى البركان إذا كانت الأحوال على ما يرام».

فقال جوان: «ستكونون على ما يرام».

فتساءل المستر برتشارد: «أتعرف تلك الأماكن؟».

«بالتأكيد».

فقال المستر برتشارد: «وما هي حالة الفنادق؟ أنت تعرف ما تقوله شركات السياحة ـ كل شيء رائع وممتاز، فما هي حالة الفنادق في حقيقة الأمر؟».

فقال جوان مبتسماً «رائعة ممتازة، انها عظيمة، فالإفطار يقدم في السرير كل صباح».

فقال المستر برتشارد «إنني لم أقصد أن أتسبب في المتاعب في هذا الصباح».

«أكيد. فالأمور على ما يرام» ثم استند بذراعيه على الكاونتر وتحدث في سرية «في بعض الأحيان يفيض بي الكيل بعض الشيء. فأنا أقود ذلك الأتوبيس اللعين ايابا وذهابا وايابا وذهابا. وأحيانا أحس بالرغبة في أن أتجه بالأتوبيس رأسا صوب التلال. لقد قرأت عن قائد زورق للنقل في نيويورك انطلق خارجاً في عرض البحر ذات يوم ولم يسمعوا عنه أي أخبار بعد ذلك على الإطلاق. وربما غرق وربما احتجز فوق إحدى الجزر في مكان ما، انني أشعر بأحاسيس ذلك الرجل وأفهمه تماماً».

وفي الخارج هدأت سيارة نقل كبيرة ـ حمراء اللون ولها مقطورة ـ من سرعتها فوق الطريق الرئيسي ونظر سائقها للحظات فحرك جوان يده بسرعة من جانب لآخر فانطلقت سيارة النقل على السرعة الثانية ثم أخذت سرعتها وذهبت بعيداً.

فقال المستر برتشارد «ظننت انه كان قادما إلى هنا».

فقال جوان «انه يحب الفطير المحشو بالتوت الافرنجي. وهو معتاد دائماً على التوقف هنا عندما يكون لدينا شيء منه. وقد أخبرته انه لا يوجد عندنا أي قدر منه».

وكانت ميلدريد تنظر إلى جوان في إعجاب شديد، فهناك شيء ما في هذا الرجل الاسمر ذي العينين الغريبتين الدافئتين أحدث تأثيرا عليها مما جعلها تنجذب نحوه. وأرادت ان تجذب انتباهه.. انتباهه الخاص نحوها. فألقت بكتفيها إلى الخلف فارتفع ثدياها في نهود.

وسألته «ولماذا تركت المكسيك؟».

ثم خلعت نظارتها لكي يراها بدون نظارة أثناء إجابته على سؤالها. واستندت على المنضدة ووضعت إصبع السبابة على ناحية عينها اليسرى وجذبت البشرة وجفن العين للخلف مما غير من بؤرة عينها. واستطاعت

بهذه الطريقة رؤية وجهه في مزيد من الوضوح. وأعطى هذا أيضاً عينيها شكلا مستطيلا تطل منه رقة المشاعر والاحاسيس. وكانت عيناها جميلتين.

فقال لها جوان «لست أدري السبب الذي جعلني أغادر المكسيك» وبدت عيناه الدافئتان كانهما تحدقان بها وتعانقانها. فشعرت ميلدريد بالضعف والتفكك يسري في كل كيانها وقالت لنفسها «يتعين عليَّ ان أكف عن هذا. فهذا جنون». وتكونت في ذهنها صورة سريعة لها طابع جنسي.

وقال جوان «الناس هناك في الجنوب إذا لم يكونوا أغنياء يتعين عليهم أن يبذلوا جهداً مضنياً للغاية في العمل ويحصلوا من وراء ذلك على قدر ضئيل جداًمن المال. وأظن ان ذلك هو السبب الرئيسي الذي جعلني أغادر المكسيك».

فقالت برنيس برتشارد «أنت تتكلم الانجليزية على نحو جيد للغاية» كما لو كانت تهنئه على ذلك.

«ولم لا؟ فقد كانت أمي أيرلندية. وبذلك اكتسبت اللغتين في أن واحد».

فتساءل المستر برتشارد «هل أنت مواطن مكسيكي؟».

فقال جوان «أظن ذلك، فأنا لم أفعل شيئاً في هذا الموضوع على الإطلاق».

فقال المستر برتشارد «إنها لفكرة طيبة ان تستخرج الأوراق التي تتقدم بمقتضاها للحصول على الجنسية الأمريكية».

«ولأي شيء؟».

«إنها فكرة طيبة».

فقال جوان «المسألة سيان لدى الحكومة. ففي استطاعتهم ان يفرضوا على الضرائب وباستطاعتهم ان يفصلوني ويطردوني».

وكانت عينا جوان تلعبان مع ميلدريد، تتحسسان صدرها وتنزلقان فوق ردفيها. ورآها تتنهد وتتألم وتقوس ظهرها بعض الشيء فتحرك في أعماق جوان شيطان الكراهية. ولم يكن تحركه بقوة كبيرة لأنه لم يكن هناك قدر كبير من الكراهية عنده ولكن الدماء الهندية كانت هناك، وفي الماضي المظلم تكمن الكراهية للاوجس كلاروس ojos claros، الكراهية للعيون غير السوداء والكراهية للبشرة الشقراء. لقد كانت كراهية وخوف من البشرة ومن الناس ذوي العيون غير السوداء الذين أخذوا على مدى السنين والاجيال أعظم الأراضي وأفضل الجياد وأجمل النساء. وشعر جوان بالتحرك في داخله مثل وميض البرق الحراري وشعر بحدة النشوة عندما شعر ان باستطاعته ان يأخذ هذه الفتاة ويعتصرها ويغتصبها إذا رغب في ذلك، إذ كان بمقدوره ان يثيرها وينتهكها عقليا وجسمانيا ثم بعدئذ يلقى بها بعيداً. وتحركت القسوة في داخله بعد أن ترك لها العنان لتتصاعد في أعماقه. وصار صوته أكثر رقة وأشد رخامة وتحدث مباشرة في عيني ميلدريد البنفسجية.

وقال «وطني. حتى ولو لم أكن أعيش فيه فهو موجود في قلبي» وضحك في نفسه على هذا القول ولكن ميلدريد لم تضحك. وانحنت للأمام قليلاً وجذبت للخلف ركني عينيها لكي تتمكن من رؤية وجهه في مزيد من الوضوح.

وقال جوان «إنني أذكر بعض الأشياء. ففي الميدان الخاص بمدينتى كان يوجد كتبة عموميون لكتابة الخطابات وكانوا يقومون بكل العملية من أجل الناس الذين لا يعرفون القراءة والكتابة. لقد كانوا رجالاً طيبين وكان ينبغي أن يكونوا كذلك. ولو لم يكونوا طيبين لأدرك الناس

الريفيون ذلك. فأولئك الناس ساكني التلال يعرفون أشياء كثيرة. واني لأذكر ذات صباح عندما كنت ولدا صغيراً انني كنت جالساً عند الشاطئ. وكانت هناك احتفالات دينية في هذه المدينة تخليدا لذكرى أحد القديسين. وكانت الكنيسة مليئة بالازهار وكانت توجد قوائم من الحلوى وعجلة كبيرة تتدلى من إطارها مقاعد ثقيلة وكانت توجد أرجوحة الخيول الخشبية. وطوال الليل كان الناس يطلقون الصواريخ الملونة الصاعدة إلى عنان السماء للقديس. وفي الميدان جاء رجل هندي إلى كاتب الخطابات وقال [أريد منك ان تكتب رسالة إلى الحارس على أموالي، سأخبرك بما يقال وأنت تضع الكلام في أسلوب جميل لكي لا أكون فظا في تعبيراتي] فسأله الكاتب [أهي رسالة طويلة؟] فقال الرجل الهندي [لست أدري] فقال الكاتب [سيكلفك ذلك ريالا مكسيكياً]. فدفع له الرجل الهندي الضئيل الجسم الأحمر وقال له [أريد منك ان تقول للحارس على أموالي انني لا أستطيع العودة إلى حقولي وقريتي لأنني رأيت هنا جمالا عظيما ويجب أن أقيم بجوار هذا الجمال. وأخبره انني آسف وانني لا أرغب في أن أسبب له الآلام ولا لأصدقائي أيضاً. ولكنني لا أستطيع العودة. فأنا الآن شخص مختلف وأصدقائي لن يعرفونني. سأكون تعيسا في الحقل وسأكون قلقاً متململاً. ولانني سأكون مختلفاً عن ذي قبل فإن أصدقائي سيرفضونني وسيكرهونني. لقد شاهدت النجوم وحسبت الطالع. قل له ذلك. وقل له ان يعطي الكرسي الخاص بي لاخلا الصديق ويعطي الخنزير الخاص بي وكذلك الخنزيرتين الصغيرتين إلى المرأة العجوز التي جلست إلى جواري أثناء مرضي بالحمى. أما الأواني الخاصة بي فتعطى لزوج أختي. وقل للحارس على أموالي ان يرعى الله ولتكن أعماله متمشية مع الجمال والبهاء. قل له ذلك».

وتوقف جوان وتلاحظ له ان شفتي ميلدريد كانتا منفرجتين قليلاً وأدرك انها نظرت إلى قصته على انها ترمز إليها.

وتساءلت «وماذا حدث له؟».

فقال جوان «لقد رأى أرجوحة الخيول الخشبية فسيطرت على وجدانه ولم يعد باستطاعته ان يتركها. ونام بجوارها. ونفدت نقوده بعد فترة قصيرة وأصبح على وشك الموت جوعاً، وعندئذ سمح له صاحب الارجوحة ان يشغل ذراع الكرنك الخاص بالارجوحة والذي يجعلها تدور وقدم له الطعام. وهو لن يستطيع ترك هذا العمل فقد أحب أرجوحة الخيول الخشبية. وربما لا يزال هنالك إلى الآن».

وكان جوان قد أصبح غريبا في حديثه حيث اعترى كلامه مسحة من لكنة أجنبية.

وتنهدت ميلدريد في عمق. وقال المستر برتشارد:

«دعنى أفهم الموقف بشكل أوضح. هل تخلي الرجل عن أرضه وعن كل ممتلكاته ولم يعد لوطنه على الإطلاق لأنه رأى أرجوحة الخيول الخشبية؟».

فقال جوان «انه لم يكن يمتلك أرضه. فصغار الهنود لا يمتلكون أبداً أراضيهم الخاصة بهم. ولكنه تخلى عن كل شيء آخر كان يمتلكه».

وحدقت ميلدريد والدها بنظرها. فقد كانت هذه إحدى المرات التي وجدته فيها غبيا إلى حد الغثيان. لماذا لم يتمكن من ادراك عنصر الجمال في هذه القصة؟ وعادت عيناها إلى جوان لتخبره في صمت انها قد فهمت المعنى وظنت انها رأت شيئاً في وجهه لم يكن متواجدا من قبل. ظنت انها رأت هناك في وجهه انتصارا قاسيا تشيع منه سوء النية، ولكنها اعتقدت ان الأمر قد يكون مرجعه إلى ضعف الابصار في عينيها.

عيناها اللعينتان اللتان لا تستطيعان الرؤية بوضوح تماماً. ولكن ما شاهدته كان بمثابة صدمة لها. فنظرت بسرعة إلى والدتها وبعدئذ إلى والدها لتعرف ما إذا كانا قد أدركا شيئاً أم لا. ولكنهما كانا ينظران إلى جوان نظرات تدل على البلاهة ونقص الذكاء.

وكان والدها يقول بطريقته البطيئة التي تجعلها تفقد صوابها «إنني أستطيع أن أتصور كيف ان أرجوحة الخيول الخشبية بدأت جميلة في ناظريه لو انه لم يشاهد على الإطلاق من قبل أرجوحة خيول خشبية. ومع ذلك فالإنسان يتعود بطبيعته على أي شيء فباستطاعته ان يعتاد على قصر في أيام قليلة معدودة وبعد ذلك يتطلع إلى شيء آخر».

فقالت ميلدريد بقدر كبير من الوحشية والغلظة حتى ان والدها أدار عينيه المليئتين بالدهشة نحوها «انها مجرد قصة».

وكانت ميلدريد تكاد تشعر بأصابع جوان على فخذيها فتخدر جسدها بالرغبة والإثارة. وثار غضبها على والدها كما لو كانت قد قوطعت في ذروة النشوة. ولبست نظارتها ونظرت بسرعة نحو جوان ثم أشاحت بنظرها بعيداً لأن عينيه كانتا محجبتين رغم انه كان ينظر إليهم جميعا. فقد كانت مستمتعة بنوع من الانتصار. إذ كان يضحك عليها ويضحك أيضاً على الشيء الذي كان يحدث دون أن يعرفه والدها ووالدتها. وفجأة تصلبت رغبتها واتخذت شكل العقدة في معدتها فآلمتها معدتها وشعرت بالتحول في انفعالاتها وخيّل إليها انها على وشك الوقوع فريسة للمرض.

وقال أرنست هورتن «لقد كانت لديَّ الرغبة دائماً في أن أسلك طريق المكسيك جنوبا. وأعتقد انه ينبغي لي أن أطلب من المكتب الرئيسي التصريح لي بذلك في وقت ما. فلربما أتمكن من القيام ببعض الاتصالات الهامة هناك. انني أحب تلك الاعياد الدينية الخاصة بهم. وهم يبيعون الهدايا التذكارية. أليس كذلك؟».

فقال جوان «بالتأكيد. فهم يبيعون مسبحات صغيرة والصور المقدسة والشموع وأشياء من هذا القبيل والمسكرات والايس كريم».

«حسناً. لو ان شخصا ذهب إلى هناك وتخصص في تلك السلع فلربما يستطيع أن يبيعها بسعر أرخص مما يبيعون به. ويمكننا القضاء على تلك المسبحات وذلك بأن نقجم مسبحات أخرى جميلة منافسة مصنوعة من زجاج منصهر. وبالنسبة للصواريخ الملونة التي تطلق إلى عنان السماء فإن شركتي تمول بعض الاحتفالات الكبرى بجميع الصواريخ والاسهم النارية. انها لفكرة رائعة. أظن انني سأبعث برسالة».

ونظر جوان إلى كومة الاطباق المتسخة التي تزايد عددها في الحوض. وحملق من فوق كتفه إلى الباب المؤدي إلى غرفة النوم ثم فتح الباب ونظر إلى الداخل.

لقد كان السرير شاغرا. فقد نهضت أليس. ولكن الحمام كان موصدا. فعاد جوان ليغسل الاطباق المتسخة في الحوض.

وكانت السماء قد بدأت تصفو بسرعة انئذ. وكانت الشمس النظيفة الصفراء تسطع فوق الأراضي المغسولة. وكانت الأوراق الصغيرة لأشجار البلوط تكاد تكون صفرا تحت الضوء الجديد. وبدت الحقول الخضر في نضرة الشباب على نحو لا يمكن تخيله.

وابتسم جوان في اقتضاب. وقطع شريحتين من الخبز. وقال المستر برتشارد «أظن انني سأذهب للنزهة قليلاً هنا» ثم سأل زوجته «أترغبين في المجيء للنزهة معي يا عزيزتي؟» فنظرت بسرعة نحو باب غرفة النوم وقالت «حالاً. لن أتأخر كثيراً» ففهمها. وقال «حسناً، انني سأذهب فقط إلى الخارج».

الفصل السادس

لقد رقدت أليس ـ بعد أن تركها جوان لفترة طويلة على ظهرها ويداها متقاطعتان فوق وجهها. وتوقف نشيجها وبكاؤها تدريجيا مثل الأطفال. واستطاعت ان تسمع الكلام المدوي في الخارج المنبعث من صالة الطعام. وكان بطن ذراعها دافئاً ومبللا فوق عينيها. وغمرها نوع من الراحة وزال التوتر عنها كأن تروسا معشقة بشدة قد فكت من جسدها. وبينما كانت ترقد في راحة قوامها الاسترخاء والتكاسل قفز عقلها للخلف إلى ما حدث. ولم تتذكر المرأة التي صرخت في نورما وصارت فترة الصباح غامضة وملتبسة عليها. ولم تكن قد عثرت بعد على تبرير لعملها. ومنذ ان فكرت في الأمر وهي تدرك انها لم تكن تتهم في الحقيقة نورما بسوء السلوك وحتى لو كانت تتهمها فهذا لم يكن يهمها في الحقيقة بقدر كبير للغاية، فهي لم تكن تحب نورما ولم تكن تهتم بنورما على الإطلاق. فهي مجرد قطة صغيرة مسكينة شاحبة اللون.

فعندما التحقت نورما بالعمل وضعت أليس بالطبع حواسها على الفتاة وعلى جوان مثل سماعة الطبيب التي يفحص بها المرضى. وعندما لم تجد أي ردود فعل من جانب جوان ولا حتى مجرد قدر ضئيل من الانتعاش أو التعقب بالعين فقدت الاهتمام بنورما اللهم الا من حيث انها كائن عضوي لحمل القهوة وغسل الاطباق. ولم تكن أليس تعي تماماً الأشياء أو الناس القريبين إلا إذا كان لهم تأثير مباشر على حياتها

بالزيادة أو النقصان. وبينما كانت ترقد آنئذٍ في استرخاء ودفء وهدوء بدأ عقلها ينشط فجاء الرعب مع أفكارها.

وعادت بذهنها إلى المشهد. فتزايد رعبها بسبب دماثة اخلاقه. لقد كان ينبغي عليه ان يضربها وعدم قيامه بضربها أزعجها وأقلقها فهو ربما لم يعد يشعر باهتمام نحوها. وكانت قد اكتشفت ان العطف الطارئ من جانب الرجل ما هو الا تمهيد بالطرد ثم حاولت ان تتذكر الشكل الذي كانت عليه نساء آل برتشارد وحاولت ان تتذكر ما إذا كان جوان قد نظر في دفء إلى أحداهن. كانت تعرف جوان. فسيناه كانتا تتقدان كالموقد عندما يثار اهتمامه وبعدئذ تذكرت انه قد تخلى عن سريرها لينام عليه آل برتشارد مما صدمها بعض الشيء. وترامت إلى انفها رائحة عطر اللافاندر المنبعثة من اغطية السرير ووسائده فأحست بالكراهية والنفور من ذلك العطر.

وأصغت إلى دوي الاصوات من خلال الباب. وكان جوان يقدم لهم الطعام. وهو لم يكن ليفعل ذلك إذا لم يكن مستمتعا، كان يمكن لجوان الا يأبه لذلك الأمر ويخرج للعمل في الأتوبيس. وتصاعد في داخل أليس خوف ممزوج بالقلق. انها قد أساءت معاملة نورما. وكان هذا خطأ. فأنت إذا أظهرت اعجابا أو قدرا ضئيلا من المحبة تجاه فتاة من نوع نورما فإنها تذوب وتتفانى في اخلاصها وحبها. فالفتاة التي من نوع نورما لم تحظ الا بقدر ضئيل للغاية من الحب حتى ان أي قدر ضئيل من الحب نحوها يمكن أن يكون له مفعول السحر عليها وكانت أليس تحتقر مثل هذا التصور للحب. ولم تكن لتربط حبها مع نورما. كانت أليس كبيرة في نفسها وكل شخص آخر كان ضئيلا للغاية، كل شخص آخر ولكن باستثناء جوان. ولكنه آنئذٍ كان امتدادا لذاتها. وظنت انه قد يكون من المناسب أيضاً ان تعمل على وقوف نورما على قدميها

ومساعدتها قبل أي شيء آخر. إذ كانت بحاجة لنورما لكي تدير لها شؤون صالة الطعام نظراً لأن أليس قد عقدت العزم على أن تحتسي الخمر بجنون بمجرد ان ينطلق جوان بالأتوبيس بعيداً. ويمكنها ان تخبره عندما يعود انها كانت تعاني من ألم في أسنانها كاد يقتلها.

وهي لم تفعل ذلك في أوقات كثيرة للغاية ولكنها كانت في أشد الاشتياق لأن تفعلها آنئذٍ. وإذا كانت هي قد عقدت النية على احتساء الخمور فيحسن بها التحكم في حركاتها لأن جوان لا يحب النساء المخمورات. ورفعت يديها المتقاطعتين من على وجهها. وكانت عيناها غائرتين بسبب الضغط وتطلب الأمر بعض الوقت إلى أن عادا إلى المجرى الطبيعي لهما. ثم أدركت كيف ان الشمس كانت تنساب في جمال على السهل ثانية خلف غرفة النوم وعلى التلال المرتفعة بعيداً نحو الغرب. يوم رائع.

وبذلت مجهوداً لكي تقف معتدلة فوق قدميها ثم ذهبت إلى الحمام وهناك بللت طرف فوطة الحمام في الماء البارد وربتت به على وجهها لتزيل التجعدات التي نجمت عن ضغط ذراعيها على خديها الممتلئين.

ودلكت طرف الفوطة حول وجهها وفوق انفها وعلى طول حافة خط الشعر.

وانكسر مشبك البراسيير الخاص بها. ففتحت ثوبها في انزلاق واكتشفت ان دبوس الامان الذي يمسك به ما زال موجودا. فدبست المشبك في البراسيير مرة أخرى. وأصبح ضيقا بعض الشيء ولكن كان باستطاعتها ان تحيكه فيما بعد عقب مغادرة جوان المكان. وهي لن تتمكن من ذلك بالطبع فعندما يكون جزء كبير من المشبك مكسورا فإن الأمر يتطلب شراء مشبك جديد.

ومشطت أليس شعرها ووضعت أحمر الشفاء وكانت عيناها مازالتا محتقنتين في احمرار. فوضعت شيئاً من القطرة في ركن عينيها بواسطة قطارة دواء ودعكت الجفون على مقلتي عينيها بأصابعها. وفحصت نفسها في مرآة صندوق الادوية لفترة قصيرة ثم خرجت. وخلعت ثوبها المكرمش وارتدت ثوبا آخر جديداً له نفس التصميم والطباعة. وبسرعة عبرت غرفة النوم إلى باب غرفة نورما وطرقت في رقة على الباب ولم يجئ الرد. فطرقت مرة ثانية. ومن داخل الغرفة جاء صوت كحفيف الاوراق. وجاءت نورما إلى الباب وفتحته. وكانت توجد غشاوة على عينيها وبدا عليها كأنها قد أوقظت لتوها. وفي يدها كانت تمسك بعقب قلم الحواجب الذي سبق ان استخدمته في رسم حاجبي عينيها.

وما ان شاهدت أليس حتى ظهر على وجهها دلائل الرعب والخوف والإحساس بالخطر. فقالت على وجه السرعة:

«إنني لم أرتكب الخطيئة مع ذلك الشخص».

فخطت أليس إلى داخل الغرفة. لقد كانت تعرف جيداً كيف تعامل نورما وأمثالها عندما تكون في كامل قواها العقلية وقالت لها «أعرف انك لم تفعلي شيئاً من هذا القبيل يا عزيزتي» ونظرت بعينيها لأسفل كما لو كانت خجلى. لقد كانت تعرف كيف تعامل الفتيات.

«ما كان ينبغي أن تقولي ذلك. افرضي ان شخصا ما سمع ذلك الكلام وصدقه؟ انني لست من ذلك النوع. فأنا أحاول فقط كسب قوت يومي ولا أثير المتاعب». وسبحت عيناها فجأة في دموع بسبب شعورها بالشفقة على نفسها.

فقالت أليس «كان ينبغي لي الا أفعل ذلك. ولكنني كنت في حالة سيئة للغاية. فهذا هو الوقت الذي تجيئني فيه العادة الشهرية وأنت نفسك

تعرفين إلى أي حد تشعرين بالتعاسة عندما تجيئ لك. في بعض الأحيان تشعرين بالخبل».

وتفحصتها نورما في اهتمام. إذ كانت هذه أول مرة تجد في أليس الرقة والحنان. وكانت هذه أول مرة تشعر فيها أليس انها بحاجة إلى مساعدات نورما ومعاونتها وتأييدها. فهي لم تكن تحب النساء الاخريات وعندما رأت عيني نورما تفيضان بدموع الشفقة على نفسها شعرت بالانتصار.

وقالت أليس «أنت تعرفين كيف يكون ذلك الأمر. تصبحين فقط مخبولة بعض الشيء».

فقالت نورما «أعرف ذلك». وامتدت عنها قرون استشعار من الدفء تفيض رقة وعذوبة. واشتاقت للحب وتلهفت للعلاقات الإنسانية الطيبة وتطلعت لأن تعقد صداقة مع أي كائن بشري في العالم وقالت مرة أخرى «أعرف ذلك» وشعرت انها أكبر سنا وأكثر قوة من أليس وانها قادرة بعض الشيء على أن تصون وتحمي وهذا ما كانت تريده أليس.

ورأت أليس قلم الحواجب في يدها وقالت «ربما يحسن بك ان تخرجي الآن لتقديم المساعدة فالمستر شيكوي يقوم وحده بكل الأعمال».

فقالت نورما «سأفعل ذلك تواً».

وأغلقت أليس الباب وراحت تنصت. كانت هناك فترة من الصمت ثم صوت انزلاق وبعدئذ جاء الصوت الحاد لدى غلق درج الصوان. فدفعت أليس شعرها إلى الخلف بيدها وسارت في خفة نحو باب صالة الطعام. وشعرت انها على ما يرام. لقد جمعت قدراً كبيراً من المعلومات

عن نورما وعرفت مشاعر وأحاسيس نورما ازاء الأمور. وعرفت المكان الذي وضعت فيه نورما الخطاب.

ولقد سبق لأليس ان حاولت التوصيل إلى حقيبة السفر الخاصة بنورما. ولكنها دائماً ما كانت تجدها مغلقة. وكانت باستطاعتها ان تنفذ إلى داخلها بأصابعها ـ فقد كانت الحقيبة مصنوعة من الكرتون فقط ـ فإنها لم تفعل ذلك خوفا من ان تترك علامات تدل على الاتلاف والتخريب وكان عليها ان تنتظر وتتحين الفرصة، لأن نورما مهما كانت حريصة فإنها ستنسى ان تغلق حقيبتها إن عاجلاً أو آجلاً. لقد كانت أليس تمتاز بالدهاء ولكنها لم تكن تعرف ان نورما هي الأخرى تمتاز بالدهاء. إذ سبق لنورما ان عملت عند سيدات كثيرات مثل أليس من قبل فعندما توصلت أليس إلى أدراج دولاب نورما وألقت نظرة على الأشياء الخاصة بها وقرأت الخطابات المرسلة إليها من اختها فإنها لم تلحظ علبة الكبريت المصنوعة من الورق والملقاة في اهمال على حافة الدرج. إذ كانت نورما تضع تلك العلبة دائماً في ذلك المكان فإذا تغير مكانها أدركت أن شخصاً ما كان يحاول النفاذ إلى أشيائها والاطلاع عليها. وكانت تعرف ان جوان أو بيميلز لا يمكن أن يفعلا ذلك ومن ثم فلابد انها أليس.

ولم يكن من المحتمل ان تترك نورما حقيبة سفرها غير مغلقة. ففيما يتعلق بأحلامها وخيالاتها لم تكن نورما غبية. إذ كان تحتفظ بمبلغ ٣٧ دولار في علبة معجون الأسنان بداخل حقيبة سفرها المغلقة. وهي قد رتبت الأمور إذا تجمع لديها مبلغ ٥٠ دولاراً تذهب إلى هوليوود وتحصل على وظيفة في مطعم وتنتظر فرصتها. فالخمسين دولاراً من شانها ان تؤجر لها غرفة لمدة شهرين. أما مسألة الطعام فيمكنها الحصول عليه في نفس المكان الذي تعمل فيه. وكانت أحلامها الكبرى

هي أهم شيء في حياتها ولكن كان بمقدورها ان تعتني بنفسها أيضاً. فنورما لم تكن غبية أو مغفلة. وصحيح انها لم تفهم السر في كراهية أليس لجميع النساء وصحيح انها لم تدرك ان ذلك الاعتذار كان مجرد خدعة ولكن كان من المتوقع ان تكتشف ذلك في الوقت المناسب بحيث تنقذ نفسها. وبينما كانت نورما تعتقد ان أعظم الأفكار وانبل الدوافع تقطن فقد في داخل كلارك جيبل فإنها كانت تدرك دوافع الناس الذين التقت بهم وتعاملت معهم في الحياة اليومية ولم تكن تحترم دوافعهم بالقدر الكافي.

فعندما جاء بيميلز وراح يخربش بأظافره في هدوء على نافذتها بالليل عرفت كيف تحمي نفسها فأغلقت نافذتها. إذ كانت تدرك انه لن يجرؤ على احداث قدر كبير من الضجة والضوضاء محاولاً الدخول خشية ان يسمعه جوان في الغرفة المجاورة. لقد كانت نورما ذكية وعلى قدر عظيم من الدهاء والحيلة.

وكانت أليس تقف آنئذٍ أمام الباب بين غرفة النوم وصالة الطعام وجرت بأصابعها على جانبي انفها ثم فتحت الباب وذهبت إلى خلف الكاونتر كان شيئاً لم يحدث على الإطلاق.

الفصل السابع

وتوقف الأتوبيس الجريهاوند الضخم الجميل المنظر تحت مظلة الركاب في سان يسيدور. ووضع المساعدون البنزين في خزان الأتوبيس وقاموا بأعمال المراجعة على الزيت والاطارات بالوسائل الاتوماتيكية. وكانت مجموعة الاجهزة تعمل في سلاسة وتوافق. وقام رجل ملون بالتنظيف بين المقاعد وتنظيف الوسائد بالفرشاة والتقاط ورق اللبان وأعواد الثقاب وأعقاب السجاير من الأرضية. ثم جرى بأصابعه خلف المقعد الأخير الذي يمتد على طول مؤخرة الأتوبيس، فهو في بعض الأحيان كان يعثر على عملات معدنية أو سكاكين جيب خلف هذا المقعد. وكان يحتفظ بالنقود الصغيرة الملقاة أما الأشياء الأخرى فكان يسلمها للمكتب. لأن الناس كانوا يثيرون المتاعب حول الأشياء التي تركوها باظهار الانتقادات وتقديم الشكاوى ولكن ليس الأمر كذلك بالنسبة لقطع العملات الصغيرة. وأحيانا كانت المقشة تكشف عن قدر كبير من النقود يصل إلى دولارين خلف ذلك المقعد. واليوم قد استخرج ٢ دايم وقطعة من فئة الخمسين سنتاً بالإضافة إلى حافظة نقود من النوع الكبير الذي يوضع في الجيب الخلفي للبنطلون وبها بطاقة الجندية ورخصة قيادة السيارات وبطاقة عضوية في نادي ليونز.

فألقى نظرة سريعة على الجزء الذي توضع فيه الأوراق المالية. فلمح ورقتين من فئة الخمسين دولاراً وشيكا معتمدا من البنك بمبلغ خمسمائة

دولار. فوضع حافظة النقود في جيب قميصه ونظف المقعد بمقشة من الريش. وبدأ يتنفس بصعوبة بعض الشيء.

فالنقود كان أمرها سهلا. ففي استطاعته ان يأخذها ويترك حافظة النقود خلف المقعد لكي يجدها كناس آخر في نهاية الخط. ويمكنه ان يترك الشيك أيضاً لأن الشيكات تكتنفها أخطار هائلة للغاية. أما تلك الورقتان الحلوتان من فئة الخمسين دولاراً ـ تلك الورقتان الحلوتان. الحلوتان من فئة الخمسين دولارا!! وظهرت حشرجة وتوتر في حلقه وهو توتر سيظل ملازما له إلى أن يحصل على تلك الورقتين الحلوتين من فئة الخمسين دولاراً بأن يخرجها من حافظة النقود خلف المقعد.

ولكنه لم يستطع آخراجها لأن الولد الأفاق كان يغسل الجانب الخارجي للنوافذ التي تلطخت بالضباب المتسخ الناجم عن السير في الطريق العمومي الرئيسي. وكان عليه ان ينتظر لأنهم إذا أمسكوا به سيطردونه من العمل.

وكان يوجد فتق صغير في حاشية بنطلونه المصنوع من الصوف الخشن. وذهب في تقديراته إلى انه ينبغي عليه ان يدفع بهاتين الورقتين الحلوتين من فئة الخمسين دولاراً هناك في داخل الفتق قبل أن يهبط من الأتوبيس وعليه بعد ذلك ان يدعي المرض قبل أن يغادر مقر عمله. ويمكنه ان يتظاهر بالمرض الشديد بحيث لا يعود الا بعد أسبوع تقريبا. وهو إذا ادعى المرض. ثم ظل في العمل طوال اليوم حتى توقيت انصرافه اليومي من العمل فانهم لن يشكوا في أي شيء في حالة عدم ظهوره لايام قليلة وبهذه الطريقة يمكنه ان ينقذ وظيفته وسمع وقع أقدام على الأتوبيس فتصلب بعض الشيء. ونظر السائق «لوي» في داخل الأتوبيس.

وقال «هاي. جورج. اسمع. أوجدت حافظة نقود؟ فهناك شخص يقول انه فقدها».

فتمتم جورج.

فقال لوي «حسناً. سأجيئ لالقي نظرة».

فدار جورج فيما حوله وهو لا يزال على ركبتيه وقال «لقد وجدتها. وكنت سأسلمها بمجرد الانتهاء من العمل».

فقال لوي «وجدتها؟» وأخذ حافظة النقود من يد جورج وفتحها. فنظر الولد الأفاق من خلال النافذة. فابتسم لوي في أسف نحو جورج ورفرف بعينيه نحو الولد الآفاق.

وقال لوي «أظن انهم دبروا هذه اللعبة ضدنا. فالشخص قال ورقتين من فئة الخمسين دولاراً والموجود هنا ورقتان فعلا» ثم استخرج الورقتين والشيك على نحو يمكن الولد الأفاق الذي كان ينظر من خلال النافذة من رؤيتهم. ثم استطرد لوي قائلاً «أتمنى لك حظا أفضل في المرة القادمة يا جورج».

فقال جورج «أظن ان الشخص سيدفع مكافأة» فقال لوي «ستحصل على نصف المكافأة. وإذا كانت أقل من دولار ستحصل عليها كلها».

وتحرك لوي خارجاً من الأتوبيس إلى صالة الانتظار وسلم حافظة النقود إلى المكتب وقال «وجدها جورج وكان على وشك إحضارها إلى هنا. فهو زنجي طيب».

وأدرك لوي ان صاحب حافظة النقود كان موجودا بجواره مباشرة ولذلك قال مخاطباً الصراف «لو كنت انا الذي فقد هذه المحفظة لاعطيت جورج هدية صغيرة مناسبة. فلا شيء يجعل الشخص سيئاً مثل عدم التقدير. وإذكر ان شخصا عثر على ألف دولار وسلمها فلم يحصل

على أي شيء ولا حتى كلمة شكر. فكان اول شيء فعله بعد ذلك هو السطو على بنك وسرقته وقتل اثنين من الحراس». وكان لوي يكذب بكل سهولة وبدون أن يبذل أي مجهود.

وتساءل لوي «كم عدد الركاب المتجهين جنوباً؟» فقال الكاتب «العدد كامل عندك. وعندك فرد واحد سينزل في الريبل كورنرز. ولا تنس الفطائر مثلما فعلت في الأسبوع الماضي. فلم يحدث في حياتي ان تضايقت كثيراً مع خمسين فطيرة. ها هي حافظة نقودك ياسيدي. أيمكنك أن تفحصها للتأكد من ان كل شيء على ما يرام؟».

ودفع صاحب حافظة النقود مكافأة قدرها خمسة دولارات. فقرر لوى اعطاء جورج دولاراً واحداً في أي وقت. وهو كان يعرف ان جورج لن يصدقه ولكن ماذا يضير؟ لقد كانت لعبة قذرة وطريقا مليئاً بالاوحال. وعلى كل شخص ان يأخذ فرصته. وكان لوي ضخما وكان جريئاً بعض الشيء ولكنه كان حسن الهندام. وكان اصدقاؤه يسمونه «الوجه المكتظ باللحوم» وكان سريع البديهة وانيقا ومهندما وكان يحب ان يعرف الناس عنه ان مزاحه سمح. فكان يسمي خيول السباق كلابا وكان يتحدث عن جميع المواقف على انها مراهنات. وكان يرغب في أن يكون بوب هوب أو أفضل من ذلك ان يكون بنج كروسبي.

وشاهد لوي جورج وهو ينظر إلى المكتب عبر أبواب رصيف التحميل. فتملكته دوافع من الكرم فسار نحو جورج وأعطاء ورقة من فئة الدولار وقال «ابن الكلب بخيل» وأردف قائلاً «خذ أنت الدولار. انه يسترد ما يزيد على ٥٠٠ دولار ولا يدفع سوى دولار واحد».

فنظر جورج إلى وجه لوي. مجرد ومضة واحدة سريعة بنية اللون من عينيه. إذ أدرك انها كذبة كما ادرك انه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ازاء ذلك

الموقف. فلو غضب منه لوي لجعل الأمر متسما بالقسوة والعناد. ثم ان جورج كان يرغب في ذلك المرح الناجم عن تناول الخمور. وكان يشعر بالخمر وهي تمسك به وتسيطر عليه. آه. لو ان ذلك الولد الأفاق لم يدس أنفه الكبير في هذه الموضوع.

وقال جورج «أشكرك».

ومر الولد الأفاق بالقرب منهما ومعه الدلو والاسفنج. فقال جورج «وتسمى تلك النوافذ نظيفة؟» وأراد لوي ان يتودد ويتقرب لجورج فقال هو الآخر للولد «إذا أردت ان تكون سيدا في أي مكان يحسن بك ان تكون على قدر من الكفاءة. فتلك النوافذ ليست على ما يرام. نظفها مرة أخرى».

«إنني لا أتلقى الأوامر منكما. سأنتظر لحين تلقي بعض الشكاوى من المراقبين والملاحظين».

فتبادل كل من لوي وجورج النظرات. لقد كان مجرد ولد أفاق لا أهمية له. ويمكن أن يلقى به بعيداً على مؤخرته في أقل من أسبوع لو فكر لوي في ذلك.

وكانت أتوبيسات الجريهاوند الضخمة تدخل إلى مظلة نقل الركاب المغطاة وتخرج منها ثقيلة وعالية كالمنازل. وكان السائقون ينزلقون بها في نعومة وسلاسة وجمال إلى داخل المكان.. وكانت المحطة تنبعث منها رائحة الزيوت ودخان العادم الناجم عن ماكينات الديزل ورائحة قضبان الحلوى ورائحة منظف قوي للارضية تنفذ إلى الانوف.

وعاد لوي إلى الواجهة. فقد لمحت عيناه فتاة قادمة من الشارع نحو المحطة. وكانت تحمل حقيبة سفر صغيرة. لمحها لوي في ومضة بصر واحدة. طبق لذيذ. طبق شهي. ويمكنه ان يجلسها على مقعد خلف

كرسي السائق المرتفع مباشرة أي خلف الكرسي الخاص به حيث يكون باستطاعته ان يرقبها في مرآة الأتوبيس التي تكشف المنظر الداخلي ويتعرف على شخصيتها الحقيقية عن كثب. فلربما هي تقطن في مكان ما على الطريق الذي يسلكه. ولقد سبق له ان قام بقدر كبير من المغامرات التي بدأت على هذا النحو.

وكان الضوء المنبعث من الشارع منيرا خلف الفتاة ولذلك فهو لم يتمكن من رؤية وجهها ولكنه أدرك انها امرأة جميلة. وهو لم يعرف كيف أدرك انها جميلة. إذ كان بالمستطاع ان يجيئ خمسون فتاة مع أضواء خلفهن. ولكن كيف بدت له هذه الفتاة بالذات جميلة؟ كان بامكانه ان يرى قواما جميلا وساقين جميلتين. ولكن هذه الفتاة بالذات كانت تنبعث منها رائحة الجنس بطريقة ما تتسم باللباقة والذكاء..

ولاحظ انها حملت حقيبة سفرها معها إلى نافذة صرف التذاكر ولذلك لم يذهب نحوها مباشرة. وإنما ذهب إلى حجرة الاغتسال وهناك وقف عند حوض الغسيل وغمر يديه في الماء وجرى بهما بين شعره. واستخرج من جيبه الجانبي مشطا صغيراً ومشط شعره للخلف برفق وربت عليه من الخلف حيث برزت كمية من الشعر على شكل ذيل بطة. ثم مشط شاربه رغم ان شاربه لم يكن في حاجة للتمشيط حيث كان قصيرا للغاية. وسوى من شأن الجاكيت الرمادي الذي يرتديه والمصنوع من نسيج يشبه القطيفة. ثم زاد من تضييق الحزام حول وسطه بعد أن دفع ببطنه للداخل بعض الشيء.

وأعاد المشط إلى جيبه وفحص نفسه في المرآة مرة ثانية. ثم جرى بيده على جانبي شعره. وتحسس رأسه من الخلف ليتاكد من انه لا توجد أية كتل من الشعر خارجة عن مكانها وليتأكد من ان ذيل البطة

متجه إلى أسفل. وعدل من وضع الفيونكة السوداء الجاهزة التي تلازمه دائماً لتكون في المنتصف تماماً. ثم آخرج حبات قليلة من السن سن من جيب قميصه الداخلي وألقى بها في فمه. وبعدئذ بدا عليه كأنه يهز نفسه لأسفل في معطفه.

وما ان ذهبت يد لوي اليمنى إلى الاكرة النحاسية لباب غرفة الغسيل حتى حركت يده اليسرى أصابعها حركة سريعة لأعلى ولأسفل على حاشية الازرار ليتأكد من ان أزراره كلها موضوعة في العرى الخاصة بها. ووضع على وجهه ابتسامة ملتوية مغرضة بعض الشيء نصفها يعبر عن الاهتمام بالأمور الدنيوية ونصفها الآخر عن السذاجة والبساطة، وهو تعبير على الوجه أثبت نجاحه معه في حالات سابقة. وهو قد قرأ في موضع ما انك لو نظرت في عيني فتاة نظرة مباشرة وابتسمت لها فإن ذلك يحدث تأثيرا. ويجب عليك أن تنظر إليها كأنها أجمل شيء في العالم بل وعليك أيضاً ان تظل مستمرا في النظر إلى عنيها إلى أن تنظر هي بعيداً. وكانت هناك خدعة أخرى أيضاً. فلو كان النظر في عيون الناس الآخرين يضايقك ينبغي عليك أن تنظر إلى موضوع على كوبري الانف فيما بين العينين تماماً. إذ يبدو للشخص الذي تنظر إليه انك تنظر إلى عينيه وحقيقة الأمر انك لا تنظر إليهما. وقد وجد لوي في ذلك طريقة ناجحة للغاية للتقرب للفتيات.

وكان لوي يفكر في الفتيات طوال ساعات قيادته للأتوبيس تقريبا. إذ كان يرغب في الاعتداء وانتهاكهن. وكان يحلو له ان يوقعهن في حبه ثم يتخلي عنهن ويتركهن للعذاب. وكان يسميهن «الخنزيرات» فيقول مثلاً «سأحصل على خنزيرة. وتحصل أنت على خنزيرة. ونخرج للهو والمرح».

وسار عبر باب حجرة الاغتسال في نوع من العظمة والاعتزاز

بالنفس. ثم اضطر للتراجع للخلف لأن رجلين دخلا بين المقاعد حاملين سلة طويلة بها شقوق تسمح بدخول الهواء. وعلى جانب السلة كتبت هذه العبارة بحروف بيض كبيرة «فطائر الأم ما هو في المعدة بالمنزل» وتقدم الرجلان أمام لوي وعبرا إلى رصيف التحميل.

وكانت الفتاة جالسة على مقعد انئذ، وحقيبة سفرها بجانبها على الأرض. وأثناء مرور لوي عبر الغرفة ألقى نظرة سريعة على ساقيها ثم نظر إلى عينيها بشكل مستمر أثناء سيره. وابتسم ابتسامته الملتوية وتحرك نحوها. فالتفتت إليه دون أن تبتسم ثم حولت عينيها بعيداً عنه.

فشعر لوى بخيبة الأمل. لأنها لم يعترها أي ارتباك وكان ينبغي أن يصدر عنها شيء من هذا القبيل. انها بكل بساطة قد فقدت الاهتمام به. وكانت جميلة للغاية ـ ساقان جميلان ممتلئان امتلاء حسناً وفخذان ملفوفان وخصر نحيل بدون كرش وثديان ناهدان استفادت منهما أعظم استفادة في اظهار جمالها. وكانت شقراء، وكان شعرها خشنا وبه شيء من التكسير في نهاياته بسبب استخدام مكواة للشعر ساخنة للغاية ولكنه شعر منسق بالفرشاة بشكل جيد وبه أضواء جميلة وبه خصلة طويلة متجعدة من النوع الذي يحبه لوي وكانت عيناها مزدانتين بكحل العيون الأزرق اللون وببعض الكريم البارد على الجفون وبقدر كبير من الماساكر فوق الرموش. لم تضع روجا على وجهها وإنما اكتفت بوضع قدر من أحمر الشفاء على شفتيها على نحو يجعل فمها مستديرا مثل بعض ممثلات السينما. وكانت ترتدي طاقما: عبارة عن جونلة ضيقة وجاكيت لها ياقة مستديرة. أما حذاؤها فكان من جلد أحمر قائم تتخلله غرز بيض.

ودرس لوي وجهها أثناء سيره. وتملكه شعور بأنه سبق ان رآها من

قبل. وربما كانت تشبه فتاة ما عرفها من قبل أو ربما قد شاهدها من قبل في فيلم سينمائي. فقد حدث له ذلك فيما مضى. وكانت عيناها متسعتين، تكاد تكون متسعتين بشكل غير طبيعي. وكان لونها أزرق مع قدر ضئيل من البقع البنية بهما ومع خطوط مظلمة محددة بشدة من حدقة العين إلى الحافة الخارجية لقزحية العين. وكان حاجبا عينيها منتوفين ومرسومين بالقلم في شكل قوس حتى انها بدت كأنها مندهشة بعض الشيء.

ولاحظ لوي ان يديها الموضوعتين في القفاز لم يعتريهما القلق. فهي لم تكن غير صبورة ولم تكن عصبية. وهذا سبب له الضيق. كان خائفاً من رباطة جاشها. وشعر بالفعل انه سبق له ان رآها في مكان ما. وكانت ركبتاها مكسيتين باللحم بطريقة ممتازة فعظامها لم تكن بارزة. وجعلت جونلتها تتجه لأسفل بدون أن تجذبها.

وعندما تجول لوي بجانبها عاقبها على تحويل عينيها عنه بأن حملق في ساقيها. وهذه الحركة غالبا ما تجعل أي فتاة تشد جونلتها إلى أسفل حتى ولو لم تكن مرتفعة للغاية. ولكن هذه الحركة لم تحدث أي تأثير على هذه الفتاة. فشعر لوي بالقلق وعدم الارتياح لعدم تجاوبها مع حيله وأساليبه وقال لنفسه إنسانة شرسة تنجز أمورها بسرعة. إنسانة شرسة باثنين من الدولارات مع كل تلك الملابس التي ترتديها.

واستمر لوي في مشيته نحو نافذة صرف التذاكر وابتسم ابتسامته التهكمية وهو ينظر إلى ادجار الكاتب الذي يقوم بصرف التذاكر. وكان ادجار معجبا بلوي ويتمنى ان يصبح مثله.

وتساءل لوي «إلى أين الخنزيرة ذاهبة؟».

«خنزيرة؟».

«أوه. نعم» وتبادل ادجار نظرة خفية لها طابع الرجولة مع لوي وقال «إلى الجنوب».

«في عربتي؟».

«نعم».

فراح لوي يقرع بخفة على الكاونتر بإصبعه. لقد ترك ظفر إصبعه الصغير ليده اليسرى ينمو ليصير طويلاً للغاية. وكان مقوسا مثل نصف انبوبة ومرملا لمسافة ضحلة. ولم يعرف لوي السبب الذي جعله يفعل ذلك. ولكنه كان مسرورا عندما لاحظ ان بعض سائقي الأتوبيس الآخرين قد تركوا أظافر أصابعهم الصغرى تنمو أيضاً. لقد كان لوي يبتكر أسلوبا وشعر بالارتياح لذلك. وكان هناك ذلك السائق للعربة الذي ربط ذيل حيوان الراكون على غطاء الردياتير في عربته ولم يجئ الليل الا وكان كل شخص قد حصل على قطعه من الفراء ترفرف مع النسيم. فصنع تجار الفراء إذيال ثعالب صناعية واصبح لا يمكن رؤية أولاد المدارس العليا في سيارة بدون ذيل يلف ويدور حولهم. وأمكن لذلك السائق ان يجلس مضطجعا للخلف وهو مسرور لأنه أول من ابتكر الفكرة. وها هو لوي قد ترك ظفر إصبعه الصغير ينمو لمدة خمسة شهور ثم رأى بالفعل خمسة أو ستة من السائقين الآخرين يفعلون ذلك. وقد تكتسح هذه الظاهرة الدولة فيكون لوي بذلك هو الذي ابتكر الفكرة بأسرها.

وطرق على الكاونتر بظفره الطويل المنحني. ولكن في رفق لأنه عندما يطول ظفر أكثر من اللازم يتعرض للكسر بسهولة. ونظر ادجار إلى الظفر. وظل مبقيا يده اليسرى أسفل الكاونتر. فقد كان يربي ظفرا هو الآخر ولكن ظفره لم يكن قد أصبح طويلاً للغاية. وأراد ان يخفي

ذلك عن لوي إلى أن يصبح الظفر أطول من ذلك بكثير. وكانت أظافر ادجار من النوع الهش سهل الانكسار مما كان يضطره إلى وضع ورنيش للاظافر عديم اللون لمنعه من الانكسار بسرعة. إذ سبق ان انكسر في إحدى المرات أثناء نومه في السرير.

وحملق ادجار نحو الفتاة. وقال «أتعتقد انك ستسارع إلى التفاهم مع..... الخنزيرة؟».

فقال لوي «لا ضرر من المحاولة» واستطرد «ربما تكون إنسانة شرسة من النوع العملي الذي ينجز أموره على وجه السرعة».

«حسناً. وهل هناك مانع من ان تجرب حظك مع إنسانة شرسة وجميلة؟».

وانتفضت عينا ادجار. فقد وضعت الفتاة ساقا على ساق من جديد. وقال متأسفاً «لوي. قبل أن أنسى. يحسن بك أن تشرف بنفسك على تحميل تلك السلة المليئة بالفطائر. فقد جاءت لنا شكوى في الأسبوع الماضي. ففي مكان ما على طريق الأتوبيس أوقع شخص ما السلة فاختلطت فطيرة توت مع فطيرة ليمون فأصبح هناك زبيب عنب في كل مكان. وكان علينا ان ندفع التعويض».

فقال لوي في شراسة ووحشية «لم يحدث ذلك في رحلاتي على الإطلاق. ان الأتوبيس يذهب إلى سان جوان. أليس كذلك؟ ولابد ان الطريق المنحني عند ريبل كورنرز هو الذي تسبب في ذلك».

فقال ادجار «حسناً. نحن دفعنا التعويض. مجرد نوع من المراجعة والاشراف. ممكن؟».

فقال لوي وقد تملكه الإحساس بخطورة الموقف «لم تسقط أية فطائر أثناء رحلاتي».

«أعرف ذلك. أعرف انك لم تسقط شيئاً. ولكن المكتب الأمامي أخبرني بأن أقول لك بأن تراجع على الفطائر للتأكد».

فتساءل لوي «ولماذا لم يجيئوا هم إلي؟». واستطرد: «هم من وصلتهم شكاوى. فلماذا لم يستدعوني بدلاً من ارسال رسائل؟» وتصاعد الغضب في داخله. ولكنه كان في الحقيقة غاضبا من الفتاة الشقراء. الإنسانة الشرسة المعلونة. ونظر إلى ساعة الحائط الضخمة المعلقة على الحائط. وكان هناك عقرب طوله قدمان يجري بالثواني على الميناء. وفي انعكاس المرآة شاهد لوي الفتاة جالسة وقد وضعت ساقا على ساق. وظن أنها كانت تنظر إلى مؤخرة رأسه وان كان لم يستطع التأكد من ذلك بسبب الانحناء في المرآة فتبدد غضبه.

وقال «سأقوم بالمراجعة على الفطائر واخبرهم بأنه لن يكون هناك اختلاط بين فطائر التوت وفطائر الليمون. أظن انني سأمضي قليلاً من الوقت مع الخنزيرة». ورأى الإعجاب في عيني ادجار عندما التفت ببطء وواجه غرفة الجلوس.

وكان على حق. فقد كانت الفتاة تنظر إلى مؤخرة رأسه. لأنه عندما استدار رآها تنظر إلى وجهه. ولم يكن هناك أهتمام أو أي تعبير آخر في نظرتها ولكنها كانت لها عينان جميلتان. يا للملعونة. لقد كانت جميلة. وكان لوي قد قرأ في إحدى المجلات عن ان العيون الواسعة تعني الإثارة الجنسية. ولم يكن هناك أدنى شك في أن هذه الفتاة تشع من كيانها هالات جنسية مثيرة للغاية. كانت فتاة من النوع الذي يسير بجوارها أي شخص يراها. وها هي قد سارت في هذا المكان فاستدار نحوها كل شخص ونظر إليها. وكان باستطاعتك ان ترى رؤوسهم تدور وتلتفت كانهم يشاهدون سباقا للخيول. والسبب هو وجود شيء ما في

هذه الفتاة. ولم يكن هذا الشيء هو المكياج ولم يكن طريقة مشيتها. وان كان المكياج وطريقة المشى جزءاً من ذلك الشيء. ومهما كان أمر هذا الشيء فإنه كان منثورا ومنتشرا فيما حولها. وقد شعر لوي بذلك الشيء عندما قدمت من الشارع مع وجود الضوء خلفها في انه لم يستطع ان يراها حينئذ رؤية حقيقية واضحة. وهي الآن كانت تنظر في وجه لوى دون أن تبتسم ودون أن يعبر وجهها عن أي شيء. كانت تنظر إليه فقط. وظل يشعر بذلك. فأصيب بضيق وتوتر في حلقه وبزغ من ياقته أحمر خفيف. وأدرك ان نظرته قد تنزلق بعيداً بعد برهة وجيزة. وكان أدجار منتظرا وكان ادجار مؤمناً بلوي وواثقاً منه.

وكانت هناك بعض الاكإذيب والمبالغات حول سمعة لوي. ولكنه في الحقيقة كان له أسلوب خاص به وهو سبق له بالفعل ان قضى بعض الوقت مع الخنزيرات. ولكنه في تلك اللحظة فقط لم يكن يشعر بالارتياح. فهذه الخنزيرة كانت تقلل من شانه. فأراد ان يصفع وجهها بكف يده. وكانت انفاسه تتصاعد في صدره في ألم. كانت الفرصة على وشك الضياع إذا لم يفعل شيئاً. واستطاع ان يرى الخطوط المعتمة التي تشبه الاشعة في قزحية عينيها كما تمكن من رؤية امتلاء خديها. ورسم على وجهه نظرته المعانقة المقبلة واتسعت عيناه قليلاً وابتسم كما لو كان قد تعرف عليها فجأة. وفي نفس الوقت تحرك نحوها.

وحرص على أن يجعل ابتسامته مليئة بالاحترام بعض الشيء. فتعلقت عيناها بعينيه وزال عنها قدر ضئيل من البرود. فخطا بالقرب منها وقال لها «يقول الرجل انك متجهة جنوبا على الأتوبيس الخاص بي. يا ماما». وهو غالبا ما كان يضحك على كلمة «ماما» هذه، ولكنها كانت عادة تأتي بالنتيجة المرجوة. وقد أتت هذه الكلمة بنتيجة مع هذه الفتاة. إذ ابتسمت قليلاً.

فاستطرد لوي قائلاً «سأهتم بحقيبتك. نحن سنتحرك في خلال ثلاث دقائق».

فقالت الفتاة «شكراً». وخيل للوي ان صوتها جاء نابعا من الحلق ومفعما بالجنس.

«دعيني آخذ حقيبتك. سأضعها الآن في الأتوبيس. وبعدئذ ستحصلين على مقعد».

فقالت الفتاة «إنها ثقيلة».

وقال لوي «لست قزما تماماً» ثم حمل حقيبتها وخرج بها مسرعا إلى رصيف التحميل، وصعد إلى داخل الأتوبيس ووضع الحقيبة أمام المقعد الذي يقع خلف المقعد مباشرة.. حتى يمكن أن يرقب الفتاة في مرآته ويتحدث إليها قليلاً عندما يمضون في طريقهم. ثم خرج من الأتوبيس ورأى الولد الأفاق مع أفاق آخر يضعان سلة الفطائر على سطح الأتوبيس.

فقال لوي بصوت مرتفع «اعتنوا بتلك الأشياء. لقد أوقعتم يا أولاد الحرام واحدة في الأسبوع الماضي وانا تلقيت الشكاوى والاحتجاجات».

فقال الولد الأفاق «لم أوقع شيئاً على الإطلاق».

وقال لوي «لم تفعل بحق الجحيم» واستطرد «عليك بمراقبة خطواتك».

ومر عبر الأبواب المتحركة إلى غرفة الانتظار.

فتساءل الأفاق الآخر «ما الذي جعله تعيسا متضايقاً؟» فقال الولد الأفاق «أوه. انني ضايقته بشكل ما. فالزنجي وجد حافظة نقود وانا رأيتها. ولذلك فقد قررا تسليمها للمكتب. كانت بمثابة قربة مليئة بأوراق

البنكنوت. وهما الاثنان غاضبان مني لاني رأيتهما. وكانت لوي وذلك الزنجي سيقتسمون المبلغ بحيث يحصل كل منهما على خمسين دولاراً ولكنني وضعتهما في موقف حرج مما اضطرهما بالطبع إلى تسليمها للمكتب عندما لاحظا انني رأيتهما».

فقال الأفاق «كان باستطاعتي استثمار هذا المبلغ».

«ومن الذي لا يستطيع».

«إذا أخذت مائة دولار يمكنني الانطلاق إلى مكان آخر واشتري ممتلكات شخصية جميلة للغاية بهذا المبلغ» واستمرا لبعض الوقت في حديث له طابع الطقوس الدينية.

ودب قدر ضئيل من الحركة والنشاط في صالة الانتظار. إذ أخذ يتجمع جمهور الأتوبيس المتجه جنوبا. وكان ادجار مشغولا خلف الكاونتر الخاص به فإنه كان يراقب الفتاة في نفس الوقت. وقال لنفسه في همس «خنزيرة» فهذه كلمة جديدة بالنسبة له وباستطاعته ان يستخدمها من الآن فصاعدا. وحملق في ظفر الإصبع الصغير في يده اليسرى. قد يمضى وقت طويل قبل أن يصير له ظفر في مثل جودة ظفر لوي. ولكن لماذا يضايق نفسه؟ فهو لا يمكنه ان يعوض الوقت الضائع ويلحق بلوي في هذا المجال. فهو كان ينهزم دائماً في جولة السباق.

وكان هناك الهرج والمرج الذي يصدر عن الزبائن في الدقيقة الاخيرة عند ماكينات بيع الفول السوداني والات بيع اللبان. واشترى رجل صيني نسخة من «التايمز» وأخرى من «النيوزويك». وطواهما في حرص ووضعهما في جيب معطفه الأسود ذي القماش السميك. وقامت سيدة عجوز بتصفح المجلات الموجودة على رف المجلات دون أن تكون لديها النية لشراء واحدة منها. وكان اثنان من الهنود يرتديان عمامتين

ناصعتي البياض ولهما لحيتان سوداوتان لامعتان مجعدتان يقفان بجانب بعضهما البعض عند نافذة صرف التذاكر. وكانا يحملقان في وحشية فيما حولهما كما لو كانا يحاولان فهم ما يقال لهما.

ووقف لوي بالقرب من المدخل المؤدي إلى رصيف التحميل وحملق في الفتاة باستمرار. وتلاحظ له ان كل رجل في الغرفة كان يفعل نفس الشيء. فهم جميعا كانوا يختلسون النظر إليها ولم تكن لديهم الرغبة في أن يلحظهم أحد وهم يفعلون ذلك. والتفت لوي ونظر من خلال الأبواب الزجاجية المتحركة وتأكد له ان الولد الأفاق والافاق الآخر قد وضعا سلة الفطائر في أمان فوق سطح الأتوبيس وان القماش المشمع قد جذب عليها لأسفل لحمايتها. وصار الضوء معتما في صالة الانتظار إلى درجة الغسق. لابد ان سحابة قد حجبت الشمس. ثم أشرق الضوء مرة أخرى كما لو كانت تتحكم فيه مقاومة متغيرة. ودق الجرس فوق الأبواب الزجاجية بصوت مرتفع. فنظر لوي إلى ساعته وذهب عبر الباب إلى أتوبيسه الضخم ونهض المسافرون في غرفة الانتظار وساروا في تثاقل نحو الباب.

وكان ادجار مازال يحاول معرفة المكان الذي يريد ان يذهب إليه الهنديان. وقال لنفسه «تلك الرؤوس البالية. لماذا لم يتعلما اللغة الانجليزية قبل البدء في الجري والسفر؟».

وصعد لوي إلى المقعد العالي المحاط بقضيب من الصلب الذي لا يصدأ وراح يفحص التذاكر لدى دخول المسافرين إلى الأتوبيس. واتجه الرجل الصيني المرتدي معطفا أسود مباشرة إلى المقعد الخلفي وخلع معطفه ووضع مجلتي التايم والنيوزويك في حجره. وتمسكت المرأة العجوز متسلقة الدرج في الأتوبيس وهي لاهثة الانفاس ثم جلست في

المقعد الذي يقع خلف لوي مباشرة. فقال لها لوى «معذرة يا ماما. فقد أخذ هذا المقعد».

فقالت في تحد سافر «ماذا تقصد بكلمة أخذ؟ إذ لا توجد أية مقاعد محجوزة».

فكرر لوي القول «لقد أخذ هذا المقعد يا ماما. الا ترين حقيبة السفر بجانبه؟». ولقد كان لوي يكره النساء الكبيرات في السن. كان يحس بالاختناق لدى رؤيتهن. إذ كانت هناك رائحة خاصة بهن تسبب له التوتر والضيق. وكان يعتقد انهن يملن للشراسة والقسوة والاعتزاز بالنفس وعدم المبالاة بما قد ينجم عن تصرفاتهن من مناظر مؤلمة. والاصرار على الحصول على ما يردنه. ولقد كانت جدة لوي امرأة طاغية مستبدة وكانت تحصل على كل ما تريده وذلك باللجوء للقسوة والوحشية. وبزاوية من عينه استطاع ان يرى الفتاة على أسفل سلمة للأتوبيس منتظرة دورها للصعود خلف الرجلين الهنديين. فوجد نفسه في موقف حرج للغاية. فتملكته مشاعر الغضب على الفور.

وقال «يا ماما. انني السيد المهيمن على الأتوبيس الخاص بي. ويوجد عدد كبير من المقاعد الملائمة. والآن هل لك ان تتحركي للخلف إلى مقعد آخر؟».

فشمخت المرأة العجوز بذقنها في صرامة ونظرت إليه في تجهم. وحركت مؤخرتها بعض الشيء لكي تزيد من استقرارها في المقعد.

وقالت «أنت تريد ان تضع هذه الفتاة في هذا المقعد. هذا هو ما تريده. وسأقدم تقريرا عنك إلى الإدارة».

فازدادت حدة غضب لوي. وقال «وهو كذلك يا ماما. آخرجي الآن وأبلغى تقريرا عني. فالشركة لديها أعداد كبيرة من المسافرين ولكنها

ليست لديها الكثير من السائقين الممتازين» وتلاحظ له ان الفتاة كانت مصغية فشعر بالارتياح لذلك بعض الشيء. ولاحظت المرأة انه غاضب للغاية فقالت «لن أقدم تقريرا عنك».

فقال لوي بصوت مرتفع «حسناً. قدمي تقريرا عني. يمكنك أن تخرجي من الأتوبيس ولكنك لن تجلسي في هذا المقعد. فالمسافرة على هذا المقعد معها توصية من الطبيب».

وكان هذا مجرد عذر للتخلص من المأزق ولكن المرأة العجوز أمسكت عليه هذه الغلطة وقالت «ولماذا ولم تقل ذلك منذ البداية؟ انني لا ينقصني الذوق والادراك السليم. ولكنني سأقدم تقريرا عنك بسبب قلة أدبك وقلة ذوقك».

فقال لوي في إعياء «وهو كذلك يا ماما. انني معتاد على ذلك».

وتحركت المرأة للخلف إلى المقعد التالي مباشرة. وراح لوي يفكر. انها ستصغي بإذنيها الكبيرتين وتتصيد الاخطاء لي. وقال لنفسه «حسناً. فلادعها تفعل ذلك. فعدد المسافرين عندنا أكثر من عدد السائقين». وكانت الفتاة قد وصلت إلى جانبه حينئذ وقد أبرزت تذكرتها. فقال لها لوي بطريقة لا إرادية «أستذهبين فقط إلى الكورنرز؟».

فقال

الفتاة «نعم. وعلى ان استقل أتوبيسا آخر من الكورنرز» وابتسمت بسبب نغمة الشعور بخيبة الأمل التي ظهرت لدى تساؤله.

فقال لها «هذا هو مقعدك. هنا مباشرة» ثم راقبها عندما جلست ووضعت ساقا على ساق وجذبت جونلتها إلى أسفل ووضعت حقيبة يدها إلى جوارها وانتصبت في جلستها وأصلحت من شأن ياقتها.

وكانت الفتاة تدرك ان لوي يرقب كل حركة تأتي بها. فهذا هو ما

كان يحدث لها دائما. وهي كانت تعرف انها تختلف عن الفتيات الاخريات ولكنها لم تعرف تماماً كيف كان ذلك الأمر. ومن ناحية أخرى كان شيئاً لطيفا ان تحصل على أحسن مقعد وان تجد من يشتري لها الطعام وان تجد يدا ممسكة بذراعها لدى عبورها الشوارع. إذ لم يكن بمقدور الرجال ان يمنعوا انفسهم من وضع أيديهم عليها ولكن كانت هناك دائماً المتاعب مما كان يضطرها لأن تتملق أو تسب أو تقاتل لكي تخلص نفسها من مأزق إذ كان جميع الرجال يريدون منها نفس الشيء وكان ذلك هو ما يحدث بالضبط. وكانت تسلم بالأمر الواقع وكانت تلك حقيقة واقعة.

وهي قد عانت من ذلك الأمر عندما كانت صغيرة في السن. فقد كان عندها احساس بالشعور بالذنب بسبب عدم الالتزام بالاخلاق الحميدة. ولكن ما ان أصبحت أكبر سنا حتى تقبلت هذا الأمر وطورت من وسائلها وطرائقها وحيلها. وهي أحياناً كانت تستسلم وأحيانا أخرى كانت تحصل على النقود أو الملابس. وكانت تعرف معظم المحاولات التي يقوم بها الناس للتودد إليها وكسب رضاها. حتى انه كان باستطاعتها ان تتنبأ بكل شيء سيقوله لوي أو سيفعله في نصف الساعة التالية. وهي من خلال حاسة توقع الأمور قبل حدوثها كان باستطاعتها في بعض الأحيان ان تحول دون وقع المواقف المؤلمة. فالرجال الأكبر سنا كانوا يريدون تقديم العون والمساعدة لها وادخالها في المدرسة أو وضعها على المسرح. أما الشبان فكان بعضهم يريدون الزواج منها أو تقديم الحماية لها. ولكن عدداً قليلاً للغاية من الشباب كان يريد بكل صراحة وأمانة ان يذهب معها إلى الفراش مع التعبير عن ذلك لها.

وهؤلاء كانوا أسهل الفئات، حيث كان باستطاعتها ان توافق أو ترفض وتحسم الأمر على النحو الذي تراه. أما أبغض الأمور إلى نفسها

فيما يتعلق بموهبتها أو بنواحي الضعف فيها هو المشاجرات التي كانت تدور من حولها. إذ كان الرجال يقاتلون بعضهم البعض في وحشية عندما تسافر من مكان لآخر. كانوا يقتتلون مثل كلاب الصيد. وكانت أحياناً تتمنى ان تجد الحب والتعاطف في قلوب النساء نحوها. إلا أن النساء كن يكرهنها. وأدركت بذكائها السبب في عدم حب النساء لها ولكن لم يكن في استطاعتها ان تفعل شيئاً ازاء هذا الأمر. فكل ما كانت تريده في الحقيقة هو منزل جميل في مدينة جميلة وطفلان ومجموعة من السلالم تقف عليها بالإضافة إلى ارتدائها للثياب الانيقة وحضور الضيوف إلى منزلها لتناول العشاء وبالطبع سيكون لها زوج ولكنها لم تستطع رؤيته في مخيلتها لأن الاعلانات في المجلات النسائية والتي نبع منها حلمها لم تكن تشتمل على أي رجل على الإطلاق. مجرد امرأة محببة للنفس في ملابس لطيفة تهبط الدرج وضويف في صالة الطعام وشموع ومنضدة للطعام داكنة اللون ومصنوعة من الخشب وأطفال يتميزون بالنظافة تقبلهم وهي تقول لهم تصبحون على خير. ذلك هو ما كانت تريده في الحقيقة وهي كانت تدرك ان ذلك أمر لن يتحقق شأنه في ذلك شأن أي شيء آخر.

وكان يوجد قدر كبير من الحزن في داخلها. وكانت تتعب من أمر النساء الاخريات. هل كن مختلفات عنها؟ إذ تلاحظ لها ان استجابات الرجال مع معظم النساء مختلفة عن استجاباتهم معها. ان رغباتها لم تكن قوية ومستمرة بشكل هائل ولكنها لم تكن تعرف الحالة التي عليها النساء الاخريات. إذ لم تناقش هذا الأمر مع احداهن من قبل لانهن جميعا لا يشعرن بالارتياح إليها. وذات مرة ذهبت إلى طبيب شاب لتخفيف حدة الآلام الشهرية عندها فقام بالاضطجاع معها وعندما تحدثت معه بصراحة ووضوح في ذلك الأمر فقال «كل ما في الأمر انك

تنشرين الرغبة في الهواء. ولست أدري كيف يتم ذلك. وبعض النساء لديهن نفس الظاهرة. ونحمد الله على انه لا يوجد عدد كبير من هذا النوع لكي لا يجن جنون الرجال».

وحاولت ان ترتدي ملابس بسيطة خالية من الزينة ولكن ذلك لم ينفع كثيرا. ولم يكن باستطاعتها الاحتفاظ بوظيفة عادية الا وهي الكتابة على الالة الكتابة. لأن المكاتب كانت تتحطم تماماً عندما تذهب لتأدية عملها. فاضطرت في الاونة الاخيرة ان تحصل على النقود بطريقة غير شرعية. طريقة تدر عليها مبالغ كثيرة ولا تعرضها لكثير من المتاعب. إذ كانت تخلع ملابسها في بيوت اللهو. وكانت هناك وكالة تصرف لها امورها وفقا للنظم المرعية. وهي لم تكن تفهم بيوت اللهو ولا نوع الاشباع الذي يحققه الرجال من ورائها ولكنهم كانوا هناك وكانت تحصل على خمسين دولاراً كاجر لها نظير خلع ملابسها. وكان ذلك أفضل لها من ان تتمزق ملابسها في أحد المكاتب. وهي على أية حال قد قرأت عن شبق النساء بما فيه الكفاية فأدركت انها ليس لديها هذه الحالة. وكثيراً ما تمنت ان تكون لديها حالة الشبق هذه. وأحيانا كانت تعتقد ان عليها ان تدخل في أحد البيوت وتوفر قدرا كبيراً من النقود ثم تعتزل العمل وتذهب للريف أو تتزوج رجلا كبيراً في السن بحيث تستطيع السيطرة عليه. وقد يكون ذلك هو أسهل الطرق. فالشباب الذي يمثل اغراء بالنسبة لها كانوا يميلون للشراسة والبذاءة ويشكون فيها ويتهمونها بالفسق والخداع. وكانوا اما ان يتجهموا في وجهها واما ان يحاولوا اعطاءها علقة ساخنة واما ان يتفجر غضبهم ويلقون بها بعيداً.

وبدأت تصون نفسها وذلك هو ما انتهت إليه الأمور. ولكن ربما كان المخرج الحاسم لها هو الاقتران برجل عجوز يمتلك بعض الاموال. وستكون هي طيبة معه وستجعله يشعر فعلا انها تستأهل أمواله ووقته.

وكان لها صديقتان فقط. وكانتا تسكنان معها في منزل واحد. ولم يحدث أبداً ان شعرتا نحوها بالحقد أو الغيرة أو الاستياء أو الاستنكار. ولكن احداهن قد غادرت المنطقة ولم يعرف المكان الذي ذهبت إليه فهي سارت مع مجموعة من الناس إلى مكان ما. أما الفتاة الأخرى فكانت تعيش مع رجل يعمل في مجال الاعلانات ولم ترد لها ان تكون بالقرب منها.

كانت تلك هي لورين. وكانتا تعيشان سوية في شقة واحدة. ولم تهتم لورين كثيراً بالرجال ومع ذلك فهي لم تحب النساء بقدر كبير للغاية ولكن لورين بعدئذ ارتبطت فجأة مع رجل الاعلانات هذا وطلبت منها ان تترك الشقة وشرحت لورين لها كل شيء عندما طلبت منها عدم الاقامة معها.

لقد كانت لورين تعمل في أحد البيوت ووقع في حبها رجل الاعلانات وكانت لورين قد أصيبت بمرض السيلان وحتى قبل أن تظهر عليها أعراض المرض فإنها نقلت هذا المرض إلى رجل الاعلانات. وكان هو من النوع العصبي ففقد أعصابه إلى حد الجنون وفقد وظيفته، وجاء إلى لورين شاكيا لها مما حدث. فشعرت على نحو ما انها مسؤولة عما حدث له ولذلك فإنها لمت شمله وأطعمته أثناء تناولهما العلاج. وكان ذلك قبل ظهور طرق العلاج الجديدة ولذا كان العلاج قاسيا وعنيفا إلى حد ما.

وبعدئذ داوم رجل الاعلانات هذا على تناول الحبوب المنومة. وكان يتعرض لنوبات من الإغماء وفقد الوعي وكان غامضا بعض الشيء وكان يشعر بحدة المزاج ما لم يتناول الحبوب الخاصة به وراح يتناول الكثير والكثير منها حتى ان لورين اضطرت لأن تجري له غسيل معدة مرتين.

وكانت لورين في الحقيقة فتاة طيبة وكانت الأمور صعبة بالنسبة لها لأنه لم يكن باستطاعتها العمل في المنزل إلى أن تشفى من مرضها فهي لا ترغب في نقل العدوى لأي شخص تعرفه. وفي نفس الوقت كان عليها ان تحصل على النقود لكي تدفع ثمن روشتات الأطباء والعلاج والطعام وقيمة ايجار الشقة. فكانت مضطرة للعمل في الشوارع في «جليندال» لتحصل على النقود ولم تكن هي نفسها تشعر بالارتياح لذلك. وبعدئذ أصبح رجل الاعلانات هذا يشعر بالغيرة عليها ولا يريد لها ان تعمل على الرغم من انه هو نفسه أصبح بدون وظيفة يكسب منها قوته. وتمنت لو ان الأمر كله قد نسف من أساسه في هذا الوقت بحيث تحصل هي ولورين على الشقة وتعيشان سوية فقد كانتا ثنائي لطيف مع بعضهما البعض. إذ كانتا تعيشان في مرح هادئ وجميل.

ولقد كانت هناك سلسلة كاملة من الارتباطات في شيكاغو ووفرت بعض النقود من العمل في بيوت اللهو وكانت تستقل الأتوبيسات عند عودتها إلى لوس أنجلوس توفيرا في النفقات وكانت تريد ان تعيش في هدوء لبعض الوقت. وهي منذ فترة طويلة لم تصلها أخبار عن لورين لأن الخطاب الأخير جاء فيه ان رجل الاعلانات هذا كان يقرأ خطاباتها وان عليها الا ترسل خطابات لها.

وكان آخر المسافرين يمرون من الأبواب ويدخلون إلى الأتوبيس.

ووضع لوي ساقا على ساق. وكان متهيبا وخجولا بعض الشيء من هذه الفتاة وقال لها «أظنك ذاهبة إلى لوس أنجلوس. هل تعيشين هناك؟».

«بعض الوقت».

«إنني أحاول استكشاف الناس وفهم اتجاهاتهم. فأنا بحكم مهنتي أشاهد عدداً كبيراً من الناس».

وتنفس موتور الأتوبيس تنفسا هادئاً وكانت المرأة العجوز تحملق في لوي. وكان باستطاعته رؤيتها في المرآة. ربما سترسل خطابا للشركة.

وقال لنفسه «حسناً. فلتذهب الشركة للجحيم» إذ كان باستطاعته دائماً ان يحصل على وظيفة. والشركة على أية حال تهتم بخطابات النساء المسنات كثيرا. وحملق في الجزء الأخير من الأتوبيس وبدا الأمر كان الرجلين الهنديين قد وضعا أيديهما في حالة سكون تام أما الرجل الصيني فقد فتح مجلتي التايم والنيوزويك في حجره وراح يقارن المقالات الاخبارية في كل منهما. وكان رأسه يتأرجح من مجلة لأخرى وكانت هناك تجعيدات فوق المساحة التي تعلو أنفه فيما بين حاجبيه مما يدل على الحيرة والارتباك. ولوح العامل الذي يعطى اشارة البدء في المسير للوي ايذانا بالمسير.

وحرك لوي العتلة فأغلقت الباب ونقل ترس التعشيق إلى التشغيل المعكوس وزحف خارجاً من المزلقان المصنوع من الخرسانة ثم تحرك في خفة وعلى اتساع حتى ان الاكصدام الأمامي تفادى الحائط الشمالية بجزء من البوصة. وتحرك على اتساع مرة أخرى بالتشغيل المنخفض وتفادى الجانب الآخر من الزقاق بجزء من البوصة. وتوقف عند التقاء الزقاق بالشارع وتأكد من ان الشارع خال أمامه. ثم دار بالأتوبيس فانتقل إلى الجانب الآخر من الشارع. لقد كان لوي سائقا ممتازا وله سجل حافل. وتقدم الأتوبيس في الشارع الرئيسي لسان يسيدور ووصل إلى ضواحي المدينة ومنها إلى الطريق الرئيسي الخالي أمامه.

وكانت السماء والشمس مغسولتين ونظيفتين. وكانت الألوان ناصعة

بشدة. وكانت الحفر مليئة بالمياه الجارية. وفي بعض الأماكن التي توجد بها حفر مسدودة كانت المياه تمتد فوق الطريق الرئيسي. وكان الأتوبيس يضرب المياه في حفيف هائل حتى ان لوي كان يشعر بالشد والجذب في عجلات الأتوبيس. وكان العشب متموجا في تداخل كالحصيرة بسبب قوة الأمطار ولكن دفء الشمس بدأ يعيد القوة إلى العشب الخصيب حيث أخذ يرتفع بهامته من جديد على الأماكن المرتفعة.

وحملق لوي في مرآة الأتوبيس الداخلية نحو الفتاة مرة أخرى. وكانت هي تنظر إلى مؤخرة رأسه. ولكن شيئاً ما جعلها تنظر لاعلى في المرآة ثم تنظر مباشرة في عيني لوي فانطبعت العينان ذات الخطوط السود والانف الجميل المستقيم والفم الذي يبدو مستديرا بسبب وضع الروح بأسلوب معين انطبع كل ذلك كالصورة الفوتوغرافية في ذهن لوي بشكل دائم. وعندما نظرت في عينيه ابتسمت كما لو انها شعرت بأنها على ما يرام.

وأدرك لوي ان الانسداد بدأ يزحف إلى حلقه، وان ضغوطا أخذت تتصاعد في صدره فاعتقد انه في حالة من الحب والغرام الشديد. وهو كان يعرف عن نفسه انه خجول ولكنه في معظم الأحيان كان يقنع نفسه بأنه ليس خجولا. وكان يمر بجميع الاعراض الموجودة لدى شاب في السادسة عشرة من عمره. وانتقلت عيناه من الطريق إلى المرآة ومن المرآة إلى الطريق وهكذا. وأدرك ان خدوده حمر فقال لنفسه: «ما هذا بحق السماء؟ هل سأشعر بالخجل والارتباك أمام عاهرة؟» ونظر إليها في مزيد من الدقة لعله يجد شيئاً ينقذ به نفسه، وعندئذ شاهد آثارا عميقة ناجمة عن استخدام الملقط على طول فكيها، فأدى ذلك إلى شعوره بشيء من الارتياح لأنها إذا أدركت انه شاهد آثار الملقط ستكون أقل جسارة أقل ثقة بنفسها. اثنان وأربعون ميلا. ودخلت الأرقام إلى رأسه.

انها ستنزل عند الميل ٤٢ وكان عليه ان يستغل الوقت القصير المتبقي. عليه الا يضيع دقيقة واحدة إذا أراد التوافق مع هذه الإنسانة الصغيرة الشرسة ذات الطابع العملي. وعندما حاول التكلم جاء صوته مبحوحا.

فانحنت خلفه مباشرة وقالت «لم أسمع ما تقول» فكح لوي وقال «كنت أقول ان منظر الأرض يبدو جميلا بعد المطر».

«نعم. انها تبدو جميلة».

وحاول ان يعود إلى الطريقة التي يستخدمها عادة في اصطياد الفتيات. ولاحظ في المرآة انها مازالت منحنية للامام لتصغي له. فقال «سبق ان قلت فانني أحاول ان استكشف الناس. مع فهم اتجاهاتهم. ويمكنني القول انك ظهرت في الأفلام السينمائية أو على المسرح».

فقالت الفتاة «لا. أنت مخطئ في استنتاجك».

«الست مشتركة في عروض جماهيرية؟».

«لا».

«حسناً. هل لك عمل معين؟».

فضحكت. وكان وجهها جذابا للغاية عندما ضحكت. ولكن لوي لاحظ ان إحدى أسنانها العليا الامامية ملتوية. إذ كانت تلك السنة مستندة على السنة المجاورة لها ومتداخلة معها. وتوقف ضحكها فغطت شفتها العليا السنة. فقال لوي لنفسه «إنها مدركة لهذا العيب».

وسبقته في أفكاره. حيث عرفت مقدما ما سيقوله. وقد حدث لها ذلك مرات عديدة من قبل. فهو سيحاول معرفة عنوان مسكنها ورقم تليفونها. وكانت هذه مسألة سهلة. فهي لم تقطن في أي مكان. وكانت قد استبقت حقيبة كبيرة مع لورين بها بعض الكتب: الكابتن النافخ في الصور ـ حياة بتهوفن ـ وبعض القصص القصيرة من تأليف ساروريان،

بالإضافة إلى بعض ثياب السهر القديمة لكي تستبدل بأخرى جديدة. وأدركت ان لوي بدأ يواجه المتابع فهي كانت تعرف جيداً ذلك الاحمرار الذي يعلو ياقة قميص الرجل وكانت تعرف سماجة الحديث المفتعل. وشاهدت لوي وهو يحملق في قلق في المرآة وإلى مؤخرة الأتوبيس.

كان الهنديان يبتسمان قليلاً لبعضهما البعض. وكان الرجل الصيني يحملق لاعلى في الهواء محاولا معرفة بعض أوجه التباين في القصص والموضوعات التي كان يقرأها. وكان هناك رجل يوناني في المقعد الخلفي يقطع سيجارا ايطاليا إلى نصفين بواسطة مطواة جيب. وكانت المرأة العجوز تؤجج ثورة الغضب في صدرها ضد لوي حيث وجهت نظرة حديدية قاسية إلى مؤخرة رأسه وارتعش ذقنها بفعل ثورة الغضب وابيضت شفتاها بسبب التوتر الناجم عن الضغط عليها.

وانحنت الفتاة مرة أخرى للامام وقالت «سأوفر عليك الوقت. انني أعمل ممرضة أسنان. ولذلك فأنا أفعل كل تلك الأمور في عيادة الأسنان». وهي غالبا ما كانت تستخدم هذه العبارة ولم تعرف السبب في ذلك. ربما لأنها توقف التفكير في الجوانب المختلفة لهذا الموضوع حيث لا تكون هناك أسئلة أخرى عقب قولها تلك العبارة. فالناس لم تكن لديهم الرغبة في التحدث كثيراً عن طب الأسنان.

وتقبل لوى هذا القول. ووصل الأتوبيس إلى مزلقان للسكة الحديد. فدفع لوي بطريقة الية فرملة الهواء في أتوبيسه فتوقف عن المسير. وما ان رفع يده عن الفرملة حتى أحدثت صغيراً وأزيزا فقام بالتعشيق وانطلق بسرعته المعهودة مرة أخرى. وأدرك ان الأمور تطبق عليه. فهذه الكلبة العجوزة كانت على وشك إثارة المتاعب في أية لحظة. وهو لن يحصل

على ٤٢ ميلاً بالمرة. فما ان تتدخل هذه الكلبة العجوزة حتى ينتهي الأمر. وأراد الاستفادة من الوقت بقدر المستطاع ولكن لم يكن هناك متسع من الوقت لتطبيق الاساليب التي يستخدمها. فلا ينبغي استخدام فنونه لمجرد الفوز باعجابها على مدى نصف ساعة ثمينة، ولكن هذه الكلبة العجوز كانت تضطره لأن يفصح عن نواياه للفتاة قبل أن يقوم بالتمهيد اللازم لذلك.

فقال للفتاة «إنني أحياناً أذهب إلى لوس أنجلوس. أهناك مكان ما يمكنني ان أقابلك فيه وربما يكون باستطاعتنا تناول طعام العشاء والذهاب إلى عرض ترفيهي سوية؟».

فشعرت بارتياح لقوله. إذ لم يبد عليها أي قدر من الوقاحة أو السفالة. وردت قائلة «لست أدري. فأنا في الحقيقة لا أسكن حاليا في أي مكان. وأريد الحصول على شقة بأسرع ما يمكن».

فقال لوي «ولكنك تعملين في مكان ما. ولربما أستطيع الاتصال بك هناك».

وكانت المرأة العجوز تتنفس وترتعد وتتلوى في مقعدها. كانت غاضبة لأن لوي ركلها من المقعد الامامي. وقالت الفتاة «حسناً. لا. انظر. انني لم أحصل على عمل ولكني بالطبع سأحصل على عمل على وجه السرعة لأن من يعمل في نفس مهنتي يحصل على عمل بسرعة».

فسألها لوي «أليس في قولك هذا نوع من التملص؟».

«لا».

«حسناً. ربما تستطيعين الكتابة إلى عندما يستقر بك الحال».

«ربما».

«لأنني أحب ان أعرف فتاة أرتاد معها الأماكن العامة في لوس أنجلوس».

وهنا جاء الصوت مجلجلاً وحاداً كحجر السن «يوجد قانون في هذه الولاية بشأن التحدث مع المسافرين. عليك بمراقبة الطريق»، ثم وجهت المرأة العجوز الحديث إلى جميع الركاب قائلة «إن هذا السائق يعرض حياتنا جميعا للخطر. وسأطلب النزول من الأتوبيس ان لم يركز انتباهه على قيادته للأتوبيس».

فتوقف لوي عن الحديث تماماً. هذا الكلام الذي قالته المرأة العجوز كان خطيراً. كان باستطاعتها فعلاً ان تخلق المتاعب. ونظر في المرآة وعثر على عيني الفتاة فقال وهو يحرك شفتيه فقط «الكلبة العجوز الذابلة الملعونة».

فابتسمت الفتاة ووضعت أصابعها على شفتيها. وهي من ناحية قد استراحت ومن ناحية أخرى شعرت بالاسف وأدركت انها ربما تتعرض للمتاعب مع لوي ان عاجلا أو آجلا. ولكنها أدركت أيضاً من نواح عديدة كان شخصا لطيفا يمكنها ان تتعامل معه إلى حد معين. وأدركت من الاحمرار والخجل اللذين يعلوانه انه باستطاعتها ايقافه عند حده بمجرد ان تقوم بجرح مشاعره.

ولكن المسألة انتهت. وأدرك لوي ذلك. فالفتاة لم تكن على استعداد لايقاع نفسها في ورطة. ولقد كان عليه الاستفادة بالوقت أثناء سير الأتوبيس لأنه بمجرد ان يصل الأتوبيس إلى محطة من المحطات حتى يرغب المسافرون في الخروج بأسرع ما يمكن. وهو آنئذٍ قد خسر الجولة. ففي الريبل كورنرز سيتوقف لفترة تسمح فقط بنزول هذه الفتاة وانزال سلة الفطائر المعلونة. وانحنى فوق عجلة القيادة. أما الفتاة فقد

طوت يديها في حجرها ولم تعد عيناها تنظران لاعلى لتتلاقي مع عينيه في المرآة. كان هناك الكثير من الفتيات الأكثر جمالا من هذه الفتاة. فتلك الندبات الغائرة الناجمة عن استخدام الملقط كانت قبيحة للغاية. وهي من شأنها ان تجعل الشخص الذي يراها يرتعد خوفا. ولذلك كان من الطبيعى ان تصفف شعرها بحيث يكون طويلاً من الأمام لكي تغطى هذه الندبات. ولم يكن باستطاعة هذه الفتاة ان تصفف شعرها لاعلى وكان لوى يحب الشعر المصفف لاعلى. وبحق السيد المسيح فلنفرض انه استيقظ في السرير ورأي تلك الندبات الغائرة! ان العالم مليئ بأعداد كبيرة من الخنزيرات مما يتيح الفرصة للوي لأن يدبر اموره بنجاح ولكن كانت توجد أثقال من الهم والحزن في صدره وفي معدته. وحاول التغلب على تلك الاثقال والتخلص منها تدريجيا ولكنها كانت راسخة فقد رغب في هذه الفتاة أكثر من أي فتاة أخرى سبق له ان عرفها. وشعر بأحاسيس الضياع الجافة البغيضة إلى النفس لأنه لم يتمكن من معرفة اسمها ولم يعد هناك امل في التوصل إلى أي نجاح معها. واستطاع ان يرى عيني ادجار المتلهفين وهو يستجوبه عقب عودته إلى سان يسيدور. وساءل نفسه عما إذا كان ينبغي عليه ان يكذب على أدجار.

وغنت الاطارات العظيمة الضخمة على الطريق أغنية عالية مولولة واختلج الموتور بضربات ثقيلة. وكانت توجد مساحات من السحب الضخمة المشبعة بالمياه ملقاة في السماء سوداء كالهباب في الوسط وبيضاء لامعة عند الأطراف. وكانت احداها تزحف آنئذٍ لاعلى فوق الشمس. وكان باستطاعة لوي ان يشهد ظلها أمامه على الطريق الرئيسي مندفعا في اتجاه الأتوبيس. وإلى الأمام بعيداً على الطريق الرئيسي استطاع ان يرى الربوة الخضراء الشاهقة من أشجار البلوط التي نمت بالقرب من صالة الطعام في الريبل كورنرز فمتلكته مشاعر خيبة الأمل.

وجاء جوان شيكوي إلى جانب الأتوبيس عندما كبح جماحه. وعندما فتح الباب تساءل «ماذا أحضرت لي؟» فقال لوي «مسافرة واحدة وعددا كبيراً من الفطائر» ونهض عن مقعده وتحسس فيما حوله ثم رفع حقيبة سفر الفتاة، وتمسك هابطاً إلى الأرض ثم رفع يديه ووضعت الفتاة يدها على ذراعيه وهبطت الدرج. وسارا سوية نحو صالة الطعام. وقالت «مع السلامة».

فقال لوي «مع السلامة» ووقف ينظر إليها وهي تدخل إلى صالة الطعام.

وكانت المرآة العجوز قد تحركت إلى المقعد الامامي. وحرك لوي العتلة فأغلق الباب. ونقل الأتوبيس إلى السرعة الأعلى وانطلق بعيداً. وعندما أخذ الأتوبيس سرعته المناسبة وصارت الاطارات تدوي في رنين على الطريق الرئيسي نظر في المرآة. لقد أظهرت المرآة العجوز تعبيرات النصر الوضيع على وجهها.

فقال لوي لنفسه «لقد أضعت على الفرصة. لقد قمت باغتيال الفرصة وقتلها».

فنظرت المرآة العجوز لاعلى والتقت عيناها بعينيه في المرآة. فقال لوي كلمات صامتة بشفتيه في شيء من التعمد: «أيتها الكلبة الملعونة العجوز!!» وعندئذ رأى شفتيها تتوتران وتتخذان لونا أبيض. فقد أدركت ما كان يعنيه.

وغنى الطريق الرئيسي على طول المسافة أمام الأتوبيس.

الفصل الثامن

وحمل جوان وبيميلز سلة فطائر «الأم ماهوني المعدة بالمنزل» إلى مكان بالقرب من صالة الطعام ووضعاها على الأرض. وراقب كلاهما الفتاة الشقراء وهي تدخل من الباب. فأطلق بيميلز صفيرا يشبه خرير الماء المنخفض. وتصببت راحتا يديه فجأة بالعرق. وضاقت عينا جوان إلى أن سطع بريق ضئيل فقط بين رموش عينيه. ولعق شفتيه في سرعة وعصبية.

وقال جوان «أعرف ماذا تعني. أتريد ان تمضي بعض الوقت في الخارج وترفع ساقك فوق شجرة؟».

فقال بيميلز في دهشة «يا إلهي».

وقال جوان «نعم» وانحنى إلى الأمام وأدار المزلاج على السلة ورفع الجانب الذي يتحرك على مفاصل وقال «سأتراهن معك رهانا بسيطا يا كيت».

«ما هو؟». -

فقال جوان «أراهن. أراهن اثنين لواحد انك قد وضعت في ذهنك انك لم تحصل على يوم إجازة منذ أسبوعين وانك ترغب في أن تحصل اليوم على إجازة وتسافر إلى سان جوان معي. وربما نستفيد من ذلك إذا تعطل الأتوبيس مرة أخرى».

فشعر بيميلز بالخجل وظهر الاحمرار من حول البثور والطفح الجلدي. ورفع عينيه في قلق ونظر إلى جوان. وكان يوجد قدر كبير من البشاشة بدون سموم في عيني جوان حتى ان بيميلز شعر بالتحسن. وفكر «يا إلهي. انه لرجل عظيم. فلماذا أقدم عملي لأي إنسان آخر في أي وقت؟».

ثم قال بيميلز بصوت مرتفع «حسناً» وشعر انه يتحدث كرجل إلى رجل. وكان جوان يفهم الطريقة التي ينظر بها الشباب إلى الأمور. فعندما كانت تمر فتاة ناعمة مثل «كعكة الغريبة» كان جوان يعرف المشاعر التي يحس بها أي شاب.

وقال بيميلز مرة أخرى «حسناً».

ورد عليه جوان متمتعاً «حسناً. ولكن من الذي سيشرف على مضخات البنزين ويركب إطارات السيارات؟».

فتساءل بيميلز «ومن الذي كان يفعل ذلك من قبل؟».

فقال جوان «لا أحد. فقد اعتدنا على مجرد وضع لافتة على الكراج مكتوب عليها (مغلق للاصلاحات). وأليس يمكنها ان تضخ البنزين» ثم طرق على كتف بيميلز في غير مبالاة.

وقال بيميلز في نفسه «ياله من رجل. ياله من رجل!!» وكانت الفطائر ممسوكة بواسطة فتحات صغيرة تشبه الصينية بحيث كانت تمسك أطراف الاقسام وتجعل كل فطيرة منفصلة عن باقي الفطائر الأخرى. كان يوجد بها أربعة طوابق ويضم كل طابق ١٢ فطيرة ـ أي ان مجموع ما في السلة ٤٨ فطيرة.

وقال جوان «فلنأخذ ٦ فطائر توت، ٤ كريم بالليمون، ٤ زبيب العنب، ٢ كريم كاستارد بالكراميلا» واستخرج الفطائر أثناء تكلمه

ووضعها على قمة السلة وقال «خذها إلى الداخل يا بيميلز ـ أقصد يا كيت».

وأخذ بيميلز فطيرة في كل يد ودخل إلى صالة الطعام. وكانت الشقراء جالسة على كرسي بدون مسند تحتسي فنجانا من القهوة. ولم يستطع ان يرى وجهها ولكنه أحس بالكهرباء أو شيء من هذا القبيل تسرى في كيانها. ووضع الفطائر على الكاونتر.

وعندما استدار خارجاً للمرة الثانية أحس بالصمت مهيمنا على صالة الطعام.

كان كل من المستر برتشارد والرجل العجوز المشاغب المتشائم والرجل الشاب هورتون في حالة افتتان. ارتفعت عيونهم وفاضت على الشقراء ثم هبطت حدة نظراتهم. أما الآنسة برتشارد وأمها فكانتا تسددان النظرات إلى أكوام «نخالة الردة» الموجودة خلف الكاونتر. ولم تكن أليس هناك خلف الكاونتر ولكن نورما كانت هناك أمام الشقراء حيث كانت تمسح الكاونتر بخرقتها.

وتساءلت نورما «أتحبين ان تأخذي قوقعة من الحلوى؟» فتوقف بيميلز عن السير لكي يتمكن من سماع صوت الشقراء.

فقالت الشقراء «نعم. أعتقد ذلك». وما ان سمع بيميلز صوتها الجميل المبحوح حتى تقلصت معدته وتشنجت لا اراديا.

وقال جوان «حرك نفسك وأسرع. ففي استطاعتك ان تنظر إليها طوال الطريق إلى سان جوان اللهم إلا إذا كنت ستفضل ان تقود الأتوبيس».

ودفع بيميلز بالفطائر إلى الداخل. ست عشرة فطيرة فقط في الخارج. معنى ذلك انه ترك اثنتين وثلاثين. وأغلق جوان جانب السلة وأدار المزلاج. وعندما خرج بيميلز للمرة الاخيرة قام بمساعدة جوان في

وضع سلة الفطائر في الحقيبة السوداء الكبيرة الخاصة بالأتوبيس «سويت هارت». وكان الأتوبيس جاهزا في تلك الاونة. كان مستعدا للانطلاق والمسير. ووقف جوان إلى الخلف وألقى نظرة عليه. صحيح انه ليس من نوع الجريهاوند ولكنه لم يكن رديئا. وحول نوافذه كان يوجد قدر ضئيل من الصدأ ظاهرا من خلال طلاء الالمونيوم. سيكون عليه ان يعالج هذا الصدأ. ويمكن لاغطية محاور العجل ان تتخذ طلاء جديداً أيضاً.

وقال لبيميلز «فلنستعد للمسير. أغلق أبواب الكراج بالقفل. وبين المقاعد أسفل توصيلات خرطوم الردياتير ستجد اللافتة التي تضعها على الباب. وعليك بالقفز السريع الآن إذا كنت تريد استبدال ملابسك».

فقفز بيميلز نحو باب الكراج. واستقام جوان في وقفته ونشر ذراعيه بعيداً عن جانبيه ثم تحرك نحو صالة الطعام.

وكانت ساق المستر برتشارد اليمنى موضوعة على ساقه اليسرى بشكل متقاطع واحدثت مقجمة حذائه المغلقة حركات تشنجية. فهو قد أمعن النظر في وجه الشقراء عندما دخلت إلى صالة الطعام ودبت فيه متعة مثيرة. ولكنه كان حائرا. فقد خيل إليه انه قد شاهد هذه الفتاة من قبل في مكان ما. من المحتمل ان تكون قد عملت في أحد مصانعه كسكرتيرة وربما في مكتب أحد أصدقائه. ولكنه قد رآها من قبل. وشعر انه قد رآها بكل تأكيد. وكان يعتقد انه لا ينسى أبداً وجها من الوجوه بينما كانت الحقيقة انه نادرا ما كان يتذكر وجها من الوجوه فهو لم يكن ينظر نظرة فاحصة إلى أي وجه اللهم الا إذ كان قد وضع خطة للدخول في عمل تجاري مع صاحب ذلك الوجه. وتعجب من الشعور بالذنب الذي هبط عليه نتيجة لتذكره لهذه الفتاة. وساءل نفسه في تعجب: ترى أين شاهد هذه الفتاة من قبل؟

وكانت زوجته تنظر خفية إلى قدمه التي تتحرك في اهتزاز وكان أرنست هورتون يحملق بكل صراحة في ساقي الفتاة وشعرت نورما بالارتياح نحو الفتاة. وكانت نورما تشبه لورين من زاوية واحدة. فهي لم تكن تحب سوى شخص واحد فقط ولذلك لم يكن لديها أي شيء يمكن تفقده. وهذه الفتاة كانت لطيفة ومهذبة وكان حديثها شيقا وعلى نحو يدخل السرور إلى القلب. وهذه الفتاة قد شعرت هي الأخرى بالارتياح نحو نورما لأنها من النوع الذي يمكن أن يحوز اعجابها.

وقبل ان يصل أتوبيس الجريهاوند مباشرة قالت أليس لنورما «راقبي الكاونتر. ممكن؟ سأعود حالاً» ثم انشغلت أفكار نورما مع الأتوبيس والشقراء وإحضار القهوة. إلا أن فكرة هبطت عليها فجأة مما جعلها تشعر بالغثيان في داخلها. فقد عرفت ما كان يحدث كما لو كانت تراه. وما ان عرفت حتى قفزت إلى رأسها حسابات عديدة تتعلق بغضبها المريض. رزمة النقود الضئيلة في شكل أوراق بنكنوت صغيرة. يمكنها استخدام تلك النقود لحين الحصول على وظيفة. ولماذا لا تذهب من الآن طالما انها ستذهب في وقت ما؟ وفتحت الدواليب تحت الرفوف الموجودة خلف الكاونتر ودفعت بالفطائر إلى داخلها. دفعت بها جميعا باستثناء واحدة من كل نوع. واحدة توت. وواحدة زبيب العنب. وواحدة كريم الليمون وواحدة كريم الكاستارد بالكاراميلا ووضعتها في صف على الكاونتر. وتسببت الرائحة المنبعثة من هذه الفطائر في شعورها بمزيد من الغثيان. وكانت لا تزال لا تعرف تماماً ماذا تفعل.

وجاء جوان عبر الباب الأمامي ووقف ينظر إلى مؤخرة رأس الشقراء.

فقالت نورما «أيمكنك أن تراقب الكاونتر لمدة دقيقة يا مستر شيكوي؟».

فتساءل جوان «أين أليس؟».

فقالت نورما «لا أدري» ولكنها كان باستطاعتها ان ترى أليس في ذهنها. لم تكن عينا أليس على ما يرام تماماً. وقد تأخذ الخطاب إلى النافذة وترفعه في اتجاه الضوء. وهي لم تكن في الحقيقة شاغرة بالتسلية. فقد كان نوعا من حب الاستطلاع الفجائي المبهم. وهي قد تميل بعض الشيء نحو الضوء وقد يسقط شعرها في عينيها مما يجعلها تزيحه عنها وقد تخربش أصابعها في الصفحات. وارتجفت نورما. إذا رأت نفسها تندفع في عنف إلى داخل الغرفة ورأت نفسها وهي تختطف الخطاب والتوت أصابعها وشعرت ببشرة أليس تحت أظافرها وشعرت بأظافرها تخدش مستهدفة عيني أليس... تلك العينين الرهيبتين المبللتين المليئتين بالعصارات. وقد تسقط أليس على ظهرها فتهجم نورما على تلك البطن الهائلة الطرية بركبتيها وتنزل خدشا وتمزيقا في وجه أليس وتسيل الدماء من الخدوش.

وقال جوان الذي كان ينظر إلى نورما «ماذا دهاك هل أنت مريضة؟».

فقالت نورما «نعم».

«اذهبي قبل أن تصابي بالغثيان هنا».

فسارت نورما بحذاء الكاونتر وفتحت باب غرفة النوم برفق. وكان باب غرفتها الخاصة بها مفتوحا فتحة بسيطة للغاية فأغلقت باب صالة الطعام وتحركت في صمت نحو باب غرفتها. وكانت نورما آنئذٍ تشعر بالبرودة والقشعريرة. كانت باردة كالثلج. وبدون أن تحدث صوتا دفعت بابها وهناك كانت ـ أليس عند النافذة وقد أمسكت بالخطاب المرسل إلى كلارك جيبل ورفعته لاعلى أمام عينيها تاركة شعرها يتهدل على الجانبين.

وأزاحت أليس شعرها ورفعت عينيها ورأت نورما واقفة عند المدخل. كان وجهها مليئاً بالشغف الشديد وكان فمها مفتوحا. ولم تستطع ان تغير من تعبيرات وجهها. وتقدمت حتى ان الغضون انحسرت عن فمها. ومدت أليس يدها بالخطاب نحو نورما في غباء. فأخذته نورما وطوته في عناية ووضعته في الصديري الخاص بها.. ثم ذهبت نورما إلى صوان الملابس الخاص بها. وسحبت من تحته حقيبة سفرها. وفتحت الدبوس من الجانب الداخلي لردائها وآخرجت المفتاح من الدبوس وفتحت به القفل الخاص بحقيبة سفرها وبدأت تعبىء الحقيبة في تثاقل وأفرغت محتويات صوان الملابس في الحقيبة وضغطت كومة الملابس إلى أسفل بجماع يدها واستخرجت من غرفتها فساتينها الثلاثة ومعطفها الذي له ياقة من فراء الارنب ووضعت المعطف على السرير ولفت الفساتين حول المشاجب ووضعتها أيضاً في الحقيبة.

ولم تستطع أليس ان تتحرك. أخذت ترقب نورما ورأسها يدور من اتجاه لآخر وهي تتابع تحركات الفتاة. وفي ذهن نورما كانت توجد صرخة انتصار صامتة. لقد كانت في القمة بعد حياة عانت فيها من الاندحار. أصبحت في القمة وكانت صامتة. وشعرت بالارتياح لذلك. ولا كلمة واحدة قالتها ولا كلمة واحدة يمكن أن تقولها. وألقت بزوجين من الاحذية في الحقيبة وانزلت الغطاء في احكام إلى اسفل وأغلقتها بالقفل.

وتساءلت أليس «هل ستذهبين الآن على الفور؟» فلم ترد نورما عليها. إذ لم ترغب في أن تقطع لذة الانتصار. لا شيء يمكن أن يجبرها على ذلك.

فقالت أليس «إنني لم أقصد القيام بأي شيء خاطئ» فلم تنظر نورما

لاعلى نحوها. فقالت أليس في قلق: «يحسن بك الا تخبري أحداً والا سانتقم منك» فظلت نورما على موقفها من عدم الكلام. ثم ذهبت إلى السرير وأخذت معطفها الأسود الذي له ياقة أرنب ثم التقطت حقيبتها وسارت خارجة من الغرفة. وكانت انفاسها تحدث صفيرا في انفها. وذهبت خلف الكاونتر ودفعت الزر المكتوب عليه «ليس للبيع» في ماكينة تسيل النقدية وأخذت منها عشرة دولارات عبارة عن ورقة من فئة الخمسة دولارات وأربعة من فئة الدولار وورقة من فئة النصف دولار وورقتين من فئة الربع دولار ودفعت بالنقود إلى الجيب الجانبي لمعطفها الاسود. وكان فمها الضعيف صارما وصلبا ومجعدا.

فقال جوان «ماذا تفعلين هنا؟».

فقالت نورما «إنني ذاهبة إلى سان جوان معك».

فقال جوان «ينبغي ان تساعدي أليس. فهي لا تستطيع البقاء هنا وحدها».

فقالت نورما «لقد تركت العمل» ولاحظت ان الشقراء كانت ترقبها لدى مجيئها عند حافة الكاونتر. وخرجت نورما من الباب المزود بالشاشات لمنع الذباب. وحملت حقيبتها إلى الأتوبيس وصعدت إلى داخله واتخذت لنفسها مقعدا عند المؤخرة. وأوقفت حقيبتها على طرفها إلى جوارها. وجلست منتصبة القامة تماماً.

وكان جوان يرقبها وهي تخرج من الباب. فهز كتفيه وتساءل دون أن ينتظر الاجابة من أحد «ما هذا الذي حدث؟» وكانت أرنست هورتون متجهما. وشعر بالكراهية نحو أليس شيكوي وقال «متى سنرحل على ما تظن؟».

فقال جوان «في العاشرة والنصف. والساعة الآن العاشرة وعشر

دقائق». ونظر إلى آل برتشارد وقال: «اسمعوا. انني ذاهب لاستبدال ملابسي. فإذا أردتم قهوة أو أي شيء آخر يمكنكم الدخول إلى هنا والحصول على ما تريدون».

ودخل جوان إلى غرفة النوم. وفك أربطة الكتف في الأفرول الخاص به وترك البنطلون يسقط لأسفل حول حذائه. كان مرتدياً شورتاً مخططا بخطوط زرق ضيقة وخلع قميصه الأزرق القطني المخطط من فوق رأسه وركل الخف فخلع من قدميه وخطاً خارجاً من الأفرول تاركاً الحذاء والجورب والافرول في كومة على الأرض. كان جسده جافا وذا لون بني. وهو قد اكتسب اللون البني بالوراثة وليس بفعل الشمس. وتحرك نحو الحمام وطرق على الباب. فغسلت أليس التواليت بالماء وفتحت الباب. لقد كانت تقوم بغسل وجهها للمرة الثانية وكانت خصلة مبللة من شعرها ملتصقة على خدها. وكان فمها مرتخيا وكانت عيناها متورمتين وحمراوتين.

فسألها جوان «ماذا حدث؟ أنت تواجهين وقت عصيبا. أليس كذلك؟».

فقالت أليس «إنني أعاني من ألم في الأسنان. ولا حيلة لي في ذلك. فقد هبط على ألم فجائي هنا بالضبط».

فسألها جوان «ما هي حكاية نورما وماذا حدث معها؟».

فقالت أليس «دعها تذهب. كنت أعرف انني سأصطدم بها».

«حسناً. ماذا فعلت؟».

فقالت أليس «إنها فقط خفيفة اليد بعض الشيء».

«ماذا أخذت؟».

«هل تذكر زجاجة البلودجيا تلك التي أعطيتها لي في عيد

الكريسماس؟ حسناً. لقد اختفت ثم وجدتها في حقيبتها. ولقد دخلت لحظة عثوري عليها فتملكها الغضب فأخبرتها ان بأمكانها ان ترحل».

وغمضت عينا جوان. وأدرك انها تكذب ولكنه لم يهتم كثيراً بمعرفة حقيقة ما حدث. إذ لم يكن يهتم بالمرة بما يجري بين النساء من مشاجرات. ودخل إلى الحمام وجذب ستارة الدش حوله.

وقال «منذ الصباح وأنت في ورطة وارتباك. ماذا حدث لك؟».

فقالت أليس «حسناً. انه موعد العادة الشهرية عندي. وإلى جانبها يوجد ألم الأسنان أيضاً».

وأدرك جوان ان الحجة الأولى غير صحيحة ولكنه كان يشك في زيف الحجة الثانية وقال لها «خذي لنفسك كأسا من الخمر عندما نذهب. فذلك سيفيد في كلا الحالتين».

واستطرد جوان قائلاً «عليك بالاعتناء بكل شيء. لأن بيميلز سيذهب معي اليوم».

وشعرت أليس بالسرور. فقد كانت تريد ان يقترح عليها ذلك.

وماج صدر أليس بالانفعال والإثارة. انها ستكون وحيدة وبمفردها. ولكنها لم تكن لتترك جوان يعرف ان ذلك هو ما كانت تريده. فسألته «ولأي شيء سيذهب بيميلز؟».

«انه يريد إحضار بعض الأشياء من سان جوان. اسمعي. لماذا لا يغلق المكان؟ ويمكنك الذهاب إلى طبيب الأسنان في سان جوان».

فقالت أليس «لا. إنها ليست فكرة حسنة. سأذهب إلى سان يسيدرو غدا أو بعد غد. انها ليست فكرة حسنة ان نغلق صالة الطعام».

فقال جوان «وهو كذلك. انها سنتك التي تؤلمك» وفتح المياه. وأطل برأسه من وراء الستارة وقال لها «اذهبي إلى هناك واعتني بالمسافرين».

وكان أرنست قد غير مكانه وذهب إلى الفتاة الشقراء عندما دخلت أليس إلى صالة الطعام.

فقال أرنست «والان. فلنأخذ فنجانين من القهوة».

وقال للشقراء «أتفضلين ان تشربي كوكاكولا؟».

«لا. أريد قهوة. فالكوكا تجعلني ممتلئة وسمينة».

وحاولت أرنست الاستفادة من الوقت. فسألها عن اسمها. فقالت له الشقراء ان اسمها هو كاميل أوكس. وبالطبع لم يكن ذلك هو اسمها. وان ما كان تجميعا سريعاً نبع من رؤيتها لاعلان معلق على الحائط عن فتاة شقراء لها صدر ناهد كالبالون للدعاية عن نوع من الاسطوان ات تسمى Camel تستخدم في رفع حطام السفن الغارقة، ومن رؤيتها لشجرة بلوط تمكنت من مشاهدتها من خلال النافذة. ولكنها من الآن فصاعدا أصبحت تسمى كاميل أوكس خلال هذه الرحلة على الاقل.

فقال أرنست «لقد سمعت هذا الاسم منذ فترة قصيرة في مكان ما» ثم دفع بوعاء السكر في أدب إليها.

وكانت قدم المستر برتشارد تهتز اهتزازات قصيرة. وكانت المدام برتشارد ترقب الموقف. فأدركت ان المستر برتشارد أخذ ينفعل ازاء شيء ما. ولكنها لم تدرك السبب في ذلك. فهي لم تكن لديها خبرات في هذا النوع من الأمور. ولم تكن صديقاتها من النساء من النوع الذي يجعل قدم المستر برتشارد تهتز وتتأرجح. وهي لم تكن تعرف شيئاً عن حياته خارج نطاق تحركاتها الاجتماعية الخاصة بها.

وانزل المستر برتشارد ساقه من فوق الأخرى. ونهض واقفاً وذهب

إلى الكاونتر. وقال مخاطباً أرنست «لقد خطر على ذهنك المحاكمة الخاصة باغتيال الاوكس» ثم ضحك وأردف قائلاً «وإني متأكد ان هذه الفتاة الشابة لم يقتلها أحد ولم تقم هي باغتيال أحد». وقال لأليس بطريقة مهذبة وجذابة للجنس الآخر «أريد قدراً يسيراً آخر من القهوة».

وجذبت ابنته عينها اليمنى بالعرض لتنظر إليه. إذ كان هناك في صوته خاصية لم تسمعها أبداً من قبل. كان في صوته قدر من الأبهة والعظمة حيث كان يوسع حرف «A» أثناء كلامه ويضفي على حديثه رسميات غير طبيعية وصدمت ابنته بسبب ذلك وحملقت في الشقراء فأدركت فجأة كنه ما يجري. إذ كان المستر برتشارد متفاعلا ومتجاوبا مع كاميل أوكس. كان يستخدم حيله وفنونه لكي يظفر باعجاب الفتاة. وكان يستخدم حيله وفنونه بطريقة لها طابع الابوة ولم تحب ابنته ذلك.

وقال المستر برتشارد «لدي إحساس انني قد قابلتك من قبل. فهل حدث ذلك يا ترى؟».

وفسرت ميلدريد السؤال في رأسها على النحو التالي «ألم أشاهدك في مكان ما؟».

ونظرت كاميل إلى وجه المستر برتشارد وخفقت عيناها على بادج النادي الموجود فوق طية صدر جاكتته وعرفت المكان الذي رآها فيه. فهي عندما كانت تخلع ملابسها وتجلس في كأس الخمر الكبير تحرص للغاية على عدم النظر في وجوه الرجال. إذ كانت تخاف من شيء ما موجود في عيونهم المبللة المنتفخة المتورمة وفي أفواههم الرخوة المترهلة التي تعلوها ابتسامات فاترة. وكان لديها احساس بأنها إذا نظرت مباشرة إلى واحد مهم فإنه قد يبادر بالهجوم عليها. وكان المتفرجون عليها من وجهة نظرها مجرد نقاط من الوجوه الوردية الحمر ومئات من

الياقات البيض وأربطة العنق الانيقة من نوع «البابيون» إذ كان رواد نادي «توينتي ثري ثاوزاند كلوب» يرتدون التوكسيدو.

فقالت «لا أتذكر».

فأصر المستر برتشارد قائلاً «ألم تذهبي أبداً إلى الغرب الأوسط؟».

فقالت كاميل «لقد كنت أعمل في شيكاغو».

فتساءل المستر برتشارد «أين؟ فلدي احساس قوى للغاية بأنني شاهدتك من قبل».

فقالت كاميل «إنني أعمل ممرضة في علاج الأسنان».

فلمعت عينا المستر برتشارد خلف نظارته وقال «اسمعي. أراهن على انك اشتغلت عند الدكتور هوراس لهولتز، انه طبيب الأسنان الخاص بي في شيكاغو».

فقالت كاميل «لا. لا. لم أعمل اطلاقا عنده. وكان آخر عمل لي عند الدكتورت. س. شسترتيلد» وقد حصلت على ذلك الاسم أيضاً من أحد الملصقات على الحائط. ولم تكن لبقة في ذلك الاختيار. وتمنت أي يلحظ الإعلان المعلق فوق كتفه مباشرة على الحائط والذي كتب عليه «أنواع الشسترفيلد: انها ترضي الجميع».

فقال المستر برتشارد في ابتهاج مما آثار اشمئزاز ابنته «حسناً. سأتذكر ان عاجلا أو آجلا. فأنا لا أنسى أي وجه على الإطلاق».

ووقع نظر المدام برتشارد على عيني ابنتها ميلدريد ورأت النفور والبغض على تعبيرات وجهها. ثم رمقت زوجها بنظرة مرة أخرى. فشاهدته وهو يقوم بتصرفات غريبة وشاذة فقالت «إليوت:. أيمكنك أن تحضر لي قليلاً من القهوة؟».

فبدا على المستر برتشارد كأنه يهز نفسه ليتخلص من الحالة التي هو فيها ويعود إلى الحقيقة الواقعة. وقال «أوه. نعم. بكل تأكيد» وعاد صوته إلى نبرته الطبيعية. ولكنه أصيب بالانفعال مرة أخرى.

وفتح الباب الذي تعلوه شاشات منع الذباب وأغلق بصوت مرتفع. ودخل بيميلز كارسون. ولكنه كان متبدل الشكل والهيئة. كان وجهه مليئاً بكمية هائلة من المساحيق في محاولة لتغطية البثور والدمامل، ونجحت هذه المساحيق في تحويل لون البثور الأحمر إلى لون قرمزي شديد. وكان شعره ممشطا بطريقة جميلة إلى الخلف ومثبتا بدهانات الشعر العطرية. وكان يرتدي قميصا ذا ياقة ضيقة للغاية ورباط عنق أخضر اللون معقودا عقدة صغيرة. وكان ياقة القميص مثبتة تحت العقدة الصغيرة بواسطة دبوس ياقة ذهبي. وبدا على بيميلز كأنه يعاني من الاختناق بعض الشيء لأن ياقته كانت ضيقة للغاية. وكان قميصه ورباط عنقه يرتفعان ويهبطان بعض الشيء عندما يبتلع ريقه. وكانت حلته ذات لون بني شيكولاته ومن نسيج مليئ بالشعر. وعلى جوانب بنطلونه كانت توجد انطباعات شنابر السرير التي لا يكاد يدركها المرء. وكان يلبس حذاء أبيضا به لون بني في المنطقة التي تعلو مشط القدم. أما جوربه فكان صوفيا ومخططا باللونين الأحمر وثان.......... ية.

ورفعت أليس نظرها إليه في دهشة وقالت «حسناً! أنت تشبه حقيقة المنظر الذي تبدو عليه الان!!».

فأحس بيميلز بالكراهية نحوها. وجلس على كرسي بدون مسند في المكان الذي تركه توا المستر برتشارد ليأخذ القهوة ويناولها لزوجته وقال «أرغب في تناول قطعة من فطيرة التوت الجديدة تلك» وأمعن النظر في عصبية إلى كاميل واختنق صوته بعض الشيء وهو يقول لها

«ينبغي ان تتناولي قطعة من تلك الفطيرة يا آنسة». فنظرت كاميل إليه ودب الدفء في عينيها. فعندما يتعرض إنسان للتوتر والاضطراب كانت هي تدرك ذلك.

وقالت له في رقة «لا. شكرا. فقد تناولت طعام الافطار في يسيدرو».

فقال بيميلز في حماس شديد «إنها على حسابي الخاص».

«لا. شكرا. لا أستطيع».

فقالت أليس «انه بامكانه ان يأكل فطائر وهو واقف على رأسه في برميل من البيرة المجانية في عيد أحد السعف».

وطوت فطيرة وتناولت سكينة.

فقال بيمليز «ضاعفي الكمية من فضلك».

فقالت أليس في قسوة «لا أظن ان عندك الآن أي قدرة على دفع الثمن فأنت قد استنفدت رصيد راتبك عن هذا الأسبوع».

ففزع بيميلز. كم كان يكره أليس!! وكانت أليس ترقب الشقراء. وفهمت الموقف. إذ كان كل رجل في الصالة يتجه بكل حواسه نحو هذه الفتاة. وشعرت أليس بالتوتر والضيق من ذلك. انها ستعرف كل شيء لدى دخول جوان إلى الصالة. وهي منذ لحظة كانت تريد للأتوبيس ان ينطلق في طريقه حتى تتمكن من احتساء قدر هائل من الخمور ولكنها الآن بدأت تشعر بالضيق والتوتر.

وقال أرنست هورتون «إذا استطعت الوصول إلى حقيبة عيناتي سأريك بعض المعدات والأشياء الشيقة الجذابة. أشياء جديدة وجذابة للغاية».

وتساءلت كاميل «منذ متى تركت الجيش؟».

وتركت عينيها تسقط على طية صدر جاكتته التي يوجد عليه القضيب الأزرق والنجوم البيض. ثم قالت «ذلك نادي لطيف. ذلك هو النادي الحقيقي الكبير. أليس كذلك؟».

فقال أرنست «هذا هو ما يقولونه لي. وان كان ذلك لا يشتري لي الاطعمة والمؤن التي يبيعها البقال».

وضحكا سوية.

«هل الرئيس الأكبر هو الذي شبكه على جاكتتك بالدبوس؟».

فقال أرنست «نعم».

وانحنى المستر برتشارد للامام. وضايقه انه لم يكن يدري ماذا يحدث.

وقال بيميلز «ينبغي عليك أن تجربي شيئاً من فطيرة التوت هذه».

فقالت كاميل «لا أستطيع».

وقالت أليس «إنك وجدت ذبابة في تلك. وسأدعك تأخذ باقي الفطيرة التي توجد على السطح مباشرة».

فأدركت كاميل أعراض المرض. فهذه المرأة أصبحت على استعداد لأن تناصبها العداء. وحملقت كاميل في قلق نحو المرأتين الاخريين في الصالة. وأدركت ان المدام برتشارد ليست من النوع الذي يمكن أن يسبب لها الضيق أو الضجر. ولكن الموقف كان يختلف بالنسبة للفتاة الموجودة هناك والتي كانت تحاول أن تنظر بدون الاستعانة بنظارتها. كانت كاميل تأمل في الا تضايقها تلك الفتاة أو تعترض سبيلها. فتلك الفتاة من النوع الجميل الذي يميل للقسوة. وصرخت في عقلها: «أوه. أيها السيد المسيح. ساعدني في أن تتخلص لورين من ذلك الشخص السخيف الغامض لكي نعيش سوية في الشقة مرة أخرى». وكان لديها

شعور مخيف بالوحدة والاعياء. وتساءلت في نفسها: لو انها تزوجت المستر برتشارد فكيف تكون الأمور؟ لقد كان يشبه بعض الشيء الرجل الذي تخيلته في ذهنها ليكون زوجا لها. ولربما لا يكون من الصعب للغاية ان تتزوجه. ومنظر زوجته يدل على انه لم يسبب لها متاعب كثيرة.

ولم تكن برنيس برتشارد على علم بما يدور حولها. وهي لم تشعر بالكراهية تجاه كاميل. كل ما هنالك انها أدركت في غير وضوح ان شيئاً من التغيير قد ران على الغرفة. ولكنها لم تدرك كنه ذلك الشيء على وجه الدقة. وقالت في انتعاش وابتهاج ومهارة «أظن انه يحسن بنا ان نضم أمتعتنا إلى بعضها البعض». قالت هذا على الرغم من ان أمتعتهم كانت فعلا مضمومة لبعضها البعض.

وخرج جوان من غرفة النوم. كان مرتديا بنطلونا نظيفا من قماش مثل القطيفة وكان البنطلون متيناً ومضلعاً. وكان يلبس قميصا نظيفا أزرق اللون وجاكيت سبور من الجلد للوقاية من الريح. وكان شعره الكثيف ممشطا إلى الخلف وكان وجهه لامعا بفعل حلاقته لذقنه.

وقال «الكل جاهز؟».

وراقبته أليس عندما سار حول نهاية الكاونتر الخاص بالغذاء. انه لم ينظر إلى كاميل علىّ الإطلاق. فشعرت أليس بنذير الخطر. إذ كان من عادة جوان ان ينظر إلى جميع الفتيات. وطالما لم ينظر إلى كاميل فهذا يدل على وجود شيء غير طبيعي. ولم تشعر بالارتياح لذلك.

وجاء المستر فان برانت ذلك الرجل العجوز ذو الرقية المتصلبة إلى الصالة من الخارج وظل ممسكا بالباب المزود بالشاشات فاتحا اياه فتحة بسيطة وقال «الجو يوحي بمزيد من الأمطار».

فقال له جوان في اختصار «أنت ستذهب بالجريهاوند التالي المتجه شمالاً».

فقال فان برانت «لقد غيرت رأيي. سأذهب معك. أريد أن أشاهد ذلك الكوبري. ولكن السماء ستمطر مزيدا من المطر وانا أخبرك بذلك».

«ولكنك لم تكن ترغب في الذهاب على ما أظن».

«من حقى ان أغير رأيي. أليس كذلك؟ لماذا لا تقوم بالاتصال تليفونيا مرة أخرى للاستفسار عن ذلك الكوبري؟».

«انهم قالوا انه على ما يرام».

فقال فان برانت «لقد كان ذلك منذ بعض الوقت. انك غريب على المنطقة هنا. وأنت لا تعرف السرعة التي يرتفع بها نهر سان يسيدرو. لقد سبق لي أن رأيته وهو يرتفع بمقدار قدم عن كل ساعة عندما غاصت فيه التلال. ينبغي عليك أن تتصل بالتليفون».

فتضايق جوان إلى حد الجنون وقال «اسمع. انني أقود الأتوبيس. وظللت على هذه الحال لفترة لا بأس بها أتفهم ذلك؟ عليك فقط بالصعود إلى الأتوبيس والاعتماد على امكانياتنا. ويمكن لك ان تبقى هنا ولكن دعني أقود الأتوبيس».

فأدار فان برانت وجهه من جانب لآخر وحملق ببرود في جوان «لست أدري ما إذا كنت سأذهب معك أم لا. وقد أبعث بمذكرة عنك إلى لجنة النقل البري. فما أنت الا سائق في النقل العمومي. ولا تنس ذلك».

فقال جوان «هيا بنا أيها الناس».

وأخذت أليس ترقبه في خفية. انه لم ينظر إلى كاميل ولم يعرض

عليها ان يحمل لها حقيبتها. وكان ذلك أمراً سيئا. ولم ترغب أليس في ذلك. إذ لم يكن من طبيعة جوان ان يتصرف على ذلك النحو.

والتقطت كاميل حقيبة سفرها وخرجت بسرعة من الباب. فهي لم تكن ترغب في الجلوس مع أي رجل من الرجال في الأتوبيس. إذ كانت تشعر بالتعب والارهاق وتفحص عقلها بسرعة احتمالات الموقف. صحيح ان ميلدريد برتشارد كانت غير مرتبطة بأحد ولكن ميلدريد لم تكن تشعر بالارتياح نحوها. أما الفتاة التي كانت قد غادرت المكان فإنها كانت هناك في الأتوبيس. فأسرعت كاميل خارجة من الباب وتسلقت إلى داخل الأتوبيس وتبعها كل من أرنست هورتون والمستر برتشارد بأسرع ما يمكن. ولكن كاميل كانت قد دخلت بالفعل إلى الأتوبيس وكانت نورما جالسة في صمت تام وكانت روح العداء تنبعث من عينيها وكان انفها أحمر ولامعا. فقد كانت نورما خائفة تماماً مما أقدمت عليه.

وقالت كاميل «أتسمحين لي بالجلوس إلى جوارك يا عزيزتي؟» فادارت نورما رأسها في تخشب ونظرت إلى الشقراء وقالت لها «يوجد عدد كبير من الأماكن الشاغرة».

«هل ستوافقين؟ سأقول لك السبب في ذلك فيما بعد».

فقالت نورما في شموخ «تصرفي كما يحلو لك». ولاحظت نورما ان هذه الفتاة مرتدية ملابس غالية الثمن. ولم يعنها ذلك على فهم الموقف. فالناس لم تكن لديهم الرغبة في الجلوس مع نورما. ولكن كان هناك سبب ما. ربما سبب غامض. وكانت نورما تعرف الأفلام السينمائية التي شاهدتها. فأمور كهذه يمكن أن تتحول إلى تسع بكرات من الاشرطة السينمائية المليئة بالمتعة الصافية. وتحركت إلى جوار النافذة. وافسحت مكاناً لكاميل. وتساءلت نورما «إلى أية مسافة أنت ذاهبة؟».

«إلى لوس أنجلوس».

«شيء عجيب!! إنني ذاهبة إلى هناك أيضاً. هل تعيشين هناك؟».

فقالت كاميل «بشكل متقطع وفي غير انتظام» ولاحظت ان الرجال الذين هرعوا في تكدس خارج صالة الطعام قد شاهدوها وهي تجلس إلى جوار نورما. فهبط تدافعهم. إذ لم يعد هناك مجال للمنافسات. وتجمعوا عند مؤخرة الأتوبيس لكي توضع حقائبهم في القسم الخاص بالامتعة.

وتريث جوان قليلاً عند باب صالة الطعام بينما كانت أليس تنظر إليه عبر الشاشات. وقال لها «خذي الأمور ببساطة. فقد عانيت طوال الصباح من المتاعب والارتباك. حاولي ان تتخلصي من ذلك قبل أن أعود للبيت».

وظهرت حدة الحزن والكآبة على وجه أليس. وكانت على وشك ان تجيب عليه ولكن جوان استطرد قائلاً «وإلا فسوف لا أعود ذات يوم» فتلاحقت انفاسها وقالت في عواء «كل ما في الأمر انني لا أشعر بأنني على ما يرام».

«حسناً. ابدئي في الشعور بالتحسن بعد الآن. ولا تفرطي في العمل وتنهكي قواك. فلا أحد يحب المرضى لفترة طويلة للغاية. لا أحد. خذي ذلك كمعلومات وثيقة» ولم تكن عيناه تنظر إليها وإنما من حولها ومن خلالها. فهبط الهلع والفزع على أليس واستدار جوان وسار بعيداً في اتجاه الأتوبيس.

واسندت أليس مرفقيها على عارضة الباب ذي الشاشات. وامتلات عيناها بدموع كبيرة ناعمة وقالت في هدوء «إنني ممتلئة مترهلة. انني عجوز شمطاء. أوه. يا إلهي. كم أنا عجوز شمطاء» وجرت الدموع في

أنفها. وشنت فسحبت الدموع من انفها إلى الخلف وقالت «ابستطاعتك ان تحصل على الفتيات الصغيرات. ولكن ما الذي يمكننى الحصول عليه؟ لا شيء. انني امرأة عجوز شمطاء وخرقاء». وراحت تشن بانفها مرات عديدة في هدوء وهي واقفة خلف الشاشات.

وكان المستر برتشارد يرغب في أن تتاح له فرصة الجلوس خلف الشقراء ليتمكن من مراقبتها ولكن المدام برتشارد اتخذت مكاناً بالقرب من المقدمة مما اضطره إلى الجلوس بجوارها.

وجلست ميلدريد بمفردها على الجانب الآخر خلفهما. وتسلق بيميلز الأتوبيس وحصل على المقعد الذي كان يريده المستر برتشارد وجلس إلى جواره أرنست هورتون.

ولاحظ جوان في فزع ان فان برانت أخذ المقعد الذي يقع خلف مقعد السائق مباشرة. وكان جوان عصبيا وحاد المزاج. فهو لم يحصل على قسط وافر من النوم علاوة على أن بعض التجارب غير المستحبة كانت تدوي منذ الصباح الباكر. وقام بترتيب حقائب المسافرين في الحقيبة الخلفية للأتوبيس وجذب عليها القماش المشمع لأسفل ثم أغلق باب الحقيبة. ولوح بيده لأليس التي كانت مستندة في الداخل على الباب المزود بالشاشات. وعرف من منظرها ووضعها انها كانت تبكي وكان يدرك انه ينبغي عليها ان تبكى وتعجب من السبب الذي جعله يقيم معها تحت سقف واحد. وكان يعتقد ان السبب هو مجرد الكسل المحض فهو لم يكن يرغب في تحمل معاناة الاضطراب العاطفي الناجم عن تركه لها. وهو قد يشعر على الرغم منه بالقلق عليها والحزن من أجلها وكان ذلك في حد ذاته يشكل متاعب جمة للغاية. فهو عندئذ سيصبح بحاجة لامرأة أخرى على الفور. وبدون أي تأخير وذلك يستغرق قدرا

من التحدث والمناقشة والاقناع. والمسألة كانت تختلف عن مجرد الممارسة مع فتاة فهو كان بحاجة إلى امرأة تبقى إلى جواره وتقاسمه الحياة وكان ذلك هو الفارق. وهو قد تعود على امرأة وكان ذلك أقل مشقة. وإلى جانب ذلك كانت أليس هي المرأة الوحيدة التي وجدها تستطيع أن تطهو الفول واللوبيا والفاصوليا خارج المكسيك. أمر يبعث على الضحك. إذ كان باستطاعة كل شخص هندي صغير السن في المكسيك ان يطهو البقول بطريقة سليمة بينما لا أحد هنا يستطيع ذلك سوى أليس ـ مع ان طهي هذه الأشياء سهل للغاية: مجرد قدر كاف من العصارات والسوائل. مجدرد الطعم الحقيقي للبقول بدون خلط أي نكهة أخرى معه. فالناس هنا يضعون الطماطم والفلفل الأحمر الحار والثوم وأشياء من هذا القبيل في البقول رغم ان البقول ينبغي أن تطهي لذاتها ووحدها. وضحك جوان وقال لنفسه «لأنها تعرف كيف تطهي البقول».

ولكن كان هناك سبب آخر أيضاً. فهي كانت تحبه.

كانت تحبه حبا حقيقيا. وهو كان يدرك ذلك. ولا يمكن للمرء ان يترك شيئاً مثل ذلك. انه بنيان. بنيان له هندسة معمارية ولا يمكن للمرء ان يتركه بدون أن يمزق جانبا من ذاته. لذلك إذا أراد المرء ان يظل محتفظا بكيانه فعليه بالبقاء على ما هو عليه بغض النظر عن مدى كراهيته للبقاء. ولم يكن جوان من الرجال الذين يخدعون انفسهم بشكل كبير للغاية.

وما ان كاد يصل إلى الأتوبيس حتى عاد أدراجه وسار على وجه السرعة إلى الباب ذي الشاشات وقال: «احتسي كأساً واحدة من الخمر كعلاج لتلك السنة». واستدار عائداً إلى الأتوبيس. وهي قد تتناول الكثير

من الخمور وتصبح ثملة أكثر من شخص حقير عندما يعود إليها من مشواره إلا أن ذلك قد يصلح من شرايينها وأعصابها مما قد يجعلها تشعر بالتحسن.

وهو قد ينام في فراش نورما إذا أغمي على أليس وأصبحت فاقدة الوعى حيث لم يكن يتحمل الرائحة الخاصة بها عندما تكون مخمورة. إذ كانت تنبعث منها رائحة حمضية مرة.

وحملق جوان لأعلى نحو السماء. لقد كان الهواء ساكنا ولكن في الارتفاعات العليا كانت الرياح تهب جالبة أعدادا هائلة من السحب الجديدة فوق الجبال. وكانت هذه السحب منبسطة وتنضم لبعضها البعض وتتحرك متداخلة مع بعضها البعض لدى انطلاقها بسرعة عبر السماء، وكانت أشجار البلوط الضخمة مازالت تقطر ماء متخلفا عن أمطار الصباح وكانت أوراق الخبيزة الافرنجية قد احتفظت بقطرات لامعة من الماء في الأماكن الوسطى بها. لقد كان هناك سكون مطبق على الأرض ولكن كان هناك نشاط هائل في الطبقات العليا.

ومع ان جوان كان يكره كثيراً إعطاء فان برانت أية فرصة لأن يثق في نفسه، فإنه كان خائفاً من هطول الأمطار مرة أخرى بعد فترة وجيزة. فتسلق صاعدا سلالم الأتوبيس فاصطاده فان برانت حتى قبل أن يجلس على كرسيه. إذ تساءل في انتصار «أتعرف من أين الريح آتية؟ من الجنوب الغربي. أتعرف من أين تلك السحب آتية؟ من الجنوب الغربي. اتعرف من أين تأتي الأمطار الخاصة بنا؟ من الجنوب الغربي».

فقال جوان «وهو كذلك، ونحن جميعا سنموت في يوم ما غير معلوم لنا. وبعضنا سيموت بطريقة مرعبة إلى حد ما. وقد يدهمك جرار، ألم يسبق لك ان رأيت جرارا يدهم رجلاً؟».

فتساءل فان برانت «كيف تصورت ذلك؟».

فقال جوان «دعها تمطر».

فقال فان برانت «إنني لا امتلك جرارا ولكن عندي أربعة أزواج من الخيول في هذه الولاية. كيف تأتي لك ان تتخيل ذلك الجرار؟».

وأدار جوان مفتاح التشغيل في الأتوبيس وجاء الصوت عالياً ورفيعا وبه احتكاك ولكن الموتور بدا يدور على الفور وكان صوته حسناً ومتوافقا وجميلا. فاستدار جوان في مقعده ونادى قائلاً: «ياكيت، استمر في الاصغاء لنهاية المؤخرة تلك».

فقال بيميلز «وهو كذلك» وشعر بالثقة التي أولاها جوان اياه.

ولوح جوان بيده لأليس ثم أغلق باب الأتوبيس بأن حرك عتلته. ولم يستطع ان يتبين ما كانت تفعله أليس من خلال الشاشات. انها قد تدعه يغيب عن البصر ويختفي بعيداً قبل أن تستخرج زجاجة الخمر، وكان يأمل في الا تتورط في أية متاعب.

وقاد جوان أتوبيسه من حول واجهة صالة الطعام واستدار مباشرة نحن الطريق المرصوف الذي يؤدي إلى سان جوان دي لا كروز. ولم يكن طريقا فسيحا للغاية ولكنه كان ناعما إلى حد ما. وكان لجادة الطريق تقوس عال حتى انه كان يسكب المياه ويلقي بها بعيداً على نحو ملائم. وكانت التلال والوادي مليئاً ببقع من ضوء الشمس ومحاطا بالظلال المتحركة للسحب المندفعة عبر السماء. وكان كل من البقع المشمسة والظلال لها لون رمادي معتم وكئيب ومنذر بالاخطار.

وانطلق الأتوبيس «سويت هارت» يضرب الأرض في اهتزاز وارتجاج بسرعة ٤٠ كيلو مترا في الساعة، لقد كان أتوبيسا جيداً وكان صوت نهاية مؤخرته على ما يرام أيضاً.

وقال فان برانت «لم يسبق لي أن أحببت الجرارات» فقال جوان «وأنا لا أحبها أيضاً». وشعر جوان فجأة بأنه على ما يرام.

ولم يستطع فان برانت ان يترك هذا الموضوع يمر هكذا دون تمحيص. فقد نجح جوان في نحو يفوق توقعاته. وأدار فان برانت رأسه من جانب لآخر فوق رقبته المتخشبة. وقال «أسمع. هل أنت واحد من هؤلاء العرافين أو أي شيء من هذا القبيل؟».

فقال جوان «لا».

فقال فان برانت «لأنني لا اؤمن ولا اعتقد في أي شيء من هذا القبيل».

فقال جوان «وأنا أيضاً لا أعتقد في هذه الأمور».

«لا ينبغي أن أمتلك جراراً في المكان الخاص بي» وكان جوان على وشك ان يقول «كان لي أخ ركله حصان فأرداه قتيلاً» ولكنه راح يفكر «أوه. انه ابله ومعتوه. فهو شخص يمكن التأثير عليه بسهولة. لست أدري ما الذي يخيفه ويملؤه بالذعر والهلع».

الفصل التاسع

كان الطريق الرئيس إلى سان جوان دي لا كروز مرصوفا. وكانت مئات الأميال في العشرينات قد مهدت بالخرسانة على الطريق سيبقى ذلك بصفة دائمة هناك، سيعيش نفس المدة التي عاشتها الطرق في العهد الرومانى بل وربما لفترة أطوال. لأن الأعشاب لا تستطيع أن تنمو من خلال الخرسانة وتكسر الطريق. ولكن لو يكن الأمر كذلك، فاللوريات التي تجري بإطارات من المطاط والسيارات المتحركة بثقلها أثناء السير كانت تضرب وتدق في الخرسانة وبعد فترة انطفأت منها الحياة وبدأت تتفتت وتتكسر وبعدئذ انكسر جانب وتداعت فيه حفرة وظهر شرخ وتسبب قدر ضئيل من الثلج في الشتاء في اتساع الشرخ وانتشاره ومن ثم لم تستطع الخرسانة الصامدة ان تتحمل ضربات المطاط فأصيبت بالانهيار.

وبعدئذ صبت فوق الصيان ة بالاقليم قطراناً في الشقوق والكسور والشروخ لمنح المياه من النفاذ إلى الداخل، فلم تفلح تلك الطريقة، وأخيراً قاموا بتغطية الطرق بخليط من القار والحصى، فنجحت هذه الطريقة بالفعل لأنها قدمت وجها غير جاف للإطارات الساحقة، إذ كان يغوص قليلاً بفعل الاثقال التي تمر عليه ويعود إلى حالته بمد برهة وجيزة، وكان يلين في الصيف ويصير صلبا في الشتاء.

وكان طريق سان جوان يمتد في خط مستقيم لمسافة طويلة عبر

حقول منبسطة، وكانت الحقول غير محاطة بالاسرار لأن الماشية لم تعد تتجول. إذ أصبحت الأرض غالية الثمن للغاية بحيث لا يصح ان تكون مجرد مراعي للأغنام والماشية، وكانت الحقول مكشوفة أمام الطريق الرئيس وكانت تنتهي في شكل حفر أو أخاديد بجانب الطريق، وفي الحفر كانت تنمو بكثافة نباتات الخردل الشيطاني واللفت الشيطاني بأزهاره الصغيرة القرمزية اللون، وكانت الحفرة محاطة بنباتات الترمس ذات اللون الازرق، أما نباتات الخشخاش فكانت مبرومة بشدة لأن أزهارها المتفتحة قد دقت أعناقها وتساقطت بفعل الأمطار.

وكان الطريق يجري في خط مستقيم تجاه سفوح التلال الصغيرة للسلسلة الأولى ـ وهي تلال تميل للامتلاء والاستدارة، وتشبه المرأة وناعمة وجنسية مثل جسد المرأة، وكانت الأعشاب الخضر في نفس نضرة بشرة الفتاة الصغيرة، وكانت التلال غنية بالمياه، واهتزاز وكانت جوانبه المغسولة اللامعة تنعكس على صفحة المياه في الحفر.

وكانت الأشياء الصغيرة التذكارية: قفازات الملاكمة الصغيرة وحذاء الطفل تتأرجح وتهتز على الزجاج الأمامي للأتوبيس، وكانت عذراء جدإليوب على هلالها فوق قمة لوحة الآلات تنظر للخلف نحو المسافرين في رأفة وشفقة.

ولم تصدر عن نهاية مؤخرة الأتوبيس أصوات خشنة أو غير متوافقة اللهم باستثناء العواء الغريب الذي يصاحب نقل السرعات، واضطجع جوان للخلف في مقعده تهيئاً للاستمتاع بالرحلة، كانت توجد مرآة ضخمة أمامه لكي يتمكن من مراقبة المسافرين، كان لديه مرآة طويلة خارج النافذة تمكنه من مشاهدة الطرق خلفه، وكان الطريق مهجورا، باستثناء الاعداد القليلة من السيارات التي مرقت متخطية إياه ولكن لم

تأت سيارة واحدة من اتجاه سان جوان مما جعله يشعر بالحيرة في بادئ الأمر من هذا الوضع وبعدئذ ازداد قلقه بشكل كبير، ربما أصبح الكوبري غير صالح للاستعمال، حسناً لو كان الأمر كذلك فإن عليه ان يعود إدراجه، وعليه ان يأخذ جميع المسافرين إلى سان سيدرو ويطلق سراحهم هناك.

فإذا كان الكوبري غير صالح للاستعمال فلن يكون هناك خط أتوبيس إلى أن يعاد إصلاحه من جديد. ولاحظ أيضاً ان نورما والشقراء قد اقتربتا برأسيهما من بعضهما البعض وراحتا تتحدثان، وزاد جوان من سرعة أتوبيسه بعض الشيء.

وأعتقد انه لن يتمكن من عمل أي شيء مع الشقراء، إذا لم تكن هناك أية وسيلة للتوصل إليها والتأثير عليها. وكان جوان كبيراً في السن بما فيه الكفاية بحيث لا ينبغي أن يعاني من أي شيء بعيد الاحتمال ولكن إذا أتيحت له الفرصة فليس هناك أدنى شك بشأن ما سيقدم عليه لأنه قد شعر بالإثارة الشديدة عندما وقع نظره على الشقراء لأول مرة.

وكانت نورما قاسية اللهجة مع كاميل إلى حد بعيد، كانت متجمدة للغاية حتى انه كان يلزمها بعض الوقت لكي تذوب وتتجاوب معها، ولكن كاميل كانت في حاجة إلى نورما كنوع من الدرع الوقائي بالإضافة إلى انهما كانتا تقصدان مكاناً واحداً.

وقالت نورما لكاميل بصوت منخفض لكي لا يسمعها أرنت: «إنني لم أذهب من قبل إلى لوس أنجلوس أو إلى هوليوود، ولست أدري إلى أين أذهب أو أي شيء من هذا القبيل» فسألتها كاميل «وماذا ستفعلين؟».

«سأحصل على عمل، على ما أظن، خادمة في مطعم أو حانة أو أي شيء من هذا القبيل، وأفضل الدخول في زمرة العاملين في السينما».

فزمت كاميل شفتيها وهي تحاول أخفاء ابتسامتها وقالت: «تحصلين أولاً على عمل كخادمة في مطعم أو خلافه، فالعمل في السينما شديد القسوة».

فسألتها نورما «هل أنت ممثلة؟ انك تشبهين الممثلات» فقالت كاميل «لا، انني أعمل مع أطباء الأسنان، فأنا ممرضة في علاج الأسنان».

«حسناً، هل تعيشين في فندق أو في غرفة أو في منزل؟» فقالت كاميل «ليس لي أي مكان أعيش فيه، وكنت أقيم في شقة مع صديقة لي قبل أن أذهب للعمل في شيكاغو».

ودب الشغف والاهتمام في عيني نورما وقالت «لقد ادخرت قدرا ضئيلا من النقود. ولربما استطعنا ان نحصل على شقة سوية. وإذا حصلت انا على عمل في مطعم فلن يكلفنا الطعام أية نقود الا فيما ندر، إذ يمكنني إحضار الطعام والشراب إلى المنزل». وكان الجوع يتصاعد في عيني نورما. واستطرد «وربما لن يكون المبلغ كبيراً إذا تقاسمنا الايجار، وربما أتمكن من القيام برحلات ممتعة».

فشعرت كاميل بالتجاوب مع الفتاة. ونظرت إلى الانف الأحمر والبشرة الكئيبة والعينين الصغيرتين الشاحبتين وقالت «سنرى كيف تسير الأمور».

ومالت نورما مقتربة من كاميل وقالت «أعرف ان شعرك طبيعي، ولكنك ربما تستطيعين ان تبيني لي طريقة إدخال التحسينات على شعري بإضافة تعديلات بسيطة، فشعري فئراني. مجرد فئراني».

فضحكت كاميل وقالت «لعلك تندهشين إذا عرفت اللون الاصلي الخاص بشعري» واستطردت «لا تتحركي لبعض الوقت». وراحت تدرس وجه نورما محاولة تخيل انسب أنواع الكريم البارد والبودرة

والماسكارا التي تصلح لوجهها وتخيلت الشعر وهو لامع ومتموج وفكرت في توسيع العينين بعض الشيء باستخدام مادة تظليل العيون وتشكيل الفم من جديد باستخدام أحمر الشفاء. ولم يكن لدى كاميل أي تصورات خاطئة فيما يتعلق بالجمال. فقد كانت لورين عبارة عن فأر صغير ممتقع اللون بدون مكياج ولكن لورين أصبحت على ما يرام وقد يكون شيئاً لطيفا ان تدخل التغييرات على هذه الفتاة مما يعطيها الثقة في نفسها وربما تصبح أجمل من لورين.

وقالت: «فلنفكر في ذلك»، واستطردت «هذه منطقة ريفية جميلة، انني أفضل العيش في الريف لبعض الوقت» وهبطت صورة ذهنية على عقلها وهي صورة نموذجية لما قد يحدث، إنها قد تصلح من شأن نورما، وهي باستطاعتها ان تكون نوعا من الحسن والجمال إذا اعتنت بنفسها، وبعدئذ قد تقابل نورما شابا ومن الطبيعي انها قد تحضره معها إلى المنزل لتستعرض نفسها وتجذب انتباهه وقد يمارس الشاب الحب مع كاميل فيترتب على ذلك ان تكرهها نورما، وتلك هي الطريقة التي تسير عليها الأمور، فتلك هي الطريقة التي سارت عليها الأمور من قبل، ولكن فيلكن ما يكون، يكفي انه سيكون هناك قدر من المرح والحياة قبل أن تحدث المشاكل، في الاوقات التي تحضر فيها نورما شابا إلى المنزل.

وشعرت بالدفء وبروح الصداقة تسري في كيانها وقالت: «فلنفكر في هذا الأمر».

وأمامه على الطريق الرئيسي شاهد جوان أرنباً مدهوساً، وكان الكثيرون من الناس يرغبون في الجري بالعجلات فوق أشياء من هذا القبيل، ولكن جوان لم يفعل ذلك. إذ حرك عجلة القيادة بحيث مرت

الجثة المبططة بين العجلات ولم يكن هناك صوت فرقشة تحت إطارات الأتوبيس، وزاد من سرعة أتوبيسه إلى ٤٥ كيلو مترا في الساعة وكانت أتوبيسات الطريق الرئيسي تنطلق أحياناً بسرعة ٦٠ كيلو مترا في الساعة ولكن جوان كان لديه متسع من الوقت. وكان الطريق مستقيماً لمسافة ميلين آخرين وبعدهما يبدأ في التجول بين سفوح التلال الرخوة، ورفع جوان إحدى يديه من على عجلة القيادة وبسطها.

وشعرت ميلدريد بأعمدة التلغراف تخفق بالقرب منها كأنها ضربات صغيرة فوق عينيها، ووضعت نظارتها على عينيها مرة أخرى وراحت ترقب وجه جوان في المرآة واستطاعت ان ترى من الزاوية التي تجلس عندها قدراً أكبر من بروفيل الوجه، ولاحظت انه قد رفع رأسه لينظر للخلف نحو الشقراء كل دقيقة أو نحو ذلك فشعرت بالغضب المر يتملكها وكانت مضطربة وحائرة ومرتبكة بسبب ما حدث في ذلك المصباح، ولم يعرف أحد بالطبع ذلك اللهم إلا إذا كان جوان قد ضمن مفترضاً ما حدث لها، إذ كانت لا تزال منتفخة بعض الشيء في توتر وآثاره بسبب ذلك الأمر، وراحت عبارة تتردد على ذهنها في الحاح، إنها ليست شقراء وليست ممرضة وليس أسمها كاميل أوكس، وظلت هذه العبارة تتردد مرات ومرات عديدة، وبعدئذ ضحكت من نفسها سراً دون أن يلحظها أحد وقالت لنفسها «إنني أحاول تدميرها، وأثار بذلك أفعل شيئاً يتسم بالحمق، لماذا لا أعترف بأنني غيورة؟ إنني غيورة فعلاً، وهو كذلك، وهل الاعتراف بذلك يجعلني أقل غيرة؟ لا، فالاعتراف لا يقلل الغيرة، ولكنها أرغمت والدي على أن يهزئ نفسه، حسناً، وهل يهمني ما إذا كان والدي مغفلاً أو غير ذلك؟ لا، لا يهمني ذلك - إذا كنت غير موجودة معه، فأنا لا أريد أن يظن الناس انني ابنته وهذا هو كل ما في الأمر، لا، وليس ذلك صحيحا أيضاً، إنني لا أريد

الذهاب معه إلى المكسيك، إذ يمكنني سماع الأشياء التي سيقولها «ولم تكن تحس بالراحة، ولم تكن حركات هذا هو الكلام الفاضي»، ولوت عضلات فخذيها وراحت تفكر في طالب الهندسة وتخيلت في ذهنها ما حدث بينهما».

وكان المستر برتشارد متضايقاً ومتعباً وهو قد يكون مثيراً لأعصاب الآخرين للغاية عندما يكون متضايقا، وتحرك حركة سريعة فجائية في اهتزاز وقال لزوجته: «هذه المنطقة غنية، فكاليفورنيا تزرع معظم الخضروات اللازمة للولايات المتحدة الأمريكية كما تعرفين».

وكان باستطاعة المدام برتشارد ان تسمع نفسها وهي تتكلم عقب عودتها إلى منزلها «ثم قطعنا بالأتوبيس أميالاً وأميالاً من الحقول المليئة بنباتات الخشخاش والترمس وهي حقول تشبه الحدائق تماماً، وكانت هناك فتاة شقراء توجد في مكان صغير غريب، فقام الرجال بحركات الاستظراف أمامها وحتى إليوت نفسه فعل ذلك، وبعد ذلك هزئت به بطريقة مرحة على مدى أسبوع بسبب ما أقدم عليه. وهي قد تكتب هذا في خطاب وتقول: «وأنا متاكدة بعض الشيء من ان هذه الإنسانة المسكينة الصغيرة المدهونة بالمساحيق كانت لطيفة وحلوة، وقالت عن نفسها انها ممرضة ولكن من المحتمل ان تكون ممثلة ـ للأدوار البسيطة كما تعرفين، إذ يوجد عدد كبير منهن في هوليوود، ٣٨ ألفاً وفقاً للسجلات الرسمية المقيدة بها أسماؤهم فهناك وكالة ضخمة لتشغيلهن، ٣٨ ألفاً واخفضت رأسها في تمايل بعض الشيء إذ كان النعاس يغالبها وكانت جائعة، وراحت تفكر: ترى ما هي تلك المغامرات التي ستواجهها الآن».

وعندما انزلقت زوجته إلى أحلام اليقظة الخاصة بها أدرك المستر

برتشارد ذلك، فهو قد قضى معها فترة طويلة من الحياة الزوجية بحيث أصبح يعرفها عندما لا تكون مصغية إليه ولكنه كان يستمر في حديثه بطريقة عادية، وهو غالبا ما كان يوضح تفكيره بشأن الأعمال التجارية أو النواحي السياسية بأن يقول أفكاره لبرنيس عندما لا تكون مصغية إليه، وكانت له ذاكرة مدربة على لغة الأرقام وبعض المعلومات، فهو كان يمرق على وجه التقريب كم عدد أطنان سكر البنجر التي انتجت في وادي ساليناس، فهو قرأ الرقم واحتفظ به في عقله على الرغم من أدراك انه لن يستفيد من هذه المعلومات، إذ كان يشعر انه من المفيد ان يعرف مثل هذه المعلومات رغم انه لم يسأل نفسه عن قيمتها بالنسبة له، وعن السبب الذي يجعل معرفتها مفيدة، ولكنه في هذه الاونة لم يكن لديه أي ميل نحو المعرفة، إذ كانت هناك قوى شديدة توجه إليه الضربات تلو الضربات من مؤخرة الأتوبيس، فهو كان يريد الالتفات لكي ينظر إلى الشقراء، كان يريد الجلوس في مكان يستطيع منه مراقبتها، وكان كل من هورتون وبيميلز يجلس خلفه، ولم يكن باستطاعته مجرد الجلوس في وضع مقابل والنظر إليها.

وسألته المدام برتشارد «كم عمرها فيما تظن؟» وجاء السؤال بمثابة صدمة له لأنه كان يفكر في نفس الشيء.

فسألها «كم عمر من؟».

«المرأة الشابة، المرأة الشابة الشقراء».

«أوه، هي، كيف لي أن أعرف؟» وكانت إجابته جافة وخالية من الذوق حتى ان زوجته ارتبكت وشعرت بأن مشاعرها قد جرحت بعض الشيء، فلاحظ هو ذلك وحاول تغطية غلطته فقال لها «باستطاعتك ان تحددي سنها في مزيد من الدقة أكثر مني».

لماذا؟ لست أدري، حسناً، انه من الصعب معرفة سنها بينما هي تضع ذلك المكياج وذلك اللون الخفيف على الشعر.

لقد أردت ان أعرف لمجرد المعرفة وأظن ان سنها ما بين خمسة وعشرين وثلاثين عاماً.

فقال المستر رتشارد «لم يكن بمقدوري معرفة ذلك» ونظر خلال النافذة نحو سفوح التلال المقتربة، وكانت راحتا يديه مبللتين بالعرق بعض الشيء وكان المغناطيس في مؤخرة الأتوبيس مازال يجذبه فاراد ان ينظر فيما حوله ثم قال «لست أعرف السر وراء شغفي بذلك الهورتون الشاب، فهو صغير في السن ومع ذلك أحرز قدرا كبيراً من التقدم والصعود، ولديه بعض الأفكار، لقد استحوذ فعلا على إعجابي، ولربما أجد مكاناً لرجل مثله في المؤسسة».

وكان هذا القول يدخل ضمن دائرة الأعمال التجارية، وكان باستطاعته برنيس أيضاً ان تجذب حولها دائرة سحرية بموضوع الامومة أو بموضوع مثل الطمث مثلاً وعندئذ فلن يحاول رجل الدخول إلى دائرتها، وكانت الأعمال التجارية هي الدائرة السحرية الخاصة بزوجها، إذ لم يكن لديها الحق في الذهاب بالقرب منه لو كان الأمر يتعلق بالاعمال التجارية حيث لم يكن لديه معلومات عن النواحي التجارية ولم يكن لديها شغف أو اهتمام بها، كانت عالمه الخاص به وكانت تحترم عالمه.

فقالت «يبدو انه شاب لطيف كما ان قواعد اللغة عنده ومعلوماته العامة...».

فصاح في انفعال «يا إلهي، برنيس!! إن الأعمال التجارية ليست معلومات عامة وقواعد في اللغة، فالأعمال التجارية هي ما يمكن أن

ينتجه الإنسان، إن الأعمال التجارية هي أعظم شيء ديمقراطي في العالم، وأهم شيء في العمل التجاري هو: ما هو الشيء الذي نستطيع أن نفعله».

وكان المستر برتشارد يحاول أن يتذكر الشكل الذي يتبدو عليه شفتا الشقراء، وكان يعتقد ان النساء ذوات الشفاء الممتلئة شهوانيات، ثم قال «إنني أرغب في التحدث قليلاً مع هورتون قبل أن يفلت مني وينصرف بعيداً».

وأدركت برنيس انه كان قلقا.

فقال له «ولماذا لا تتحدث معه الآن؟».

«أوه، لست أدري، انه يجلس مع ذلك الولد» «أنا متأكدة ان ذلك الولد سيترك مكانه لو طلبت منه ذلك بطريقة لطيفة». وكانت هي مقتنعة بأن أي شخص يمكنه ان ينفذ أي مطلب لو طلب منه ذلك بطريقة مهذبة، وكانت على حق فيما يتعلق بها، فهي كانت تطلب وتحصل على مساعدات كبيرة من الاغراب لمجرد انها تطلب بطريقة مهذبة، فهي قد تطلب من خادم الفندق ان يحمل لها حقائبها لمسافة أربعة منازل حتى المحطة بحجة ان المسافة قصيرة للغاية بحيث لا تستأهل استئجار سيارة وبعدئذ تشكره بطريقة مهذبة وتعطيه دايما واحداً.

وهي آنئذٍ كانت تدرك انها تساعد زوجها على أن يفعل شيئاً يرغب في القيام به، ولكن ما هو ذلك الشيء، هذا ما لم تكن تعرفه، وأرادت ان تعود إلى كتابة الرسالة الخيإلية عن رحلتهم. «واليوت شغوف ومهتم بكل شيء، فهو يتحدث لفترات طويلة مع كل شخص وأظن ان هذا هو السبب في انه ناجح للغاية، فهو عنده اهتمامات من هذا القبيل، وهو كثير التفكير والتأمر إلى حد بعيد، وكان يوجد ولد يمتلئ وجهه بالثور

الكبيرة، ولم يرد إليوت ان يقلقه ولكني أخبرته بأن عليه فقط ان يطلب منه ما يريد بطريقة مهذبة، فالناس يحبون فعلا الأخلاق الحسنة».

وكان المستر برتشارد ينظف أظافره مرة أخرى بالمبرد الذهبي الذي كان يحتفظ به في سلسلة ساعته.

وكانت عينا بيميلز مصوبة نحو مؤخرة راس كاميل، ولكنه كان متأكد منذ أن جلس من انه لن يتمكن من رؤية ساقيها تحت المقعد ولا حتى رسغيها وهي من وقت لآخر كانت تلتفت لتنظر من النافذة وعندئذ كان باستطاعته ان يرى منظرا جانبيا لوجهها ورموش عينيها الطويلة السوداء القوسية لأعلى والانف المستقيم الذي تعلوه البودرة وفتحتي الانف المغلقتين قليلاً بدخان التبغ والتراب الناجم عن السفر، وكانت شفتها العليا مقوسة لأعلى بزاوية حادة قبل أن تتوسد في بتلة الزهرة الشديدة الاحمرار واستطاع بيميلز ان يرى الشعر الخفيف الناعم فوق شفتها العليا، ولسبب ما تألم بشدة لدى رؤيته هذا المنظر، وعندما التفتت برأسها التفاتة كاملة تمكن من رؤية إحدى إذنيها حيث افترق الشعر بعض الشيء فكشفها وأظهرها، وتمكن من رؤية حلمة الاذن التي يزيد حجمها قليلاً عن الوضع الطبيعي ورأى التجاعيد خلف إذنها حيث كانت متلائمة تماماً مع رأسها، وكانت توجد حفر على حافة إذنها وعندما حملق في إذنها بدأ عليها كأنها مدركة نظراته لأنها رفعت ذقنها لأعلى وهزت رأسها من جانب لآخر حتى ان المفرق في شعرها سقط على بعضه البعض وأخفى الاذن وراءه، ثم أخرجت مشطا من حقيبة يدها لأن هزة رأسها للخلف قد كشفت عن الندبات الغائرة المجدرة على طول فكها، وعندئذ رأى بيميلز الندبات الغائرة القبيحة المنظر لأول مرة، واضطر لأن ينحني على جانب لرؤيتها في مزيد من الوضوح فنفذت إلى صدره طعنة من الالم، شعر بأسف عميق لا تبرير له الا

انأفه أتخذ طابعا جنسيا في نفس الوقت، وتخيل نفسه وهو ممسك برأسها في يديه ورأى نفسه وهو يربت على الندبات المسكينة بإصبعه، وازدرد ريقه مرات عديدة.

وكانت كاميل تقول في رقة وهدوء «ثم توجد هناك مقبرة وي كيركي ذا هيئر......... ، وأظن ان تلك المقبرة هي أعظم مقبرة في العالم، وتصوري انه لابد للإنسان من الحصول على تذكرة لكي يستطيع الدخول. وانا شخصيا يحلو لي التنزه هناك، فهي جميلة للغاية والارغن يعزف طوال الوقت تقريباً وأنت تجدين الناس مدفونين هناك وهم الذين قد شاهدهم الناس من قبل على الشاشة البيضاء، وكثيراً ما أبديت رغبتي في أن أدفن هناك».

فقالت نورما «لا أرغب في التحدث في مثل هذه الأمور، فهذا فال سيء».

وكان بيميلز يتناقش بطريقة فجة مع أرنست هورتون عن الجيش «إنهم يقولون ان باستطاعة المرء ان يتعلم التجارة ويسافر في كل أنحاء العالم، لست أدري، ولكنني بصدد دراسة هندسة الرادار، ستبدأ في الأسبوع القادم بالمراسلة بالبريد الجوي وأظن ان الرادار سيصبح من الأمور الممتازة، ولكن الإنسان يستطيع أن يحصل وهو في الجيش على مجموعة كاملة من الدروس والمحاضرات الممتازة عن الرادار».

فقال أرنست «لست أدري الكيفية التي تكون عليها الأمور في وقت السلم، ولكن باستطاعتك الحصول على منهج كامل في الرادار عندما تكون هناك حرب».

«هل اشتركت في معارك قتالية؟».

«إنني لم انشد الدخول في المعارك ولكني اشتركت فيها ضد أرادتي».

فتساءل بيميلز «أين كنت حينئذ؟».

«في كل أرجاء جهنم».

فقال بيميلز «ربما استطعت ان أخط لنفسي طريقا حسناً في الحياة وادخل في أعمال البيع مثلك».

فقال أرنست «ولكن الإنسان يتعرض للهلاك والموت جوعاً إلى أن يتمكن من توطيد اتصالاته، فقد ظللت أكافح طوال خمس سنوات حتى تمكنت أخيراً من توطيد اتصالاتي، ثم بعد ذلك أطاحوا بي والقوا بي بعيداً، وها انا ذا أعود الآن مرة أخرى لأقف على أقدامي، ولا يمكنك أن تكتفي بوضع قدميك في هذا المجال إذ ينبغي أن تعمل بكل كيانك، والعمل في هذا المجال لا يشبه العمل ولكنه عمل بالفعل، ولو قدر لي أن أبدأ حياتي من جديد سأتعلم حرفة حتى يكون لي بيت، فمن الأمور الممتعة للغاية ان يكون للإنسان زوجة واثنان من الأطفال» وكان أرنست يقول دائماً هذا الكلام وهو كان يعتقد في صحة هذا الكلام عندما يكون مخمورا ولكنه لم يكن يرغب في أن يكون له بيت، إذ كان يعشق الانتقال من مكان لآخر ورؤية أناس مختلفين، فهو من النوع الذي لا يلبث ان يفر من أي منزل على الفور، وهو كان قد تزوج ذات يوم ولكنه خرج هائماً على وجهه في اليوم الثاني للزواج تاركا وراءه زوجة مذعورة وغاضبة للغاية، ولم يشاهد زوجته بعد ذلك على الإطلاق ولكنه شاهد صورتها ذات مرة حيث القي القبض عليها بسبب تزوجها من خمسة رجال في أن واحد وحصولها على أسهم التأمين من الجيش عن كل واحد منهم، يا لها من امرأة محنكة، امرأة شرسة وأفاقة

وعملية، وأغلب الظن ان أرنست كان معجب بها لأنها قد تمكنت بشراستها من الحصول على الفوائد على الاسهم.

وسأل بيميلز «لماذا لا تلتحق مرة أخرى بالمدرسة؟» فقال بيميلز «إنني لا أريد أية مواد خيالية، كما ان الاولاد في الكليات مجرد مجموعة من الشباب المخنث، فأنا أريد لنفسي ان أحيا حياة الرجولة».

وكانت كاميل قد انحنت بالقرب من نورما وكانت تهمس في إذنها، وكانت الفتاتان تتمايلان في اهتزاز بسبب الضحك، وماج الأتوبيس حول المنحنى ودخل إلى المنطقة الريفية المليئة بالتلال وكان الطريق قد شق بين جسرين مرتفعين وكانت التربة على طول جانبي الطريق سوداء وتقطر بالمياه، وكان نبات الخشخاش الصغير ذو اللون الذهبي ظهرا متشبثا ومتعلقا بالحصى وكان يقطر بالمياه ووضع جوان يده اليمنى على عجلة القيادة وجعل مرفقيه يتعلقان في الهواء بدون الاستناد على شيء، ستكون هناك خمس عشرة دقيقة على الطريق التلالي الملتوي الذي لا تتخلله مسافات مستقيمة على الإطلاق، وحملق جوان في المرآة الداخلية نحو الشقراء، كانت عيناها مجمدتين مع الضحك وكانت قد غطت فمها بأصابع منبسطة كما تفعل الفتيات الصغيرات.

ولم يكن المستر برتشارد حريصا وهو ينتقل إلى الخلف، وعندما أخذ الأتوبيس ملفا فقد توازنه وارتمى على جانب وتشبث بظهر المقعد وأفلتت يده فسقط متمددا على حجر كاميل، وضربت يده اليمنى التي امتدت للحيلولة دون سقوطه جونلتها القصيرة لأعلى وذهبت ذراعيه بين ركبتيها، فتمزق جزء صغير من جونلتها، فساعدته كاميل لكي يخلص نفسه ثم جذبته جونلتها لأسفل، فتورد وجه المستر برتشارد بشدة بسبب شعوره بالخجل.

وقال «آسف جداً».

«لم يحدث أي ضرر».

«ولكني مزقت جونلتك».

«يمكنني إصلاحها».

«ولكن يجب علي أن أدفع ثمن إصلاحها».

«سأصلحها مؤقتا بنفسي، فالتمزق ليس كبيراً»، ونظرت إلى وجهه وأدركت انه كان يتعمد الاطالة في الكلام معها، وراحت تفكر «انه سيحاول ان يعرف العنوان الذي يرسل عليه النقود». ثم نادت المدام برتشارد: «إليوت، هل تحاول الجلوس في حجر السيدة؟».

وعندئذ انفجر الجميع في الضحك، حتى جوان نفسه انفجر ضاحكا، وفجأة لم يعد الأتوبيس مليئاً بالاغراب إذ حدث بينهم نوع من التفاعل الكيميائي، وضحكت نورما بطريقة هستيرية حيث ظهر كل التوتر الذي عاشته في الصباح في ضحكاتها.

فقال المستر برتشارد «لابد لي أن أقول، وأرجو ان تصدقيني تماماً، انني لم أحضر للخلف إلى هنا لكي أجلس في حجرك. لقد أردت ان أتحدث قليلاً مع هذا الجنتلمان» ثم قال موجها كلامه ليبميلز «يا بني، هل تتكرم وتترك مكانك لي لفترة بسيطة لأنني أريد أن اناقش بعض الأعمال التجارية مع المستر لا أظن انني سمعت أسمك».

فقال أرنست.. «هورتون. أرنست هورتون». وكان للمستر برتشارد مجموعة كاملة من الحيل التي يستخدمها في معاملاته مع الناس لتحقيق النجاح والتقدم، ، فهو لم ينس مطلقاً اسم رجل أكثر غنى منه أو أكثر نفوذا وسلطانا منه، ولم يعرف على الإطلاق اسم رجل أقل منه شانا ومالا، وقد اكتشفت انه إذا أرغم رجلا على أن يذكر اسمه أمامه فإن

هذا من شأنه ان يضع ذلك الرجل في موقف الخسارة بعض الشيء، فالرجل الذي يقوم بذكر الاسم الخاص به يصير عاريا وبدون حماية بعض الشيء.

وكانت كاميل تنظر إلى جونلتها الممزقة وتتحدث بصوت جميل هادئ مع نورما «لقد أردت دائماً ان أعيش فوق تل، انني أحب التلال وأعشق السير على التلال».

فقالت نورما في حزم «سيكون ذلك مناسباً بعد أن تصبحي غنية ومشهورة، انني أعرف اناسا يعملون في السينما ويذهبون مع كل فرصة سانحة إلى القنص وصيد الاسماك ويلبسون ملابس قديمة ويدخنون الغليون».

وكانت كاميل تدفع بنورما للكشف عن مكنونات شخصيتها، إذ لم يسبق لنورما على الإطلاق طوال سنوات عمرها ان شعرت بمثل هذه الإثارة والحرية والانطلاق حيث كان باستطاعتها ان تقول أي شيء تريده، ثم ضحكت في فتور بعض الشيء.

وقالت «انه لشيء لطيف ان يرتدي المرء ملابس قديمة إذ كان يمتلك دولابا مليئاً بالملابس الجديدة الجميلة النظيفة». واستطرد «الملابس القديمة هي النوع الوحيد الذي امتلكه، ولقد تضايقت وما زلت متضايقة من ذلك إلى حد بعيد». ثم حملقت في كاميل لترى ردود الفعل عليها إزاء صراحتها في القول.

فأومأت كاميل برأسها «أنت تتحدثين في صدق وصراحة يا أختي»، وكان هناك شيء قوي وعاطفي للغاية ينمو بين هاتين الفتاتين، وحاول المستر برتشارد سماع ما يدور بينهما من حديث ولكن دون جدوى.

وكانت الحفر الموجودة بجوار الطريق الرئيسي تنساب بالمياه الهابطة نحو الوادي وكانت السحب الكثيفة تتجمع استعدادا لهجوم جديد.

فقال فان برانت في سعادة «إنها ستمطر حالاً» فزمجر جوان وقال «كان لي زوج أخت فركله حصان فأراده قتيلاً».

فقال فان برانت «لابد انه لم يستخدم أي قدر من الذوق والإدراك السليم، فإذا ركل حصان رجلا يكون الرجل هو المخطئ عادة، فالحصان لا يرتكب أخطاء» فقال جوان «لقد قتله الحصان على كل حال» ثم لإذ بالصمت، وكان الأتوبيس آخذا في الاقتراب من قمة المطلع وكانت المنحنيات آخذة في الضيق طوال الوقت.

«لقد كنت شغوفا للغاية أثناء حديثنا القصير هذا الصباح يا مستر هورتون، فالحديث مع رجل مثلك يعتبر متعة لانك على جانب من حسن المظهر والحماس والحيوية، وانا دائماً أبحث عن أناس بهذه الصفات للعمل في مؤسستي».

فقال أرنست «شكراً».

وقال المستر برتشارد «اننا نعاني من المتاعب الآن، فهؤلاء الناس العائدون من الحروب وهم أناس لا بأس بهم وينبغي لينا ان نفعل كل شيء من أجلهم ـ كل شيء، أقول ان هؤلاء الناس كانوا بعيدين لفترة عن مجال العمل، فالصدأ يعلوهم، وفي الأعمال التجارية ينبغي لي المرء ان يكون على اتصال دائم بها في كل دقيقة، بمعنى ان قيمة الرجل المتصل بالعمل باستمرار تكون ضعف قيمة الرجل الذي ترك العمل في المصنع لفترة معينة». ونظر إليه أرنست منتظرا منه الموافقة على رأيه، ولكنه بذلاً من ذلك رأى نظرات حادة تهكمية تطل من عيني أرنست.

قال أرنست «إنني أفهم وجهة نظرك، لقد أمضيت أربع سنوات في الجيش».

فقال المستر برتشارد «أوه، أوه، نعم ـ انك لا تلبس الشعار الرمزي الذي يدل على انتهاء خدمتك في الجيش».

فقال أرنست «لأني قد حصلت على عمل».

وشعر المستر برتشارد بالارتباك والتردد في أفكاره، فهو قد ارتكب خطأ جسيما، وأراد ان يعرف ذلك الشيء المعلق في زر طية صديري أرنست، إذ كان يبدو مألوفا له، ينبغي عليه ان يعرف، وقال «حسناً، انهم مجموعة من الاولاد الظرفاء وآمل فقط ان نتمكن من وضع تدابير وأحكام تضمن توفير الرعاية لهم».

فتساءل أرنست «مثل ما حدث بعد الحرب الماضية؟» كانت المسالة عبارة عن تراشق ومناوشات بينهما، وبدأ المستر برتشارد بسائل نفسه عما إذا كان رأية في هورتون سليما، إذ كان في هورتون نوع من الوحشية والكبرياء والخيلاء وصلابة الرأي وهي كلها صفات يتميز بها عدد كبير من الجنود الذي تركوا الخدمة في الجيش، ولقد قال الأطباء ان مثل هؤلاء الجنود سيتخلصون من هذه العادات ويشفون منها تماماً بمجرد ان يعيشوا حياة طبيعية حسنة لفترة من الوقت، فهم منحرفون عن جادة الطريق ولابد من عمل شيء من أجلهم.

وقال المستر برتشارد «إنني أول من وقف مدافعا عن جنودنا العائدين من الحرب» واستعان بالله لكي يخلصه من هذا الموضوع.

وكان أرنست يسدد النظرات إليه في ابتسامة ملتوية بعض الشيء وهي ابتسامة كان برتشارد قد بدأ يلحظها على وجه المتقدمين للحصول على وظائف، فقال المستر برتشارد في قلق «لقد ظننت فقط انه يهمني ان

أعقد مقابلة شخصية لرجل له حسن مظهرك وحيويتك وحماسك وسأكون سعيداً إذا قابلتني عقب عودتي من أجازتي، فباستطاعتنا ان نفسح مكاناً لرجل له مميزاتك».

فقال أرنست «حسناً يا سيدي، انني متبرم للغاية من التجوال عبر البلاد طوال الوقت، وكثيراً ما فكرت في انني أرغب في أن يكون لي منزل وزوجة واثنان من الأطفال، وتلك هي الطريقة الحقيقية للمعيشة، أعود إلى منزلي ليلاً وأحول بيني وبين العالم بأسره في الخارج، ولد وبنت على الاحتمال، فهذا النوم في الفنادق ليس حياة».

فأومأ المستر برتشارد برأسه موافقاً وقال «أنت على حق فعلاً». وشعر بقدر كبير من الارتياح ثم أردف قائلاً «وأنا فعلاً بمثابة الرجل المناسب الذي يقول انك ذلك، فأنا متزوج وأعيش في ظل الحياة الزوجية منذ واحد وعشرين عاماً ولم أرض عنها بديلاً».

فقال أرنست «أنت سعيد الحظ، فزوجتك جميلة» فقال المستر برتشارد «وهي امرأة لطيفة أيضاً، وهي أكثر الناس تدبراً في العالم، وكثيراً ما تساءلت كيفٍ كان يمكن لي تدبير أموري بغيرها».

وقال أرنست «لقد زوجوني ذات يوم، ثم ماتت زوجتي» وكان وجهه حزيناً.

فقال المستر برتشارد «إنني لآسف من أجلك، وهذا الأسف من جانبي قد يبدو سخيفاً، فالزمن يشفي بالفعل الجراح والآلام، ولربما في يوم ما ـ حسناً، انني لا أفقد الامل».

فقال المستر برتشارد «إنني لم أقصد التدخل في شؤونك الخاصة، ولكني كنت أفكر في الفكرة التي قلتها لي عن الحلة الداكنة ذات القماش في طية الصدر الذي يمكن نزعه وإعادته وهي الحلة التي تفكر

في تحويلها إلى توكسيدو، فإذا لم تكن مرتبطا مع أي شخص اعتقد انه يمكننا ـ حسناً، يمكننا التحدث بشأن القيام بشيء من العمل التجاري».

فقال أرنست «حسناً، ان المسألة على النحو الذي قلته لك، فصانعو الملابس لا يريدون شيئاً من شأنه ان يفقد سيطرتهم على بعض أعمالهم، كل ما هنالك انني لا أريد وجهة النظر المحددة الآن».

وقال المستر برتشارد «لقد نسيت ما إذا كنت قد قلت لي انك تقدمت بطلب لاحتكار هذا الابتكار».

«حسناً، لقد أخبرتك انني سجلت الفكرة فقط».

«ماذا تقصد بكلمة سجلت؟».

«حسناً، لقد كتبت وصفا وخططت بعض الرسومات ووضعت كل ذلك في ظرف وأرسلته بالبريد المسجل إلى نفسي، مسجل بالبريد الجوي، وذلك يثبت متى سجلت الفكرة لأن الظرف مختوم بالاختام».

فقال المستر برتشارد «لقد فهمت». وساءل نفسه في تعجب: ترى مثل هذه الطريقة سيكون لها أي سند قانوني في المحاكم، ولم يعرف وضعها القانوني.

وكان من الأفضل دائماً إدخال المخترع في الموضع على أساس نسبة مئوية، فالزملاء الكبار فقط هم القادرون على إلغاء أي اختراع وذلك بشرائه برمته، وفي استطاعة الزملاء الكبار مواجهة مصاريف الصراع الطويل الامد، وفي رأيهم ان ذلك أرخص من مقاطعة المخترع فقد أثبتت لغة الأرقام انهم على صواب، ولكن شركة المستر برتشارد لم تكن شركة كبيرة بالقدر الكافي وإلى جانب ذلك كان يعتقد دائماً ان عدم الانانية في العمل التجاري يحتم دفع جميع المستحقات.

وقال «لقد جاءتني فكرة أو فكرتان قد تحققان النجاح، والمسألة

بالطبع تحتاج لبعض التنظيم، والآن فلتفرض انني وأنت استطعنا الدخول في أتفاق تجاري، هذا مجرد أفتراض كما تعرف، ففي هذه الحالة فانني سأضطلع بالعملية وبذلك نستطيع الحصول على نسبة مئوية من الأرباح بعد خصم جميع النفقات».

فقال أرنست «ولكنهم لا يريدون تنفيذ هذا الاختراع فقد بحثت هذا الأمر في أماكن مختلفة».

فوضع المستر برتشارد يده على ركبة أرنست، وكان لديه شعور أجوف بأنه ينبغي عليه ان يكف عن الحديث مع أرنست ولكنه تذكر النظرات التهكمية في عيني أرنست، وهو كان يريد الفوز بإعجاب أرنست وتقديره ومن ثم فإنه لم يستطع الكف عن الكلام.

فقال «فلنفرض اننا كونا شركة وقمنا بحماية الفكرة، أقصد نحتكر الاختراع، وما ان نحطم عملية تصنيع هذا النوع من المنتجات فإن حملة على المستوى القومي».

فقاطعة أرنست قائلاً «لحظة من فضلك».

ولكن المستر برتشارد كان قد جرفه التيار حيث استمر قائلاً: «والآن فلنفرض ان هذه الرسومات والتصميمات وقمت بمحض الصدفة في أيدى هارت أو شافنر وماركس أو أي واحد من كبار أصحاب المصانع على نفس مستوى هؤلاء، أو نفرض انها وقعت في أيدى المنظمة الاتحادية لأنهم بالطبع قد يحصلون عليها بمحض الصدفة، فربما تكون لديهم الرغبة في أن يشتروا منا جميع الكميات المصنعة بل ويشتروا منا حقوق الإنتاج»، فبدت على أرنست دلائل الشغف والاهتمام وقال: «يشترون منا احتكار الاختراع».

«ليس فقط احتكار الاختراع ولكن يشترون الشركة بأكملها» فقال أرنست «ولكنهم إذا اشتروا احتكار الاختراع فباستطاعتهم ان يقتلوه».

وهنا تفتحت عينا المستر برتشارد ولمعت حدقتا عينه من خلال نظارته وظهرت ابتسامة بسيطة على زاويتي فمه، وغابت كاميل عن ذهنه بشكل مستمر منذ أن هبطت من الأتوبيس القادم من بسيدرو، وقال «كن بعيد النظر إلى أكثر من ذلك قليلاً، فنحن عندما نبيع الشركة ونحلها فإننا ندفع فقط ضريبة كسب رأس المال على الارباح».

فقال أرنست في إثارة «ذلك شيء جميل، نعم يا سيدي، شيء جميل للغاية، ان ذلك ابتزاز رائع للغاية، نعم يا سيدي، لا أحد يستطيع أن يلمسنا».

فاختفت الابتسامة من على وجه برتشارد، وقال «ماذا تقصد بكلمة ابتزاز؟ اننا نهدف أصلا إلى التقدم في المشروع والقيام بالتصنيع وباستطاعتنا طلب شراء المعدات».

فقال أرنست «ذلك ما أعنيه، انها من نوع ممتاز للغاية، فهي مغطاة من جميع النواحي، أنت رجل ماهر وقدير وذكي».

فقال المستر برتشارد «آمل الا تظن ان هذه المسألة لا تتصف بالأمانة، فأنا أمارس الأعمال التجارية وخبرتي فيها مستمرة على مدى ٢٥ عاماً متصلة وقد وصلت إلى منصب الرئاسة في شركتي، ويمكنني الفخر بسجل أعمالي».

فقال أرنست «إنني لا انتقدك، كل ما في الأمر انني أعتقد انك توصلت إلى فكرة راسخة للغاية في ذلك الموضوع، وانا متفق معك في الرأي، ولكني فقط».

فقال المستر برتشارد «فقط ماذا؟».

فقال أرنست «إنني أواجه نقصا في النقود، وفي حاجة إلى مبلغ عاجل من الدولارات الأمريكية، أوه، حسناً، باستطاعتي الاقتراض على ما أظن».

«لأي شيء تريد النقود؟ فلربما أستطيع أن أعطيك سلفه».

فقال ارنست «لا، سأدبر أموري بنفسي».

وتساءل المستر برتشارد «أهي فكرة جديدة أو تعديل خطر على ذهنك؟».

فقال أرنست «نعم، انني أريد أن أبعث بهذه الفكرة إلى مكتب التسجيل عن طريق الحمام الزاجل».

فقال المستر برتشارد «أنت لا تفكر لدقيقة واحدة» فقال أرنست «بالطبع لا، بالتأكيد لا، ولكني سأكون أكثر سعادة عندما يذهب ذلك المظروف وحده إلى وشنجتن».

وأسند المستر برتشارد رأسه إلى الخلف وأبتسم، وكان الطريق الرئيسى يلف ويدور أمامه، وبين كتفي القنطرتين الهائلتين كان يوجد الممر المؤدي إلى الوادي التالي.

«ستكون على ما يرام يا ابني، وأظن ان باستطاعتنا الاضطلاع بالعمل، وان كنت لا أريد لك ان تظن انني أجري وراء المنفعة الشخصية، فسجل أعمالي يتحدث عن نفسه».

وقال أرنست «أوه، لا ظن ذلك عنك» ثم نظر خفية نحو المستر برتشارد وأردف قائلاً «المسألة فقط هو انني قد حصلت على اثنتين من السيدات الجميلات للغاية في لوس أنجلوس وانا لا اريد الدخول في تلك الشقة ونسيان كل شيء» ثم تفحص رد الفعل الذي كان يريده.

فقال المستر برتشارد «سأمضي يومين في هوليوود، ولربما استطعنا التحدث قليلاً في العمل التجاري».

«أترغب في الدخول إلى شقة هاتين السيدتين؟».

«حسناً، ان الرجل منا يحتاج لنوع من الاستجمام، لذلك سأكون موجودا في بفرلي ويلشاير، ويمكنك أن تزورني هناك».

وقال أرنست «سأزورك بكل تأكيد، أي النساء تفضل من حيث لون البشرة؟».

فقال المستر برتشارد «لا تسئ فهمي، انني أرغب في الجلوس وتناول الويسكي الاسكوتش والصودا، ولكنني لي مركزي ومقامي كما تعرف، ولا أريد منك ان تسيء فهمي».

وقال أرنست «أوه، انا لا أسيء فهمك، ولربما أتمكن من التقاط الشقراء الجالسة أمامنا هنا إذا كنت تريدها».

فقال المستر برتشارد «لا تكن سخيفا».

وكان بيميلز قد تحرك إلى الأمام في الأتوبيس، وشعر باحتراق مؤلم في الجانب الاسفل لفكه فأدرك ان إحدى البثور تمر بدور التكوين، وكان جالساً في المقعد الذي يقع على الجانب الآخر من ميلدريد، ولم تكن لديه الرغبة في أن يلمس بيده المكان الجديد ولكنه كان فاقد السيطرة على يديه، فتحركت يده اليمنى لأعلى وحك إصبع سبابته التورم الصغير الموجود تحت ذقنه، وكان نوعا ما محتقنا للغاية وكان هذا الدمل بصدد ان يصبح شيئاً يصعب السيطرة عليه، وأدرك مسبقا الشكل الذي سيكون عليه وأراد ان يهرش ويعتصره ويشقه ويمزقه، وكانت أعصابه محتدة ومتوترة فدفع بيده في جيب معطفه وقبض يده في أحكام هناك.

وكانت ميلدريد تحملق بنظرات خاوية خارج النافذة، وقال بيميلز «أتمنى أن يكون باستطاعتي الذهاب للمكسيك» فنظرت ميلدريد فيما حولها نحوه في دهشة، وأمسكت نظارتها بالضوء القادم من نافذته وحملقت فيه دون أن تتبينه بوضوح.

وأزدرد بيميلز ريقه وقال في ضعف «لم يسبق لي الذهاب إلى هناك على الإطلاق».

فقالت ميلدريد «ولا أنا».

«نعم، ولكنك بصدد الذهاب».

فأومأت برأسها، ولم ترغب في النظر إليه لأنها لم تكن تستطيع منع عينها من النظر إلى الاكزيما الخاصة به مما كان يسبب له الخجل والاضطراب، وقالت له في شيء من القلق: «ربما تستطيع الذهاب في وقت قريب».

فقال بيميلز «أوه، سأذهب بالتأكيد، سأذهب إلى كل مكان، فالإنسان يحصل على الخبرة في الحياة من خلال الاسفار».

فأومأت برأسها مّرة أخرى وخلعت نظارتها لحماية بيميلز من نظراتها، وعندئذ لم يعد في مقدورها ان تراه بوضوح.

«فكرت في انني ربما أصبح مبشرا مثل سينسر تراسي وأذهب إلى الصين وأشفي الناس هناك من كل تلك الأمراض، ألم يسبق لك الذهاب إلى الصين؟».

فقالت ميلدريد «لا»، وبهرها تفكيره.

وقد حصل بيميلز على معظم أفكاره من الأفلام السينمائية والجزء الباقى حصل عليه من الراديو، وقال «انهم أناس فقراء للغاية هناك في الصين، فبعضهم قد بلغ درجة كبيرة من الفقر إلى الحد الذي يجعلهم

يموتون جوعاً تحت نافذة منزلك إذ لم يحضر لنجدتهم أحد المبشرين لتقديم يد العون والمساعدة لهم، وهم يحبونك إذا قدمت المساعدة لهم وإذا اقترب منك أي ياباني وأحدث متاعب فانهم يطعنونه بالسكين على الفور»، ثم أومأ برأسه في وقار واستطرد «واعتقد انهم أناس أخيار مثلك ومثلي تماماً، ان ما فعله سينسر تراسى هو انه جاء إليهم وشفاهم من أمراضهم فأحبوه، وهل تعرفين ماذا فعل؟ انه اكتشف روحه وجوهره، وكانت هناك تلك الفتاة ولم تعرف ما إذا كان ينبغي عليه ان يتزوجها لأنها كان لها ماض، وأتضح له بالطبع ان الغلطة لم تكن غلطتها بل واتضح له ان ذلك لم يكن صحيحا ولكن تلك السيدة العجوز هي التي كانت تشيع الاكاإذيب عنها».

ولمعت عينا بيميلز بفعل العطف والشفقة والحماس، واستطرد قائلاً «ولكن سينسر تراسي لم يصدق تلك الاكاإذيب، وعاش في قصر قديم به انفاق وسراديب وممرات سرية حسناً وبعدئذ يجيء إليابانيون».

فقالت ميلدريد «لقد شاهدت هذا الفيلم».

وانطلق الأتوبيس على السرعة الثانية لعبور المطلع الأخير، وكان الأتوبيس آنئذٍ عند قمة الفجوة ثم بزغ وأخذ ملفا شديداً إلى اليسار وإلى أسفل كان الوادي كثيبا معتما بفعل السحب الرمادية وكانت العروة المائلة لنهر سان يسيدرو تلمع مثل الصلب القائم تحت الضوء العابس، فقلل جوان من سرعة الأتوبيس وبدأ في الهبوط.

الفصل العاشر

يجرى نهر سان يسيدرو عبر وادي سان جوان متخذاً طريقه في خط غير مستقيم فهو يدور ويلتوي إلى أن يصب في بطء في خليج البلاد روك تحت رعاية وحماية مشروع نقطة بات Pot point والوادي في حد ذاته طويل وغير متسع ويحاول نهر سان يسيدرو الذي لا يجري لمسافة بعيدة للغاية الاستفادة لأقصى حد من أية مسافة يجري عليها وذلك بالتحرك من أحد جوانب الامتداد المنبسط إلى الجانب الاخر، وهنا يشق طريقه تحت صخرة وعند جبل وبعدئذ يمتد رفيعا على شواطئ رملية، وطوال فترة لا بأس بها من السنة لا توجد به مياه سطحية على الإطلاق فيمتلئ قاع مجرى النهر بأشجار الصفصاف التي تمتد جذورها إلى أسفل نحو المياه الجوفية.

وعندما تنضب مياه النهر تتخذ الارانب والراكونات والثعالب الصغيرة مساكن لها بين أشجار الصفصاف النامية في قاع النهر، وعند رأس الوادي من جهة الشمال والشرق يبزغ النهر ليس في شكل رأس واحدة وإنما في شكل فروع صغيرة متعددة حتى ان المنبع على الخريطة يشبه شجرة ذات أغصان صغيرة بدون أوراق، وتزود التلال الجافة والصخرية بحوافها وأخاديدها ووديانها الصغيرة النهر بالمياه على مدار السنة ولكن عندما يسقط المطر في أوآخر الشتاء والربيع تمتص الحواف الصحرية قدرا قليلاً من الماء وتقذف بالجزء الباقي في شكل سيول جارفة سود

إلى الجداول الصغيرة التي تتقلب خارجة من الثنايا وتتحد الجداول الصغيرة مع بعضها البعض وتتصل بمصارف أكثر اتساعا وتتلاقى المصارف عند الطرف الشمالي من الوادي.

وفي أوآخر الربيع أي عندما تكون التلال قد استوعبت بقدر ما تستطيع أكبر كمية من الأمطار قد تتسبب عاصفة هوجاء في رفع نهر سان يسيدرو إلى حالة الفيضان الغاضب خلال ساعات قليلة للغاية، وعندئذ تقوم المياه الصفراء المزبدة بقطع شواطئ النهر فتقع في المجرى كتل هائلة من الأراضي الزراعية، ثم تسير أجساد الأبقار والاغنام متشقلبة ومتدحرجة مع الفيضان الاصفر اللون، فهو نهر متقلب وسريع الفيضان ميت خلال فترة من السنة ومميت خلال فترات أخرى.

وفي منتصف الوادي الذي يقع على خط مستقيم بين ريبل كورنرز وسان جوان دي لاكروز يسير النهر في شكل عروة هائلة ممتدة من جانب لآخر عبر الوادي المنبسط حيث يلتف النهر فوق الجبل على الحافة الشرقية ويتحرك بعيداً ليعبر الحقول والأراضي الزراعية، وكان الطريق في الأزمنة القديمة يسير بحذاء عروة النهر ويزحف فوق التل متجنبا عبور النهر، ولكن مع ظهور المهندسين والصلب والخرسانة شيد كوبريان فوق النهر فاختصرا ١٢ ميلاً من المداعبات التي يقوم بها نهر سان يسيدرو.

وكان الكوبريان مصنوعين من الخشب ومدعمين ومعلقين فوق قضبان من الصلب، وكان كل منهما مدعما في الوسط وفي الأطراف بأعمدة من الخرسانة، وكانت أخشابها مطلية باللون الأحمر الداكن أما الحديد فكان له لون قاتم بسبب الصدأ، وعلى جانب النهر عند الكوبريين كانت المياه المنحسرة للخلف بفعل أكوام الصفصاف

المجدول المنبسط كالمرتبة تنحرف بالتيار الرئيسي للمياه نحو بواكي الكوبري مانعة التيار الناخر من تقويض رأس الكوبري.

ولم يكن هذان الكوبريان قديمين للغاية ولكنهما قد شيدا في وقت كان فيه معدل الضريبة منخفضا بالإضافة إلى انه تعذر أيضاً جمع قدر كبير من الضرائب بسبب ما كان يسمى بفترة الكساد العظمى، فقد رأى مهندس الإقليم ان الأمر يقضي بتشييد الكوبرين في حدود الميزانية التي لم تكن تسمح الا بأبسط أنواع التشييد وكان ينبغي أن تكون أخشابه أكثر ثقلا ودعائمه أكثر عددا، ولكنه كان مضطرا للبناء في حدود اعتمادات مالية محدودة، فتم التشييد على ذلك النحو، وفي كل عام كان المزارعون في وسط الوادي يرقبون النهر في سخرية لأنهم كانوا يدركون انه قد يحدث في أي وقت فيضان سريع وساحق مما يؤدي إلى اقتلاع الكوبريين، وكانوا في كل عام يتقدمون بالالتماس للولاية لاستبدال الكوبريين الخشبيين ولكن لم تكن هناك أصوات كافية عن القطاع الريفي لتحويل لغة الالتماسٍ إلى لغة أمرة، أما المدن الكبيرة فكانت لديها الاصوات الكافية عن القطاع الحضري وكانت لديها الممتلكات والعقارات التي يمكن فرض الضرائب عليها ولذلك كانت تنصب على هذه المدن التحسينات والاصلاحات، وكان الناس لا يرحبون بالهجرة إلى الأراضي الزراعية متوسطة الخصوبة وكانوا ينظرون إلى محطة لخدمة السيارات في سان جوان على انها أفضل من مائة فدان مزروعة بالقمح في الوادي، وكان المزارعون يدركون ان الكوبريين سيتحطمان ان عاجلا أو آجلا وعندئذ ـ وعلى حد قولهم ـ سيفيق مجلس المقاطعة من سباته ويعود إلى رشده.

وعلى مساحة مائة ياردة من الكوبري الأول في اتجاه ريبل كورنرز كان يوجد متجر عام على الطريق الرئيسي يحتوى على مواد البقالة

وإطارات السيارات ومعدات وبضائع وحديد وكلها أشياء كان يشتريها المرء في فترة ما بعد ظهور يوم السبت أو عندما لا يكون لديه متسع من الوقت لأن يقود سيارته سواء إلى سان جوان دي لاكروز أو إلى سان يسيدرو عبر سلسلة التلال، وكان هذا المتجر العام للمستر «بريد»، وفي السنوات الاخيرة أضاف لمتجره مضخات البنزين وكميات من قطع الغيار للسيارات شأنه في ذلك شأن أصحاب جميع المتاجر العامة الريفية.

وكان المستر بريد وزوجته حارسين غير رسميين على الكوبري، وفي أوقات الفيضان كان تليفونهما يدق باستمرار فكانا يقومان بتزويد الجمهور بالمعلومات عن مدى ارتفاع النهر.

وكانا معتادين على ذلك، وكل ما كان يقلقهما هو انه إذا ان هدم ذلك الكوبري في يوم ما وإذا ما تم اختيار موقع للكوبري الجديد على مسافة ربع ميل أسفل النهر فإنهما سيضطران إلى نقل مكان متجرهما العمومي وبناء متجر جديد بالقرب من الكوبري الجديد.

وكانت نصف مبيعاتهما على الأقل في هذه الأيام من المشروبات الهادئة غير الكحولية والساندويتشات والبنزين والحلوى التي يشتريها المسافرون على الطريق الرئيسي، وحتى باستمرار عند متجر بريد لإحضار الطرود العاجلة وكان المسافرون عليهم تناول المرطبات والمشروبات الهادئة، وكان آل شيكوي وآل بريد أصدقاء مخلصين لبعضهم البعض منذ فترة طويلة.

وكان النهر مرتفعا آنئذٍ، بل وكانت توجد ـ كما قال المستر بريد لزوجته ـ ضربات الماء التي تتحرك فجأة تحت الأعمدة وتصل حركتها إلى أعلى الكوبري، فإذا شقت لنفسها أخدودا في ظهر الكوبري فسوف

يتعطل متجرهم، وقد قام بريد بست رحلات إلى رأس الكوبري منذ بزوغ ضوء النهار وأدرك ان رأس الكوبري سيئا، وقد وقف بذقنه غير الحليقة وبشفتيه المزمومتين فوق الكوبري في الساعة الثامنة صباحاً وراح يرقب المياه الصفراء المتقلبة المزركشة بالزبد الاصفر والمنقطة بأشجار البلوط الصغيرة المقتلعة من جذورها وبعيدان القطن، ورأى عدداً قليلاً من ألواح الخشب السميك المقطوع من الغابات والممهدة بالفارة يهبط في دوامة إلى أسفل، وبعدئذ شاهد قطعة من سقف مازالت بها أخشاب السقف الخاصة بها، ثم شاهد الجسد الغريق المتمايل للثور الأسود الذي هو من نوع الانجوس والخاص بماك أيليروي بشكله المربع وبأقدامه القصيرة، وعندما دخلت جثة هذا الثور تحت الكوبري انقلبت على ظهرها فاستطاع بريد ان يرى عيني الثور المتوحشتين المقلوبتين واللسان المتدلي، فشعر بالغثيان والانقباض في معدته.

وكان كل شخص يعرف ان إسطبل ماك أيلروي يوجد بالقرب من شاطئ النهر وان ثمن ذلك الثور ١٨٠٠ دولار، ولم يمتلك ماك أيلروي هذا الشكل من أشكال النقود ليلقي بها بعيداً، وصحيح انه لم يشاهد انجراف أي بقرة أخرى من باقى القطيع إلى الهاوية ولكن يكفي فقدان هذا الثور، فقد كان ماك يعتمد كثيراً على هذا الثور.

وسار بريد لمسافة أطول فوق الكوبري، وكانت المياه آنئذٍ على مسافة ثلاثة أقدام فقط أسفل أخشاب الكوبري، وشعر بالمياه المتوثبة تضرب بشدة أساسات الكوبري في احتجاج تحت قدميه، ومسح ذقنه غير الحليقة بإصبعه وسار عائداً إلى المتجر، ولم يخبر زوجته عن الثور الانجوسي الأسود الذي يمتلكه ماك أيلروي، لأن ذلك لن يسبب لها سوى الحزن والاسى.

وعندما استفسر جوان شيكوي عن الكوبري تليفونيا أخبره بريد

بالحقيقة صراحة، وكان الكوبري مازال موجودا في مكانه ولكن إلى متى يظل سليما، هذا في علم الله وحده، إذ كانت المياه مازالت آخذة في الارتفاع وكانت التلال العارية الحجرية مازالت تفرغ فيضانها وسيولها في النهر علاوة على أن السحب كانت تتجمع في السماء من جديد.

وفي الساعة التاسعة أصبحت الاخشاب السفلى مغطاة بمياه الفيضان باستثناء ١٨ بوصة فقط، فإذا ما وقع الضغط على تلك الدعائم والاعمدة وإذا قامت أعداد قليلة من الأشجار المقتلعة من جذورها بالدفع بعنف في الكوبري عندئذ ستكون المسألة مسالة وقت فقط، ووقف بريد خلف بابه ذي الشاشات وراح يطرق في إيقاع بأصابعه فوق الاسلاك.

وقالت زوجته «دعني أعد شيئاً من طعام الافطار، أتظن انك قد امتلكت الكوبري؟».

فقال بريد «إنني أمتلكه بشكل ما، فإذا تحطم الكوبري سيقولون ان الغلطة هي غلطتي، علما بأنني اتصلت بمكتب المشرف ثم اتصلت بمهندس المنطقة فلم أجد أحد منهما في مكتبه، ولو وصل ذلك الاخدود إلى عمود الكوبري سينتهي كل شيء».

«يحسن بك ان تتناول قدرا من طعام الافطار، سأعد لك بعض الكعك المصنوع من دقيق القمح».

فقال بريد «وهو كذلك، لا تجعلي الكعك سميكا للغاية» فقالت المدام بريد «إنني لا اصنعه سميكا أبدا، أتريد ان أضع لك بيضة فوق الكعك؟».

فقال بريد «بالتأكيد» واستطرد «لست أدري ما إذا كان جوان شيكوي

سيقوم برحلته أم لا؟. ومن المتوقع ان يصل بعد حوالي ساعة، وبحق السيد المسيح ان المياه لمرتفعة للغاية!!».

فقالت المدام بريد «لا داعي للقسم».

فنظر زوجها إليها وقال «إنني أقول ان هذه إحدى المرات التي تستوجب كل الدواعي للقسم، سأتناول جرعة من الخمور».

«قبل أن تتناول طعام الإفطار؟».

«قبل كل شيء».

وهي لم تكن تدري بالطبع بما حدث للثور الاسود، وذهب إلى تليفون الحائط وأدار القرض على رقم ٣٢ الخاص بماك ايلروي، وظل رافعاً السماعة إلى أن رد عليه بابندال على مسافة ميلين على نفس الخط الخاص ماك أيلروي.

وقال بريد «آمل ان تذهب للاطمئنان عليه، لقد انجرف ثوره تحت الكوبري هذا الصباح».

فنظرت المدام بريد في ذعر وصاحت «وولتار!».

«نعم، هذا هو ما حدث، ولكني لم أخبرك لكي تشعرين بالانزعاج».

فقالت المدام «وولتار! أوه، يا إلهي».

الفصل الحادي عشر

وقفت أليس شيكوي خلف الباب ذي الشاشات وشاهدت الأتوبيس لدى تحركه بعيداً، وتركت الدموع تجف فوق خديها، وعندما لم يعد بإمكانها متابعة الأتوبيس من مكانها عند الباب ذهبت إلى النافذة الجانبية حيث يمكن لها مشاهدة الطريق الإقليمي من خلالها، فرأت الأتوبيس وهو يجري تحت مسافة صغيرة من ضوء الشمس متوهجا للحظات قصيرة ثم لم يلبث ان غاب عن بصرها تماماً، فسحبت أليس نفسا طويلاً ثم أطلقته في تأوه شهواني، لقد كان ذلك اليوم هو يومها، كانت بمفردها، وشعرت بالسعادة لأنها أصبحت بعيدة عن أعين الناظرين وملاحظاتهم وشعرت أيضاً انها مثقلة بالخطايا، وفي بطء شدت رداءها لأسفل لإزالة الكرمشة وداعبت فخذيها، ونظرت إلى أظافرها، لا، فليتم ذلك الأمر فيما بعد.

ونظرت ببطء في أرجاء صالة الطعام، كان لا يزال باستطاعتها ان تشم رائحة دخان السجاير، وكانت هناك أعمال تتطلب القيام بها إلا أن ذلك اليوم كان يومها فقامت بإنجاز المطلوب منها في بطء، فأحضرت في بادئ الأمر من الدولاب لافتة من الورق المقوى مكتوبا عليها كلمة «مغلق» بحروف كبيرة، وذهبت للخارج وعلقت اللافتة على مسمار فوق حافة الباب ذي الشاشات، ودخلت وأغلقت الباب ذا الشاشات وأحكمت غلقه بالمزلاج ثم جذبت الباب الداخلي وأدارت المفتاح فيه،

ثم أغلقت الشيش في جميع النوافذ لكي لا يتمكن أحد من النظر إلى الداخل.

وكانت صالة الطعام معتمة في ضوء كالغسق وكان الهدوء مهيمنا عليها، وراحت أليس تعمل في تان وروية، فغسلت فناجين القهوة المتسخة وحفظتهما في أماكنها ثم غسلت الكاوتش والمناضد وأخفت الشطائر تحت الكاونتر، وأحضر مقشة من غرفة النوم وكنست الأرضية ووضعت التراب والوحل وأعقاب السجاير في صفيحة القمامة، ولمع الكاوتش قليلاً تحت الضوء المعتم الذي يشبه الغسق، وبدت المناضد بيضاء ونظيفة.

وجاءت من حول الكاونتر، وجلست فوق أحد الكراسي التي لا مسند لها، لقد كان هذا اليوم هو يومها!! وشعرت بشيء من السخافة والغباء والدوار، وقالت بصوت مرتفع «حسناً، ولم لا؟» وأردفت «إنني لا أحصل على قدر وفير من المرح، أحضري لي كأسا من الويسكي مضاعف الكمية وأسرعي به إلي».

وضعت يديها على الكاونتر ونظرت إليهما في عناية وهمست لنفسها «يدان مسكينتان محطمتان بسبب العمل، يدان عزيزتان» ثم قالت في صراخ «أين بحق السماء ذلك الويسكي؟» وأجابت على نفسها: «نعم، يا ماما، سيأتي إليك حالاً يا ماما».

فقالت أليس «حسناً، ذلك أفضل، فأنا أريدك فقط ان تعرفي من التي تتحدثين إليها، لا تضعي أحمر الشفاه لانك لن تفلحي في عمل بدون أن أكتشف أمرك وأعاقبك، فأنا منتبهة لما تفعلين».

وأجابت على نفسها «نعم، يا ماما» ثم نهضت وذهبت إلى خلف الكاونتر.

وعند نهاية طرف الكاونتير كان يوجد صوان صغير منخفض وقريب من الأرض، فانحنت عليه أليس وفتحت بابه وتحسست بيدها داخله دون أن تنظر إلى داخله واخرجت خمس زجاجة ويسكي من نوع الاولد جراندا، والتقطت كوب ماء من فوق الرف وحملت الزجاجة والكوب إلى الكاونتر أمام الكرسي الذي كانت تجلس عليه.

«أتجلسين هنا ياماما؟».

«انقلي هذه الأشياء إلى تلك المنضدة، أتظنين انني أشبه أولئك الذين يقفون عند البارات؟».

«لا، يا ماما».

«أحضري لي أيضاً كوبا أخرى وزجاجة من البيرة المثلجة».

«نعم، يا ماما».

ثم حملت كل هذه الأشياء وسارت نحو المنضدة التي توجد بجوار الباب ووضعتها علىً المنضدة وقالت «يمكنك أن تذهبي الآن» وأجابت «نعم. ياماما».

«ولكن لا تذهبي بعيداً، فلربما أريد شيئاً».

وبينما كانت تصب البيرة ضحكت في نفسها في شيء من الفتور وقالت «لو سمعني أي شخص لاعتقد انني مجنونة، حسناً ربما أكون كذلك بالفعل» وصبت جرعة كبيرة في كوب الأخرى وقالت «يا أليس استعدي للشراب» ولوحت بالكوب واحتست ببطء، لم تبتلع الجرعة وإنما جعلت الويسكي الصافي النقي يتحرك في بطء ويحرق وينساب فوق لسانها وخلفه، وازدردت ريقها في بطء فشعرت بشيء يعض في سقف فمها، وسرى دفء الويسكي في صدرها وفي معدتها، وحتى بعد أن افرغت الويسكي في صدرها وفي معدتها، وحتى بعد أن أفرغت

الكوب ظلت رافعة إياه على شفتيها، ثم انزلت الكوب وقالت «آه» وأطلقت زفيرا في صوت خشن وأجش.

واستطاعت ان تتذوق الويسكي اللذيذ مع عودة انفاسها، ثم مدت يدها نحو قدح البيرة، وضعت ساقا على ساق وراحت تشرب ببطء إلى أن فرغ القدح.

وقالت «يا إلهي».

وبدأ على أليس انها لم تكن تعرف مطلقاً كيف ان صالة الطعام كانت مريحة وجذابة للغاية بأضوائها المنسابة لأسفل من خلال شيش النوافذ المائلة، وشعرت بمرور شاحنة على الطريق الرئيسي فأزعجها ذلك، فلنفرض ان شيئاً ما ظهر بالصدفة ليعكر صفوها؟ حسناً انهم قد يضطرون إلى كسر الباب ولكنها لن تسمح لأحد بالدخول، وصبت بوصتين من زجاجة الويسكي في كأس وأربع بوصات من البيرة في الكأس الأخرى.

وقالت «توجد أكثر من طريقة لتناول الجرعة» ثم دفعت بالويسكي إلى جوفها ودفعت بالبيرة وراءها مباشرة، والآن توجد فكرة، ان المذاق يختلف تبعا لطريقة الشرب، فالطريقة التي تشرب بها تغير المذاق، لماذا لم يكتشف أي إنسان آخر تلك الحقيقة وأليس فقط هي التي اكتشفتها، ينبغي أن يكتب شخص ما عن هذه الحقيقة «الطريقة التي تشرب بها هي التي تصنع المذاق». وكان يوجد توتر بسيط في حقن عينها اليمنى وجرى ألم غريب في عروق ذراعيها كأنه ألم ممتع.

وقالت في وقار «لا أحد عنده الوقت الكافي لاكتشاف الأمور» واستطردت «لا يوجد متسع من الوقت» وملأت نصف كوب بالبيرة ثم أكملته بالويسكي «ترى هل جرب أي شخص ذلك من قبل؟».

وكان حامل ورق السفرة المعدني موجودا أمامها فرأت انعكاس وجها عليه، فقالت «هالو» أيتها الفتاة، ولوحت بالكأس فظهر انعكاسه مشوها على المعدن اللامع مثل وجهها «وهذه طريقة يا فتاة، في صحتك، يا فتاة» ثم شربت البيرة والويسكي بنفس الطريقة التي يشرب بها رجل في سن الثلاثين اللبن، وقالت «آه، ليس هذا أمراً سيئاً للغاية، لا يا سيدي، أظن انني قد حصلت على شيء ما هناك، ذلك حسن».

وحركت حامل ورق السفرة لكي تتمكن من رؤية نفسها بشكل أفضل إلا أن انحناء في السطح المعدني جعل انفها يبدو منكسرا عند القمة ومثل البصلة الممتلئة عند القاع، فنهضت ودارت حول الكاونتر وذهبت إلى غرفة النوم وأحضرت مرآة يد مستديرة إلى المنضدة واسندتها على وعاء السكر وجلست ووضعت ساقا على ساق، «هنا الآن، أود ان أدعوك للشراب» وصبت ويسكي في الكوبين وقالت «بدون بيرة، الكل بدون بيرة، حسناً، سنتّبع هذه الطريقة».

وذهبت إلى صندوق الثلج وأحضرت زجاجة أخرى من البيرة وقالت للمرآة «والآن، أتفهمين، نحن نضع أولاً قدرا قليلاً من الويسكي ـ كمية ليست كبيرة للغاية وليست صغيرة للغاية، ونضيف الكمية المناسبة تماماً من البيرة، وها أنت هناك»، ودفعت بإحدى الكاسين نحو المرآة وأفرغت في جوفها الأخرى وقالت «بعض الناس يخشون تناول الخمور، انهم لا يستطيعون تناولها».

«أوه، الا تريدينها؟ حسناً، هذا من حقك، فلن أجبرك على تناولها، ومع ذلك فأنا لن ألقي بها إلى صندوق القمامة» ثم ابتلعت الكأس الثانية، وأصبحت وجنتاها مخدرتين آنئذٍ كان صقيعا أخذ يلدغ في البشرة، وكانت عيناها مبللتين ولامعتين، وألقت إلى الخلف خصلة شعر غير مثبتة.

«لا داعي لأن تجعلي مزاجك ينحرف لمجرد انك تمضين وقتاً طيباً».
وفجأة وبدون سابق انذار رفرفت رؤية في رأسها، فقامت بقلب المرآة على وجهها، وهبطت عليها تلك الرؤية بقوة وبسرعة شديدة حتى انها كانت بمثابة ضربة وقعت عليها، وربما نبعث تلك الرؤية فجأة من الظلام الذي بدأ يهيمن على الغرفة، فصاحت أليس «إنني لا أريد التفكير في ذلك الأمر، إنني أكره التفكير في ذلك».

ولكن الفكرة والرؤية كانتا موجودتين في داخل رأسها، غرفة أظلمت أضاءتها وسرير أبيض وأمها مشلولة ومخشبة لا تقوى على الحركة وعيناها تحملقان لأعلى في خط مستقيم، وبعدئذ ترتفع اليد البيضاء من تحت الغطاء في حركة مليئة بإليأس طالبة النجدة والعون، وعندئذ كانت أليس تتسلل في هدوء إلى الداخل ولكن تلك اليد كانت ترتفع في عجز مخيف فكانت أليس تمسك بها لبرهة قصيرة ثم تسقطها في رفق وتخرج، وفي كل مرة دخلت فيها أليس تلك الغرفة كانت تلتمس من اليد الا ترتفع وان ترقد وتموت مثل بقية أعضاء الجسم.

وصرخت أليس «لا أريد التفكير في ذلك الأمر» وأردفت «كيف دخلت تلك الفكرة إلى رأسي؟» واهتزت يدها فاصطكت الزجاجة بالكوب محدثة قعقعة عالية، وصبت جرعة كبيرة وأفرغتها فتوقفت بعض الشيء في حلقها مما جعلها تكح وتسعل، وعندئذ فقط أحسست انها انقذت نفسها من الوقوع فريسة للمرض، وقالت «سيصلح ذلك من شأنك» وأردفت «أريد التفكير في أي شيء آخر».

وتخيلت نفسها في السرير مع جوان، ولكن ذهنها انزلق إلى ما وراء ذلك، وقالت في تفاخر «لقد كان باستطاعتي الحصول على أي رجل يروق لي». واستطردت «يعلم الله؟ عدد كبير من الناس قد توددوا إلي

ولكني لم أستسلم لهم كثيراً» والتوت شفتها وتباعدت عن أسنانها بطريقة شهوانية بعض الشيء وصاحت «ربما كان ينبغي لي أن أفعل عندما كان ذلك في استطاعتي، فأنا بدأت أتقدم في السن ـ تلك أكذوبة ملعونة» واستطردت «التي في نفس الحالة الجيدة التي سبق ان كنت عليها دائماً، بل إنني أفضل من ذي قبل!!! من بحق الجحيم يرغب في امرأة سيئة الخلق حادة المزاج عجفاء هزيلة لا تعرف ماذا تفعل؟ فلا أحد من الرجال يرغب فعلا في نساء مثل الذباب».

وكانت كمية الخمور في الزجاجة تصل آنئذٍ إلى أقل من النصف، وسكبت قليل من الخمور خارج الكأس وهي تصب فضحكت لنفسها وقالت «لا أعتقد أنني بصدد ان أصبح مخمورة بعض الشيء».

وجاء طرق هائل على الباب ذي الشاشات، فتجمدت أليس جلست صامتة في مكانها، وجاء الطرق مرة أخرى، وقال صوت رجل في نغمة عالية «لا أحد هنا، خيل لي انني سمعت كلاماً» فرد عليه صوت امرأة «حسناً، حاول مرة أخرى، فلربما يكونون بعيدين في الخلف».

والتقطت أليس مرآة اليد برفق ونظرت إلى نفسها، وأومأت براسها وغمزت بإحدى عينيها غمزة كبيرة، وجاء الطرق مرة أخرى.

«قلت لك انه لا يوجد أي شخص هنا».

«حسناً، جرب الباب».

وسمعت أليس الكركبة والخشخشة المنبعثة من الباب ذي الشاشات، وقال الرجل «الباب مغلق بالقفل» وردت المرأة «انه مغلق بالقفل من الجانب الداخلي، ولابد إنهم موجودون في الداخل».

فضحك الرجل واحتكت أقدامه في الحصى «حسناً، إذا كانوا

موجودين هناك في الداخل فهم يريدون أن يكونوا وحيدين، الا تريدين أبداً ان تكوني وحيدة أيتها الطفلة الصغيرة الحلوة؟ أقصد وحيدة معي؟».

فقالت الفتاة «أوه، أسكت» واستطردت «أريد ساندويتشا».

«بالنسبة لذلك عليك بالانتظار».

وتعجبت أليس كيف انها لم تسمع السيارة أو وقع الأقدام على الحصى قبل أن يجيء الطرق على الباب، وراحت تفكر، «أراهن على انني مخمورة»، واستطاعت سماع السيارة لدى انصرافها بعيداً.

فقالت أليس بصوت مرتفع «ألا يمكنهم ان ينظروا إلى كلمة «لا» على أنها إجابة» واستطردت «فالإنسان يريد فقط ان يأخذ يوماً للراحة واستجماع نشاطه، وهم على أي حال قد زودوا انفسهم بساندويتشات لعينة».

ورفعت الزجاجة لأعلى ونظرت بعينين مغلقتين بعض الشيء إلى الويسكي من خلال الزجاجة في شيء من التروي والصبر. «الكمية الباقية ليست كبيرة»، وسيطر عليها الخوف والفزع، فلنفرض انها نفدت قبل أن تصل هي إلى ذروة الاشباع؟ ثم أومأت برأسها وابتسمت لنفسها، إذ كانت هناك زجاجتان من الخمور القوية الحلوة المذاق ذات اللون الأحمر الداكن في داخل الدولاب في الخلف، فأعطتها الزجاجتان شعوراً بالامن: وصبت لنفسها جرعة كبيرة وراحت ترشفها، ولم يكن جوان يحب ان يتواجد بالقرب من النساء المخمورات، إذ قال ان وجوههن تصبح متلوية على نحو بغيض للغاية، حسناً، ستريه أليس المنظر فقط، واحتست نصف كمية الويسكي الموجودة في كأسها ثم وقفت في تثاقل.

وقالت للكأس بطريقة مهذبة «والآن، عليك فقط بالبقاء هنا

وانتظاري» وتمايلت قليلاً وهي تدور حول حافة الكاونتر فصدمتها حافة الكاونتر في جانبها فوق ردفها مباشرة، فقالت «سيصبح ذلك الجزء مكتسبا باللون الأزرق والأسود»، وعبرت غرفة النوم وذهبت إلى الحمام.

وبللت الفوطة وحكت الصابون عليها إلى أن أصبح لديها معجون سميك، دعكت وجهها، ودعكت بشدة بجوار أنفها وعلى التجاعيد القليلة التي تعترض ذقنها، ووضعت جزءاً من قماش الفوطة حول أصبح الخنصر وأدارته في فتحتي انفها وغسلت إذنيها ثم أغلقت عينيها قليلاً وشطفت الصابون ونظرت إلى نفسها في المرآة فوق الحوض، وبدأ وجهها محتقنا في احمرار شديد، وكانت عيناها ملتهبتين في احمرار بعض الشيء، وراحت تصلح من شأن وجهها لفترة طويلة، ووضعت الكريم ثم أزالته بالفوُطة، وتفحصت الفوطة بحثا عن التلوث بها فوجدته، ثم راحت تعمل في حاجبيها مستخدمة قلم حواجب بني اللون، وسبب لها أحمر الشفاه بعض المتاعب، حيث ظهرت نقطة من اللون الأحمر القرمزي منخفضة للغاية على شفتها السفلي مما أضطرها لأن تمسح كل شيء بالفوطة لكي تبدأ من جديد، وجعلت شفتيها ممتلئتين للغاية ثم ضمتهما لبعضهما البعض وجعلت شفة تنساب على الأخرى، ونظرت إلى أسنانها ومسحت قدرا من أحمر الشفاة مستخدمة فوطتها، كان ينبغي عليها ان تغسل أسنانها قبل وضع أحمر الشفاة، ولتضع البودرة الآن، فذلك من شأنه ان يزيل اللون الأحمر عن وجهها، ثم مشطت شعرها، لم يسبق لها ان أحبت شعرها على الإطلاق، وبدأت تفقد الشغف والاهتمام وهي تمسك بشعرها بهذه الطريقة أو تلك على أمل ان يحدث التأثير المطلوب.

ونقبت في غرفة النوم عن قبعة ضيقة ومناسبة وسوداء وبها نوع من

الحافة الامامية واستخرجتها ودفعت بشعرها لأعلى في داخل القبعة وأمالت حافة القبعة في شيء من المجون.

وقالت «والآن سنرى كيف يصبح وجه المرأة ملتويا، أتمنى ان يعود جوان للمنزل الآن، فذلك سيجعله يغير رأيه».

وأحضرت من غرفة النوم زجاجة البلودجيا التي كانت موجودة في درج صوان ملابسها ووضعت عطرا على نهديها وعلى حلمتي إذنيها وعند مفرق شعرها، وربتت قليلاً على شفتها العليا وقالت «أحب أن أشمه أيضاً».

وسارت عائدة إلى صالة الطعام متجنبة في حرص الزاوية التي ارتطمت بها من قبل، وكانت صالة الطعام أكثر إظلاما من ذي قبل، لأن السحب قد صارت كثيفة حتى ان قدرا ضئيلا للغاية من الضوء كان ينفذ إلى داخل الصالة، وجلست أليس إلى منضدتها وواءمت مرآة اليد الخاصة بها أمامها، وقالت «جميلة، أنت نوع من الجمال، ماذا أنت فاعلة هذا المساء؟ أتحبين ان تذهبين للرقص؟».

وصبت الشراب في كأسها، فلنفرض ان ذلك السائق الذي يعمل على خط السهم الأحمر جاء إلى هنا وطرق على الباب، انها ستسمح له بالدخول، إذ كان صائداً عظيما للنساء، عندئذ ستعطيه جرعة أو اثنتين وبعدئذ تريه شيئاً أو شيئين.

وقد تقول له: يا ريد Red، إنك مشهور بمداعبتك ولكني سأريك شيئاً، سأريك بكل أمانة بعض المداعبات التي لا يصدقها العقل، وتركت ذهنها يطوف على خصره النحيل وعلى ساعديه الثقيل العضلات، وهو كان يتمنطق بحزام عريض حول بنطلونه البلوجينز، وبنطلونه البلوجينز ـ حسناً، لقد كان شاباً على ما يرام، وكان هناك شيء

ما يتعلق بهذه البنطلونات، فهي توجد بها سوستة من النحاس الأحمر متجهة لأسفل حيث تبدأ شريحة القماش التي تغطى أزرار البنطلون، وهناك شيء ما في تلك السوستة جلب الاسى والحزن لأليس، إذ كان لباد Bod سوستة من ذلك النوع من بنطولنه، مجرد سوستة من النحاس الأحمر هناك، وحاولت تجنب هذه الصورة الذهنية أيضاً وعندما فشلت تركت الصورة تتجمع في ذهنها، فهو كان قد توسل إليها مرات عديدة للغاية، وأخيراً سارا سويا لمسافة أربعة أميال في الأراضي الخلوية، وكان «باد» يحمل طعام الغذاء: بيض مسلوق وساندوتشات من لحم الخنزير المملح وفطيرة محشوة بالتفاح، وكانت أليس قد اشترت الفطيرة ولكنها أخبرته انها من صنع يديها، وهو لم ينتظر لحين تناولهما طعام الغذاء.

وتسبب في أصابتها بالجروح، وبعدئذ قالت له: «إلى أين ذاهب؟».

فقال باد «لدى أعمال تتطلب الإنجاز».

«ولكنك قلت انك تحبني».

«أقلت انا كذلك؟».

«هل ستتركني يا «باد»؟».

«اسمعي يا أختاه، لقد تم الاضطجاع معاك، وهذا هو كل ما في الأمر فأنا لم أوقع معك عقداً طويل الأمد».

«ولكنها المرة الأولى، يا باد».

«إنني أمارس مرة واحدة مع كل امرأة».

وكانت أليس تبكي على نفسها الآن، وصاحت في نفسها أمام المرآة «ليس هذا بالشيء الحسن!» «لا شيء حسن في ذلك». ثم انفجرت في

نوبة من البكاء أثناء تناولها لجرعة أخرى من الويسكي، وصبت الجزء المتبقي بالزجاجة في كأسها.

وكان جميع الناس الآخرين على غير ما يرام، كلهم سواء، وماذا لديها الان؟ عمل كريه منخفض المستوى مع حقوق خاصة في الفراش ولا أجور، تلك هي حقيقة الأمور، ومتزوجة من رجل ميكانيكي يعمل في التشحيم وتنبعث منه رائحة كريهة، تلك هي حقيقة الأمور، متزوجة أياه!! وبعيدة للغاية في منطقة ريفية نائية حتى انها لا تتمكن من الذهاب للسينما ودور اللهو، ومضطرة للجلوس في صالة الطعام ذات الرائحة الكريهة.

وأسندت رأسها على ذراعيها، وانفجرت في البكاء، واستطاعت أليس أخرى ان تسمع بكاءها وعويلها، إذ كانت هناك أليس ثانية تقف عند كتفيها وترقبها، لقد كانت مضطرة لأن تسير على قشر بيض طوال الوقت لكي تحفظ عليه سعادته، ورفعت راسها ونظرت في المرآة، لقد تشوه أحمر الشفاه في كل أرجاء شفتها العليا، وكانت عيناها حمراوتين وكان انفها يسيل في رشح، فمدت يدها نحو أوراق السفرة وجذبت منها ورقتين ومخطت انفها، ثم طوت الورقتين وألقت بهما على الأرض.

لأي شيء كانت تريد الابقاء على نظافة هذا المطعم الرخيص، ومن الذي يهتم؟ ومن يعيرها أدنى اهتمام؟ لا أحد، ولكن كان باستطاعتها الاهتمام بنفسها، إذ لم يكن بمقدور أحد ان يعامل أليس بجفاءة وقسوة وينجح في ذلك بدون أن تكتشف أمره، وأفرغت في جوفها آخر كمية من الويسكي.

وكان استخراج زجاجة الويسكي الثانية المعتقة الحمراء الداكنة من مكانها يعتبر عملا شاقا للغاية، إذ بدأت تترنح وسقطت على حوض

الغسيل، وكانت هناك ضغوط حارة على الجانب الداخلي لانفها، وكانت انفاسها تحدث صفيرا في فتحتي انفها، وأوقفت زجاجة الويسكي ذات اللون الأحمر الداكن على الكاونتر وأحضرت بريمة فتح الزجاجة، وسقطت الزجاجة على الكاونتر عندما حاولت إدخال البريمة فيها، ومع المحاولة الثانية تقطعت السدادة إلى قطع صغيرة

فدفعت بالجزء المتبقي من السدادة إلى داخل الزجاجة بإبهامها، ثم دفعت نفسها عائدة إلى المنضدة.

وقالت «الصودا تفرقع» وملأت كأسها بالويسكي الأحمر الداكن «أتمنى لو كان هناك المزيد من الويسكي» وكان فمها جافا، فشربت نصف الكأس المليء بالويسكي في تعطش ونهم، وضحكت في فتور «ذلك شيء حسن»، ولربما تتناول الويسكي أولاً باستمرار لكي تعطي مذاقا للخمور.

وقربت المرآة منها، ثم قالت في مرارة «أنت امرأة عجوز، أنت امرأة عجوز ومخمورة وقذرة، ولا غرابة في أن أحداً لا يريدك، انا نفسي لا أريد الحصول عليك».

ولم تكن الصورة في المرآة مزدوجة إلا أن حدودها الخارجية مزدوجة، وبدأت أليس تشعر بالغرفة وهي تهتز وتتأرجح في المنطقة الخارجية عن مجال الرؤية عندها، وشربت الجزء المتبقي في الكأس فأصابتها الزغطة وتناثر لعابها وسألت الخمور الحمراء الداكنة من جوانب فمها، وأخطأت يدها الكأس فصبت الخمور فوق سطح المنضدة قبل أن تملأ كأسها، وكان قلبها يدق في عمق، وكانت تشعر بقلبها وهو يضرب في ذراعيها وكتفيها وفي عروق ثدييها، وراحت تشرب في وقار وروية.

انني بصدد التعرض للإغماء، ويا له من شيء حسن، أتمنى الا أفيق أبدا، أتمنى ان يكون في ذلك نهاية للموقف، النهاية للموقف، النهاية للموقف، ولكي أظهر لهؤلاء الناس أولاد الحرام انه لا ينبغي لي أن أعيش إذا كنت لا أريد أن أعيش، سأبين لهم ذلك.

وبعدئذ شاهدت الذبابة، ولم تكن ذبابة منزلية عادية وإنما كانت ذبابة ضخمة مولودة حديثا لها بطن ذات لون ازرق فولإذي ولها جسد مليء بالشعر، وكان جسدها يلمع بلون أزرق متلون بألوان مختلفة، لقد جاءت الذبابة إلى المنضدة ووقفت على حافة بركة الخمور وغمست فمها ثم راحت تنظف نفسها.

وجلست أليس ساكنة تماماً، كان لحم أليس يزحف بالكراهية، وتركزت كل تعاستها وانصبت على الذبابة، واستخدمت كل ما لديها من قوة الإرادة لكي تبدو صورتا الذبابة صورة واحدة ثم قالت في هدوء: «يا ابنة الكلب، أتظنين انني ثملة، سأريك الآن».

وكانت عيناها متيقظتين ولامعتين، وانزلقت ببطء شديد على جانب من المنضدة وجثمت إلى أسفل على الأرض مرتكزة على يدها، وأبقت عينيها على الذبابة، ثم زحفت أليس نحو الكاونتر وذهبت خلفه، وكانت توجد هناك فوطة أطباق ملقاة على حوض الغسيل المصنوع من الصلب الذي لا يصدأ. فأخذتها في يدها اليمنى وطوتها في حرص وعناية، وكانت خفيفة للغاية، وبللتها تحت صنبور الماء وعصرت منها المياه الزائدة، وقالت «سأريها بنت الكلب».

وتحركت على طول الكاونتر كالقطة، وكانت الذبابة مازالت هناك، ومازالت هناك بألوانها اللامعة.

ورفعت أليس يدها وجعلت الفوطة تسقط إلى الخلف على كتفها،

وراحت تقترب في خطى حذرة مع يدها المرتفعة المنثنية، وضربت، فسقطت على الأرض الزجاجة والكأس وعليه السكر وصندوق أوراق السفرة وتحطمت كلها، وصدرت عن الذبابة صوت كالطنين ودارت في الهواء ثم استقرت فوق كاونتر الغذاء، فاندفعت أليس موجهة الضربات إليها فطارت مرة أخرى وضاعت ضربات الفوطة في الهواء.

فقالت أليس لنفسها «ليست تلك هي الطريقة، أزحفي تدريجيا إليها»، وغاصت الأرضية قليلاً تحت قدميها، ومدت يدها وسندت نفسها على الكرسي، أين كانت الذبابة انئذ؟ لقد كان باستطاعتها سماع الطنين والازيز، الطنين الغاصب المقرف الصادر عن أجنحتها، وكان لابد لها ان ترسو في مكان ما في وقت ما، وشعرت أليس بالغثيان يرتفع في حلقها.

وقامت الذبابة أثناء تحليقها بسلسلة من العروات والثمانيات والدوائر تناقص اضطرابها وقلقها فأصبحت تحلق على ارتفاع منخفض من جانب لآخر في أرجاء الغرفة، وانتظرت أليس، وكان الظلام قد بدأ يزحف على أطراف الأشياء التي تراها، ودون أن تحدث صوتا رست الذبابة على صندوق الخبز الموجود بأعلى الهرم الكبير الذي يضم الحبوب الجافة فوق الرف خلف الكاونتر، هبطت فوق الحرف C كلمة Corn ثم تحركت في قلق فوق الحرف، ووقفت دون أدنى حركة على الإطلاق، وكانت أليس تتنفس بصعوبة وبصوت مسموع.

وكانت الغرفة تتأرجح وتلف وتدور، ولكن بجهود من قوة الإدارة، وكانت الذبابة والمنطقة المحيطة بها محددة وواضحة المعالم، وامتدت يد أليس اليسرى إلىٰ الخلف نحو الكاونتر وزحفت أصابعها عبرها، وتحركت في صمت وببطء حول نهاية الكاونر ثم رفعت يدها اليمنى

بحرص شديد للغاية، فقفزت الذبابة خطوة للأمام وتوقفت مرة أخرى، ولكنها كانت تستعد للإقلاع، وأدركت أليس ذلك، شعرت انها بصدد الطيران قبل أن تطير، وترنحت أليس بكل ثقل جسها. فاصطدمت الفوطة المبللة في قوة ساحقة بهرم الصناديق المصنوعة من الورق المقوى فهوت الصناديق متلاحقة وتهشمت على الأرض مع صف من الاكواب وسلطانية للبرتقال خلف الكاونتر وسقطت أليس فوق تلك الأشياء.

وهجمت عليها الفرقة بأضواء حمر وزرق، وسكب صندوق مكسور ما به من أرغفة الخبز تحت خدها، فرفعت رأسها مرة واحدة ثم هبطت بها لأسفل مرة أخرى، ونزل عليها ظلام زاحف.

وكانت صالة الطعام في ضوء الغسق وهادئة للغاية، وتحركت الذبابة إلى حافة بركة الخمور الاخذة في الجفاف فوق سطح المنضدة الابيض، ولبرهة وجيزة راحت تستشعر الخطر في جميع الاتجاهات ثم غمست خرطومها في الخمور الحلوة اللزجة في تأن وترو.

الفصل الثاني عشر

وتجمعت السحب الرمادية في تهديد متزايد وخيم على الأرض ظلام مشوب باللون الازرق، وفي وادي سان جوان بدت النباتات ذات اللون الأحمر الداكن كأنها سوداء اللون.

أما الأعشاب ذات اللون الفاتح فقد اتخذت لونا أزرق شفافا باردا.

وظهر الأتوبيس «حبيبة القلب» متحركا في تأرجح على الطريق الرئيسي، وكان طلاء الالمونيوم الذي يعلوه بشع مع شرور ماكينته المخنوقة، وبعيدا نحو الجنوب تهدبت كومة طويلة من السحب السود وهطلت على شكل أمطار فسقطت ستارتها ببطء تدريجي.

وكبح جماح الأتوبيس بالقرب من مضخات البنزين أمام متجر بريد Bread ثم توقف تماماً، وراحت قفازات الملاكمة الصغيرة وحذاء الطفل تتأرجح للخلف وللأمام في حركات بندولية قليلة، وظل جوان جالساً في مقعده بعد توقف الأتوبيس، وزاد من سرعة الموتور لبرهة وجيزة وراح يصغي ويتسمع ثم تنهد وأدار المفتاح فتوقف الموتور.

وسأله فان برانت «إلى متى ستنتظر هنا؟» فقال جوان «سألقي نظرة على الكوبري».

فقال فان برانت «إنه لا يزال هناك في مكانه» وقال جوان «وهكذا نحن» ثم جذب ذراع العتلة ليفتح الباب.

وخرج بريد من بابه ذي الشاشات وسار نحو الأتوبيس، وصافح جوان باليد وسأله «ألست متأخراً بعض الشيء؟».

فقال جوان «لا أظن ذلك اللهم إلا إذا كانت ساعتي متوقفة» وانزلق بيميلز هابطاً من الأتوبيس ووقف إلى جوارهما، لقد أراد أن يسارع إلى النزول لكي يتمكن من رؤية الشقراء لدى هبوطها من الأتوبيس.

وتساءل «أعندك كوكا كولا؟».

فقال بريد «لا. عندي عدد قليل من زجاجات البيبسي كولا انني لم أحصل على أية كميات من الكوكاكولا منذ شهر مضى. وهي مثل نفس المادة، لا يمكنك معرفة الفارق بينهما» وتساءل جوان «كيف حال الكوبري؟».

فهز المستر بريد رأسه وقال «أظن ان المسألة تتعلق بمدى ما لديك من حظ، ألق نظرة بنفسك، فأنا لا أحب ذلك».

وتساءل جوان «الا يوجد أي كسر حتى الآن؟»، فقال بريد «يمكن أن يحدث له شيء من هذا القبيل» ومسح راحتي يديه في بعضهما البعض، واستطرد «لقد وقعت عليه ضغوط مما جعله يصبح كالطفل، هيا بنا نلقي نظرة عليه».

وانزلق كل من المستر برتشارد وأرنست هابطين من الأتوبيس وبعدئذ كاميل خلفهم فلم يستطع بيميلز ان يرى أي شيء.

وقال بيميلز «يوجد عندهم بعض البيبسي كولا، أتحبين ان تأخذي واحدة؟».

فالتفتت كاميل نحو نورما وسألتها «أتحبين ان تأخذي مشروباً؟» وكانت قد بدأت تدرك ان نورما يمكن أن تكون لها قيمة كبيرة.

وقالت نورما «حسناً. لا يهمني ذلك».

وحاول بيميلز الا يظهر شعوره بخيبة الأمل. وسار كل من بريد وجوان على الطريق الرئيسي في اتجاه النهر، وقال جوان من فوق كتفه «سأذهب لألقى نظرة على الكوبري».

ونادت مدام برتشارد وهي فوق الدرج «يا عزيزي، أتظنين ان باستطاعتك ان تحضري لي مشروباً بارداً؟».

فقالت نورما «إنها قريبة من هنا في الخلف».

وكان بريد متاخراً عن جوان بخطوة واحدة وهما يستحثان الخطى في اتجاه الكوبري، وقال بريد «إنني في كل عام أتوقع انهيار هذا الكوبري - أتمنى ان يكون لدينا كوبري بمعنى الكلمة بحيث يمكنني النوم في اطمئنان بالليل عندما تكون هناك أمطار غزيرة. انني أنام في السرير وأسمع وقع الأمطار على السطح ولكنني في نفس الوقت أصغي عسى ان أسمع انهيار الكوبري في أية لحظة، ولست أدري ما هو نوع ذلك الصوت الذي سيصدر عن الكوبري لدى انهياره».

فابتسم جوان وقال «إنني أعرف كيف يكون ذلك الصوت، فأنا إذكر عندما كنت ولدا صغيراً في توريون، اننا كنا في ذلك الوقت ننصت ليلاً إلى الفرقعة والطقطقة التي تدل على حدوث الاشتباكات والقتال، وكنا نحب القتال، ولكن القتال كان يعني دائماً ذهاب معلمي العجوز بعيداً لبعض الوقت، وأخيراً ذهب بعيداً ولم يعد نهائيا، وأظن اننا كنا نتوقع ذلك».

فتساءل بريد «ماذا حدث له؟».

«لست أدري، أظن ان شخصا ما قتله. فهو لم يكن باستطاعته البقاء بالمنزل عندما يكون هناك قتال. فقد كان يدفع نفسه إلى القتال، وأظن انه لم يكن يهتم كثيراً بالأسباب التي أدت إلى نشوب القتال، وفي كل

مرة يعود فيها إلى المنزل يكون زاخرا بالقصص» وضحك جوان واستطرد: «ولقد قص علينا إحدى القصص عن بان شو فيلا فقال ان امرأة مسكينة فقرية جاءت إلى بان شو فيلا وقالت له: (لقد أطلقت الرصاص على زوجي فأرديته قتيلا. وانا وأطفالي الآن سنهلك من الجوع). حسناً، وكان فيلا لديه قدر وفير من المال حينئذ، فقد كانت عنده المطابع وكان يطبع لنفسه نقوده، فالتفت نحو صراف خزينة أمواله وقال (أطبع خمسة كيلو جرام من الأوراق المالية فئة العشرين بيزو من أجل هذه المرأة المسكينة) وهو لم يكن يعد ويحصي النقود إذ كان لديه قدر كبير منها للغاية، فنفذوا أوامره وربطوا الأوراق المالية مع بعضها البعض بسلك ثم خرجت تلك المرأة ومعها النقود، وبعدئذ قال شاويش لفيلا (هناك غلطة يا سيدى الجنرال، اننا لم نطلق الرصاص على زوج تلك المرأة، لقد كان مخمورا فوضعناه في السجن) فقال بان شو (اذهب فوراً وأطلق الرصاص عليه، إذ لا يمكننا ان نخيب ظن تلك المرأة المسكينة)».

فقال بريد «ليس بهذه القصة أي معنى».

فضحك جوان وقال «أعرف ذلك، وهذا هو الذي جعلني أحبها، يا ألهي، النهر ينخر في ظهر السد الذي تتكسر عليه الأمواج».

وقال بريد «أعرف ذلك. لقد حاولت الاتصال بهم تليفونيا لأخبرهم بذلك، فلم أجد أي شخص على التليفون».

وسارا سوية فوق الكوبري الخشبي، وما ان وطأت أقدام جوان على أخشاب الكوبري حتى شعر باهتزازات المياه المداعبة، وكان الكوبري يرتعد في اهتزاز، وكانت هناك همهمة عميقة في أخشاب الكوبري يفوق صوتها صوت اندفاع المياه في النهر، ونظر جوان إلى جانب الكوبري،

كانت الركائز الخشبية تحت الماء وكان النهر يرغى ويزيد تحتها وكان الكوبري بأسره يرتعد ويهتز ويلهث، وكانت هناك صرخات قليلة مخنوقة صادرة من الاخشاب في الأماكن المحزومة بالاحزمة الحديدة، وبينما كانا يرقبان وصلت شجرة بلوط قديمة هائلة متدحرجة في ثقل أسفل المجرى، وعندما ضربت في الكوبري وانقلبت صدر صراخ عن بنيان الكوبري بأكمله وبدأ كأنه يطوق نفسه، وانحشرت الشجرة بين أساسات الكوبري الغائصة فصدرت أصوات مجلجلة هائلة من تحت الكوبري، فتحرك الرجلان عائدين على وجه السرعة من رأس الكوبري.

وتساءل جوان «ما هو معدل سرعة ارتفاع النهر؟». «عشر بوصات خلال الساعة الماضية. وقد يبدأ في الهبوط الآن، فلربما يكون قد وصل الآن إلى قمة الفيضان».

ونظر جوان إلى جانب الدعائم المستطيلة الرفيعة فوقعت عيناه على رأس مزلاج عند حافة المياه فظل ناظرا إليه لبعض الوقت وقال «أظن ان باستطاعتي ان أعملها، باستطاعتي ان أسارع قبل أن تقع الكارثة أو باستطاعتي ان أدع المسافرين يسيرون عبر الكوبري على أقدامهم وانا أقود الأتوبيس بدونهم والتقطهم عند الجانب الاخر، وكيف حال الكوبري الآخر؟».

فقال بريد «لا أدري. لقد حاولت الاتصال تليفونيا لمعرفة أي معلومات عنه، ولكن لم أظفر بأي شخص أتحدث معه في هذا الشان، ولنفرض جدلا انك عبرت الكوبري وبعد ذلك وجدت الكوبرى الآخر منهدما ثم عدت إدراجك فوجدت هذا الكوبري قد تهدم أيضا؟ عندئذ ستكون قد وقعت في مصيدة في هذه العروة. وقد يكون معك بعض المسافرين المفرطين في الحساسية والشعور بالاستياء».

فقال جوان «على كل حال سيكون لدي عندئذ بعض المسافرين الذين يثيرون المتاعب، فأنا عندى واحد ـ لا. عندي اثنان سيقيمان الدنيا ويقعدانها إذا حدث أي شيء حتى ولو كان بسيطا، فأنا أعرف الدلائل من الآن، أتعرف رجلا يسمى فان برانت؟». «أوه. ذلك الرجل العجوز المزعج!! نعم اعرفه، انه مدين لي بـ ٣٧ دولارا. فقد بعت له بعض بذور البرسيم وادعى ان الحبوب ليست على ما يرام. وامتنع عن دفع الثمن. وهو مدين بكمبيالات في جميع أرجاء المنطقة. وكل شيء يشتريه يقول عنه انه غير جيد. انني لن أبيع له قضيبان من الحلوى بدون أن يدفع الثمن مقدما. فلربما يدعي انه لم يكن حلو المذاق. إذن فقد أحضرته معك؟».

فقال جوان «أحضرته معي. وأحضرت أيضاً رجلا من شيكاغو وهو رجل أعمال منهمك في الأعمال التجارية وهو من النوع الذي سيفقد أعصابه إذا لم تسر الأمور على النحو الذي يريده».

فقال بريد «حسناً، عليك أن تتخذ قرارك». فنظر جوان إلى السماء الملبدة بالغيوم المنذرة بالمطر وقال: «أظن انها ستمطر ما في ذلك شك. ومع امتلاء التلال بالأمطار فإنها ستنجرف في شكل كتل وأكوام نحو النهر، باستطاعت أقناعهم بما فيه الكفاية ولكن ما هو احتمال اضطراري للعودة؟».

فقال بريد «حوالي ١٠٪» واستطرد «وكيف حال زوجتك؟». فقال جوان «إنها ليست على ما يرام. فهي تعاني من ألم في الأسنان». وقال بريد «المحافظة على الأسنان تكلف الإنسان كثيراً ينبغي لي الإنسان الذهاب إلى طبيب الأسنان كل ستة شهور».

وضحك جوان وقال «أعرف ذلك، ولكن هل تعرف أي شخص

يفعل ذلك» فرد بريد «لا». لقد كان يحب جوان بل ولم يكن يعتبره أجنبياً. وقال جوان «ولا أنا».

واستطرد «حسناً. توجد طريقة واحدة أخرى للابتعاد عن المتاعب التي قد يثيرها المسافرون».

«ما هي تلك الطريقة؟».

«ان أجعلهم يقررون بانفسهم. فهذه ديمقراطية. أليس كذلك؟».

«سيؤدي ذلك إلى مجرد الشجار والاقتتال».

فقال جوان «حسناً وما الخطأ في ذلك إذا كانوا سيقاتلون بعضهم البعض؟».

وقال بريد «صحيح انك على حق من تلك الزاوية، ولكني أقول لك شيئاً: مهما اتفقت الآراء على وجهة نظر معينة سيصر فان برانت على وجهة النظر المضادة، فهو شخص لا يؤدي فكرة المجيء الثاني للسيد المسيح حتى ولو كان هناك اجماع تام على هذه الفكرة».

وقال جوان «في هذه الحالة عليك فقط ان تعرف كيفية التعامل معه، ففي يوم ما كان عندي حصان، وكان ذلك الحصان عنيدا للغاية حتى انك إذا وجهته إلى اليسار يتجه هو إلى إليمين، وبذلك كنت أخدعه وأوجهه إلى العكس. وكان هو يظن انه يسلك الطريق الذي يروق له، ويمكنك أن تطبق نفس هذه الطريقة على فان برانت».

فقال بريد «سأقوم بمنعه من دفع الـ ٣٧ دولاراً». وقال جوان «هذه هي الطريقة التي تصلح معه» واستطرد: «حسناً. النهر ليس في حالة طوفان. فرأس المزلاج ذاك مغطى. سأذهب لاستطلاع رأي المسافرين».

وفي مؤخرة المتجر العام شعر بيميلز انه قد خدع بعض الشيء إذ وجد نفسه مضطرا لأن يشتري بيبسي كولا لكل من نورما كاميلا.

وبالرغم من المحاولات التي بذلها لم يستطع ان يفل كاميل عن نورما، ولم تكن الغلطة هي غلطة نورما ولكن كاميل كانت تستخدم نورما لهدف معين.

وكانت نورما متألقة في سعادة. إذ لم يسبق لها طوال حياتها ان بلغت مثل هذا القدر من السعادة حيث كانت هذه المخلوقة الجميلة لطيفة معها، أصبحتا صديقتين، وهي لم تقل انهما يمكن لهما ان تعيشا سوية وإنما قالت بأنها سترى كيف تسير الأمور. ولسبب ما أعطى هذا القول لنورما قدرا كبيراً من الثقة والاعتماد عليها، فمشاعر الناس لم تكن ودية تجاه نورما، فهم كانوا يقولون «نعم». وبعدئذ يهربون منها، ولكن هذه الفتاة كانت تشبه كل شيء أرادت نورما ان تكونه، قالت «سنرى كيف تسير الأمور». واستطاعت نورما ان ترى في ذهنها الشقة التي ستحصلان عليها. قد يكون بها كنبه من النوع الذي يتحول إلى سرير تعلوها كسوة من القطيفة، وأمامها منضدة للقهوة، وقد تكون كسوة الاثاث من القطيفة ذات اللون الأحمر النبيذي، وقد يكون لديهما جهاز يضم راديو وفونوغراف في أن واحد بالإضافة إلى كمية من الاسطوانات بالطبع، ولم ترغب في التفكير إلى ما هو أبعد من ذلك، لأن الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك قد يفسد حظها، وكان هناك نوع من اللون الأزرق الخلاب المثير بالنسبة للكنبة الكبيرة.

ورفعت كوبها المليء بالبيبسي كولا وجعلت المشروب الحلو اللاسع ينزل إلى حلقها، وفي منتصف الجرعة جثم اليأس عليها كالغاز الثقيل الخانق وصاح عقلها «لن يحدث ذلك أبداً»، «سيذهب كل ذلك أدراج الرياح»، «ستكون الأمور على ما هي عليه دائماً وسأكون وحيدة مرة أخرى». وأغلقت عينيها في اعتصار ومسحت بظهر يدها عليهما، وعندما فتحت عينيها مرة أخرى شعرت انها على ما يرام. وراحت تفكر

«سأقتصد من النقود ما يحقق لي ذلك» واستطردت في تفكيرها «سأجهز الشقة تدريجياً، وإذا لم أتمكن من تجهيزها سأظل محتفظة بها» وهبط عليها صلابة واقتناع «إذا تحقق أي شيء من ذلك النجاح سيكون ذلك بسبب الكسب غير المشروع، ولكني ليس بمقدوري ان أتوقعه ولا يمكن أن أدع نفسي تتوقعه، فذلك من شأنه ان يهدم كل شيء».

وقال بيميلز «لدى العديد من الخطط، فأنا أقوم بدراسة الرادار، وسيصبح الرادار من الأعمال الهامة للغاية، والشخص الذي يعرف الرادار سيثبت في عمله مما يعود عليه بالرضا والسرور وأظن ان على المرء ان تكون له نظرة بعيدة للأمام، الا تنظرين للأمام؟ هناك بعض الناس ليست لهم نظرة بعيدة نحو المستقبل فينتهون إلى حيث بدءوا». وكانت هناك ابتسامة بسيطة تعلو شفتي كاميل.

وقالت «إنك قد اكتسبت شيئاً بتعلمك للرادار» وتمنت لو استطاعت التخلص من هذا الصبي، صحيح انه كان ولدا ظريفا ولكنها كانت لديها الرغبة في التخلص منه، إذ كان باستطاعتها ان تشم رائحته، فقالت له: «شكرا على المشروب» واستطردت «أظن أنني سأذهب لأجدد نشاطي بعض الشيء، أترغبين في المجيء معي يا نورما؟».

وعلت وجه نورما نظرة إخلاص ووفاء وقالت «أوه، نعم، ينبغي لي أن أجدد نشاطي أيضاً». فكل شيء تقوله كاميل كان صواباً ومحبباً للنفس وجميلاً، وصرخت نورما في ذهنها «أوه، أيها السيد المسيح، حقق ذلك».

وكانت المدام برتشارد ترتشف عصير الليمون وقد استغرق الأمر بعض الوقت للحصول عليه لأنهم لم يعتادوا على تقديم عصير الليمون للزبائن، ولكن عندما أشارت مدام برتشارد إلى الليمون في قسم البقالة

وعرضت ان تقوم بنفسها بعصر الليمون، لم يكن هناك مفر أمام المدام بريد فقامت بعصر الليمون لها.

وقالت المدام برتشارد موضحة وجهة نظرها «إنني لا أستطيع تناول المشروبات المعبأة في زجاجات منذ فترة طويلة، وأحب عصير الفواكه الطبيعي» وعانت المدام بريد في استياء من الهزيمة تحت وطأة هذه الموجة من العذوبة والرقة، وراحت المدام برتشارد ترتشف عصير الليمون وتتفقد رفا مليئاً بالبطاقات البريدية ذات الصور الملونة وكان هذا الرف موجودا فوق الكاونتر الخاص بالبدع الجديدة، وكانت هناك صور عن دار القضاء في سان جوان دي لاكروز وعن الفندق في سان يسيدرو الذي شيد بجوار ينبوع ماء معدني ساخن، وهو فندق عريق وجميل يتردد عليه كثير من الناس المصابين بالروماتيزم للاستحمام في المياه المعدنية، وكان هذا الفندق يسمى «سبأ» طبقا لما هو مكتوب على البطاقة البريدية الملونة، وكانت هناك أشياء أخرى على الكاونتر، الخاص بالبدع الجديدة: كلاب من الجبس ملونة ومسدسات من الزجاج مملوءة بالحلوى وعرائس ذهبية الألوان وصناديق من الخشب الأحمر الممتاز بها فواكه كاليفورنيا الرائعة، وكانت هناك لمبات تدور قبعاتها لدى إضاءة الانوار فتتحرك وتسطع الغابات والمراكب الشراعية بطريقة حيوية للغاية.

وقفت أرنست هو الآخر عند الكاونتر وأخذ ينظر إلى ذلك العرض في شيء من الازدراء، وقال للمستر برتشارد: «إنني أفكر أحياناً ان أفتح متجرا للبدع يضم جميع الأشياء الجديدة، فهذه البدع القديمة قد نزلت إلى السوق منذ سنوات ولا أحد يشتريها، وشركتي الآن ليس بها سوى البدع الحديثة التي تتماشى مع الجمهور مستقبلاً».

وأومأ المستر برتشارد برأسه وقال «إن الرجل يشعر بالثقة عندما يعمل في شركة راسخة» واستطرد «وهذا هو السبب الذي تجعلني أعتقد انك قد ترغب في العمل معنا، فبإمكانك ان تتأكد من اننا راسخين في كل ساعة من ساعات اليوم».

وقال أرنست «إنني ذاهب لإحضار حقيبتي، ان لدي شيئاً جديداً لم يعرض فعلاً على الجمهور حتى الآن ولكن التجار يتلقفونه مثل الكعك الساخن، مجرد التجار فقط، ولربما أضع قليلاً منه هنا. ربما»..

وخرج بسرعة وسحبٍ حقيبة عيناته وفتحها وآخرج منها صندوقا من الورق المقوى وقال «هل ترى، مجرد تغليف بسيط، وذلك التغليف هو من أجل المفاجأة» ثم فتح الصندوق وآخرج منه مرحاضا متقن الصنع مرتفعا بعض الشيء وطوله ١٢ بوصة، وكانت توجد كرة من النحاس الاصفر لها سلسلة صغيرة وكانت سلطانية المرحاض بيضاء اللون بل وكان له غطاء للمقعد صغير وملون بطريقة تجعله يشبه الخشب.

وكانت المدام بريد قد تحركت إلى نهاية الكاونتر، وقالت: «زوجي هو الذي يعقد جميع صفقات الشراء. عليك بمقابلته».

فقال أرنست «أعرف ذلك، ولكنني أردت فقط ان أريك هذا الشيء، انه لا يحتاج إلى دعاية، عليه إقبال شديد».

وسأله المستر برتشارد «لأي شيء هو؟».

فقال أرنست «انظر من فضلك» وجذب السلسلة الصغيرة فانسابت فجأة في سلطانية المرحاض سوائل بنية اللون، ورفع أرنست مقعد المرحاض من السلطانية فصارت كوبا صغيرا، فقال في انتصار «هذه أوقية واحدة، وإذا أردت الحصول على جرعة مضاعفة مناسبة مثلاً لكأس طويل فعليك بجذب السلسلة مرتين». فصاح المستر برتشارد

«ويسكي!!». فقال أرنست «أو براندى أو روم» واستطرد «أي شيء تريده، انظر، هنا في الخزانة يوجد المكان الذي تملأه، والخزان من البلاستيك المضمون، وهو يجعل المشروبات باردة وقد حصلت فعلا على طلبات لتوريد ١٨٠٠ من هذا النوع، انه لشيء جذاب ومثير للغاية، ويعطى المرح والسرور في كل مرة».

فقال المستر برتشارد «يا إلهي، انه شيء جميل ورائع، من الذي يفكر ويبتكر تلك الأشياء؟».

فقال أرنست «حسناً، لدينا قسم للأفكار، كل شخص يضع فكرة، وهذه الفكرة بالذات قد اقترحها البائع التابع لنا في منقطة جريت ليكس وهو سيحقق لنفسه فوائد مالية حسنة لأن شركتنا تعطي ٢٪ من الأرباح لأي موظف يبعث لها بفكرة يمكن أن تطبق عملياً».

وقال المستر برتشارد مرة أخرى «إنه شيء رائع» واستطاع أن يرى في ذهنه تشارلي جونصون وهو يشاهد ذلك الصندوق لأول مرة، انه ستكون لديه الرغبة في الاندفاع لشراء صندوق لنفسه، وتساءل المستر برتشارد «وما هو ثمن هذه الصناديق؟».

«حسناً، الثمن بالقطاعي للصندوق الواحد خمسة دولارات، ولكني أقترح عليك أن تشتري النموذج المخصوص لهذا الصندوق الذي نبيعه بـ ٢٧,٥ دولار».

فزم المستر برتشارد شفتيه..

واستطرد أرنست قائلاً «الصندوق العادي مصنوع من البلاستيك أما النموذج الآخر الذي أحدثك عنه فهو أفضل بكثير فهو مصنوع من خشب البلوط ومن براميل الويسكي القديمة بهدف استيعاب الويسكي بطريقة لطيفة، بالإضافة إلى سلسلته من الفضة الحقيقية وبه ماسة

برازيلية فوق المقبض والسلطانية مصنوعة من الخزف الصيني الحقيقي وقاعدته في الخشب الموهجاني المحفور بالاويمة، وعلى الصندوق توجد لوحة من الفضة صغيرة الحجم بحيث يمكنك أن تكتب عليها أسمك في حالة إذا ما أردت إهداءه إلى محفل أو ناد».

وقال المستر برتشارد «يبدو انه له قيمة كبيرة» واتخذ عقله قراراً، وأدرك كيف انه سيتمكن من التفوق على تشارلي جونسون من حيث الحيل الضاحكة، عليه ان يعطي واحداً من هذا المرحاض إلى تشارلي، ولكن ينبغي عليه ان يكتب على اللوحة «إهداء من اليوت برتشارد إلى تشارلي جونصون.. أبنّ الكلب الأمريكي البحت» وبعدئذ يدع تشارلي بريد لكل من يريد، وعندئذ سيعرف كل شخص من الذي جاءت له الفكرة أولاً.

وتساءل «هل أحضرت معك صندوقاً من النموذج الخصوصي؟».

«لا. عليك أن تطلب ذلك».

وكانت المدام برتشارد قد اقتربت منهما في هدوء فقالت بدون تردد «إليوت، انك لست بصدد الحصول على أحد من تلك الصناديق يا اليوت، ان شكله رديء للغاية».

فقال المستر برتشارد «إنني بالطبع لن أضعه بالقرب منى إذا كانت هناك سيدات، لا، أيتها الفتاة الصغيرة، أتعرفين ما الذي سأقدم عليه؟ انني سأبعث بواحد من هذه الصناديق إلى تشارلي جونصون فأنا سأرسل صندوقا من هذا النوع كمقابل لإرساله لي ذلك الفراء الثمين المحنط لحيوان الظربان الأمريكي، نعم. يا سيدي، سانتقم لنفسي منه».

وقالت المدامْ برتشارد موضحة الأمور «لقد كان تشارلي جونصون زميلاً للمستر برتشارد في الفصل أثناء الدراسة في الكلية، وهما يطلقان

النكات الخارجية غير الاخلاقية، وهما يشبهان الاولاد الصغار عندما ينفردان مع بعضهما البعض».

فقال المستر برتشارد في وقار «والآن، لو انني طلبت صندوقا، هل يمكنك أن ترسله إلي على العنوان الذي سأعطيه لك؟ وهل يمكن أن تكلفوا أحداً بحفر الكلمات عليه؟ سأكتب لك العبارة التي أريد أن تضعوها على اللوحة».

وتساءلت برنيس «ما الذي ستقوله؟».

فقال المستر برتشارد «على الفتيات الصغيرات عدم التدخل في الأعمال الخاصة برجل كبير».

وقالت برنيس «أراهن على انها ستكون كلمات فظيعة» وكانت ميلدريه في حالة اكتئاب، كانت تشعر انها متبلدة ومرهقة وفقدت الاهتمام بكل شيء، وكانت تجلس على كراس من النوع المصنوع من الأسلاك الملتوية والذي يجلس عليه الزبائن لتناول الحلوى في المتجر، كانت تجلس وحيدة عند نهاية الكاونتر، وراحت ترقب في سخرية بيميلز وهو يحاول الانفراد بالشقراء، لقد سببت لها الرحلة شعوراً بخيبة الأمل، إذ كانت مشمئزة من نفسها ومما قد حدث، فأي نوع من الفتيات هي إذا كان سائق أتوبيس يروق في نظرها؟ واقشعرت قليلاً في شيء من النفور والاستياء، ترى أين هو؟ ولماذا لم يعد؟ وتبحث رغبتها في النهوض والذهاب للبحث، ودوى فجأة صوت فان برانت بجوار إذنها حتى انها اختلجت في مكانها على الفور.

قال «أيتها الفتاة الشابة، إن جونلتك تظهر ما تحتها، وقد ظننت انه يهمك ان تعرفي ذلك».

«أوه، نعم. شكراً جزيلاً».

فقال «كان من المحتمل ان تقضي اليوم بأكمله معتقدة أن ملابسك في وضع سليم إذا لم يقم أي شخص بإخبارك».

«أوه، نعم. شكراً لك»، ووقفت وانحنت إلى الخلف ودفعت بجونلتها على ساقيها حتى تتمكن من الرؤية، وكانت هناك بوصة من قميص النوم ظاهرة من الخلف.

وقال فان برانت «اعتقد انه من الأفضل ان يخبر الإنسان بأمور مثل هذه».

«أوه. فعلاً. يبدو أن شريط حمالتي قد قطع» فقال في برود «لا يهمنى سماع أي كلام عن ملابسك الداخلية»، فملاحظتي الوحيدة ـ وأكرر ذلك ـ هي ان جونلتك تظهر ما تحتها، ولا أريد أن تعتقدي ان لي أي دافع آخر.

فقالت ميلدريد في قلة حيلة «أنا لا أعتقد ذلك». فاستطرد فان برانت قائلاً: «هناك الكثير من الفتيات الصغيرات يتركز انتباههن على سيقانهن في خجل وارتباك حيث يعتقدن ان كل شخص ينظر إلى سيقانهن».

فانفجرت ميلدريد في ضحك وحشي مثل امرأة مريضة عقلياً.

فتساءل فان برانت في غضب «أهناك شيء مضحك للغاية؟» وقالت ميلدريد «لا شيء، كل ما في الأمر انني تذكرت نكتة» لقد تذكرت ان فان برانت لم يكف عن النظر إلى السيقان طوال الصباح، فقال «حسناً، لو كانت النكتة مضحكة إلى هذا الحد قوليها لي» «أوه. لا. انها نكتة شخصية، سأذهب لأثبت شريطي». ونظرت إليه ثم قالت في تعمد «انتبه، يوجد شريطان على كل كتف، أحدهما خاص بقميص النوم والاخر يمسك البراسيير يرفع الثديين لأعلى في ثبات» وشاهدت لون فان برانت ينبعث من ياقته فاستطردت «ولا يوجد أي شيء تحت ذلك

حتى الشورت الداخلي، هذا إذا كنت مرتدية شورتا داخليا، ولكني لا أرتديه الآن».

فاستدار فان برانت وسار مسرعا، وشعرت ميلدريد بالتحسن، وأدركت ان ذلك الرجل السخيف العجوز لن يتمكن من قضاء لحظات مريحة فباستطاعتها ان ترقبه ولربما تخدعه فيما بعد وتضبطه متلبسا بالنظر إلى السيقان، ونهضت في ابتهاج وذهبت نحو خلف المتجر إلى الحظيرة المكتوب عليها كلمة «سيدات».

وكان الباب مغطى بشيش مثل الشباك وكانت روعة الصباح آخذة في التصاعد، ووقفت ميلدريد أمام الباب المغلق، وتمكنت من سماع صوت نورما وهي تتحدث مع الشقراء في الداخل، وراحت تنصت لعل الانصات لحديث الناس يضفي على الرحلة شيئاً من الامتاع، وكانت ميلدريد يحلو لها التلصص على الناس واستراق السمع، وكانت تتضايق أحياناً من رغبتها في التصنت، كانت تنصت في شغف ومتعة إلى العبث والتفاهات ولكن أفضل حالات التصنت هي التي تكون في غرفة الاستراحات الخاصة بالنساء، ومما أثار اهتمامها لفترة طويلة هو حرية النساء وانطلاقهن في الكلام في أية غرفة يوجد فيها مرحاض ومرآة وحوض للغسيل، وهي قد كتبت ذات يوم مقالا في الكلية، وقد اعتبر مقالاً جريئاً للغاية حيث ذكرت فيه ان النساء قد يفقدن ما عندهن من كبت عندما تكون جونلاتهن مرتفعة.

وذهبت في مقالها إلى أن السبب أما ان يكون هو ارتفاع الجونلة وأما ان يكون هو مجرد التأكد من ان الرجل ـ العدو ـ لن يتمكن مطلقاً من غزو هذا المكان، فهو المكان الوحيد في العالم الذي تتأكد فيه النساء من خلوه من الرجال، ومن ثم يستسلمن للاسترخاء وتطفو على السطح

حقيقتهن الجوانية، ولقد فكرت في ذلك الأمر كثيراً، فالنساء يكن أكثر صداقة أو أكثر فسادا مع بعضهن البعض في غرفة التواليت العامة وفقا للظروف الشخصية، وربما كان السبب في ذلك انه لم يكن هناك رجال، لأنه حيث لا يوجد رجال لا توجد منافسات وعندئذ يسقط عنهن التصنع والزيف.

وتساءلت ميلدريد في مقالها عما إذا كان الأمر كذلك في غرف تواليت الرجال، ولم ترجح احتمال حدوث ذلك لأن الرجال لهم منافسات أخرى كثيرة بالإضافة إلى تنافسهم على النساء بينما معظم منافسات النساء والاخطار التي تتهددهن تتعلق بالرجال، وقد أعيد إليها مقالها بعد أن كتب عليه التأشيرة التالية: «غير مدروس بعناية». فوضعت في الاعتبار ضرورة إعادة كتابة مقالها من جديد.

وعلى الملأ في المتجر لم تشعر ميلدريد بروح المودة والصداقة تجاه كاميل، ولكنها أدركت ان كراهيتها لها لن تنتقل معها إلى غرفة التواليت، وفكرت: «أليس عجيبا ان تتنافس النساء على رجال لا يرغبن فيهن؟».

كانت نورما وكاميل تتحدثان باستمرار، ووضعت ميلدريد يدها على الباب ودفعته ففتح، فظهر في الغرفة الصغيرة كرسي تواليت وحوض غسيل تعلوه مرآة مربعة الشكل، وعلى إحدى الحوائط كانت توجد علبة لأغطية المقعد الورقية وإلى جوار الحوض كانت توجد فوط من الورق، وعلى الحائط بجوار النافذة ذي الزجاج المصنفر كانت توجد ماكنة تخرج من فتحتها أوراق النشاف الصحية، وكانت الأرضية الخرسانية مطلية باللون الأحمر الداكن أما الحوائط فكانت تعلوها طبقات كثيفة من الطلاء الابيض، وكانت هناك رائحة نفاذة لمطهر له رائحة عطرية منتشرة في الهواء.

وكانت كاميل جالسة على المرحاض، وكانت نورما واقفة أمام المرآة، ونظرتا سوية إلى ميلدريد لدى دخولها، وتساءلت كاميل «أتريدين استخدام المرحاض؟».

فقالت ميلدريد «لا. ان الشريط الخاص بقميص نومي متدل» ونظرت كاميل إلى أسفل تجاه جونلة ميلدريد وقالت «قميصك متدل فعلاً» ثم قالت لنورما «لا. ليس في ذلك الاتجاه» واستطردت «أتريدين الاتجاه الذي يسير فيه منبت الشعر على الجبهة؟ حسناً. أجعلى الحاجبين يتجهان لأعلى بعض الشيء من الجانب الخارجي، بنسبة قليلة فقط. انتظري يا حبيبتي. انتظري دقيقة وسوف أريك كيف يكون ذلك».

ووقفت واتجهت إلى نورما «استديري حتى أستطيع رؤيتك، هناك الآن، انظري الآن إلى نفسك، انظري كيف ان ذلك ينزل من منبت الشعر على الجبهة قليلاً؟. ان جبهتك عالية لذلك ينبغي عليك أن تحاولي انزالها إلى أسفل، استديري الآن وأغلقي عينيك». وأخذت قلم الحواجب من نورما ودلكت به برفق فوق الجفون السفلى تحت الرموش مباشرة جاعلة الخط أكثر سوادا لدى المرور على الأركان الخارجية.

وقالت «لقد وضعت ماسكارا كثيفة للغاية يا حبيبتي» واستطردت «انظري كيف ان الرموش تلتصق مع بعضها البعض؟ استخدمي مزيدا من الماء واستغرقي فترة زمنية أطول، انتظري دقيقة» ثم آخرجت من حقيبة يدها علبة بلاستيك صغيرة خاصة بتظليل العيون وقالت: «والآن استخدمي هذه المادة في دقة وعناية» ثم غمست إصبعها في المعجون الأزرق ودعكت قدرا قليلاً منه فوق جفنى نورما العلويين وجعلت المعجون أكثر كثافة تجاه الزاوية الخارجية وقالت «والآن. دعيني أرى» ثم فحصت وقالت «انظري يا حبيبتي. أجعلي عينيك متسعتين للغاية مثل

الارنب واجعلي جفنيك العلويين يتجهان لأسفل بعض الشيء. لا. لا تغلقي عينيك بشكل جزئي، أجعلي فقط الجفنين العلويين يرتخيان لأسفل بعض الشيء، ها هو. مثل ذلك. والآن انظري إلى نفسك، أترين الفرق؟».

فقالت نورما «يا إلهي. منظري مختلف تماماً» وجاء صوتها مليئاً بالرهبة والدهشة.

«منظرك مختلف بالتأكيد، وأحمر الشفاه وضع بطريقة خاطئة، انظري يا حبيبتي: ان شفتك السفلي رفيعة للغاية وهكذا الحال بالنسبة لي.. انزلي بأحمر الشفاة إلى أسفل هنا بعض الشيء، وهنا أيضاً بعض الشيء».

ووقفت نورما ساكنة مثل طفلة طيبة وتركتها تعمل. وقالت كاميل «هل لاحظت؟ أكثر كثافة في الزوايا والآن تبدو شفتك السفلي أكثر امتلاء».

وقالت ميلدريد «أنت ماهرة، يمكنني أيضاً الاستفادة من نصائحك».

فقالت كاميل «أوه، حسناً، إن المسألة بسيطة بعض الشيء» وقالت ميلدريد «هذا مكياج مسرحي، أقصد انه من نوع المكياج الذي يستخدم على المسارح».

«حسناً، إنني كما تعرفين أتعامل مع الجمهور ـ فأطباء الأسنان يستخدمون ممرضات يكدن يشبهن فتيات الاستقبال». وصاحت ميلدريد «يا للعنة!. ان هذا الشريط ليس مفكوكاً ولكنه مقطوع» وأزاحت رداءها عن كتفها وأمسكت بجزء من خيط حريري في يدها.

وقالت كاميل «عليك ان تشبكيه بدبوس».

«ليس معي دبوس والإبرة والخيط موجودان في إحدى الحقائب الكبيرة».

ففتحت كاميل حقيبة اليد الخاصة بها مرة ثانية ومن بين محتوياتها كانت توجد نصف دستة من دبابيس الامان الدقيقة الصغيرة.

وقالت كاميل «ها هي. إنني أزود نفسي دائماً بالأدوات اللازمة» واستخرجت دبوساً «أتحبين ان أركبه لك؟». «إذا لم يكن عندك مانع. عيناي اللعينتان. انني لا أتمكن من رؤية أي شيء».

فجذبت كاميل القميص المفكوك لأعلى وطوت نهاية الشريط ودبسته في ثبات مع حافة قميص النوم وقالت «إنه بذلك يكاد يكون على ما يرام. ولكنه على الأقل لا يظهر من تحت الجونلة وهذا علاج مؤقت باستخدام دبوس. هل عانيت دائماً من قصر النظر يا حبيبتي؟».

وقالت ميلدريد «لا. لقد كنت على ما يرام إلى أن وصلت إلى سن الرابعة عشرة تماماً. وقال أحد الأطباء ان ذلك لا علاقة له بسن البلوغ، وقال ان الفتيات يستعدن قوة الابصار عندما ينجبن الأول».

وقالت كاميل «هذا أمر شاق ومرهق».

وقالت ميلدريد «ويسبب لي المضايقات اللعينة. ورغم كثرة النماذج الجديدة للنظارات فإنها كلها غير جميلة المنظر». «ألم تسمعي من قبل عن ذلك النوع من النظارات التي تتلاءم مع العيون مباشرة».

«لقد فكرت في ذلك النوع ولكنني لم أقدم على ذلك. لأنني لا أرغب في أن أجعل أي شيء يلمس عيني فهذا يخيفني» وكانت نورما ما زالت تنظر إلى نفسها في المرأة في دهشة، فقد أصبحت عيناها فجأة أكثر اتساعا وصارت شفتاها أكثر امتلاء ونعومة كما زالت عن وجهها تلك النظرة الفئرانية الخاطئة.

وقالت نورما دون أن توجه كلامها لأحد «أليست هي مدهشة. أليست هي مدهشة حقاً؟».

وقالت كاميل «إنها ستصبح فتاة جميلة عندما تتعلم القليل من الحيل والاساليب وتحصل على شيء من الثقة في نفسها، وسوف نصلح من شأن ذلك الشعر يا حبيبتي بمجرد أن تصل».

وصاحت نورما «هل تقصدين بذلك انك قد درست هذا الموضوع واننا سنحصل على الشقة سوية؟» وراحت تدور وتلف بسرعة حول ميلدريد ثم قالت بانفاس لاهثة «إننا سنحصل على شقة، وستكون لدينا كنبة طويلة من النوع الذي يتحول إلى سرير وفي كل صباح الاحد سنغتسل ونصفف شعرنا».

فقاطعتها كاميل قائلة «سيكون علينا أن نرى كيف تتكشف الأمور. فها نحن الاثنتان بدون وظائف، وهي تتخيل انها قد استأجرت بالفعل شقة تتسع لفردين، تذرعي بالصبر يا حبيبتي».

وقالت ميلدريد «إنها لرحلة غريبة» وأضافت «فنحن بسبيل الذهاب إلى المكسيك، وقد سار كل شيء على غير ما يرام منذ البداية، فأبي كان يزيد مشاهدة الريف ووضع في خطته الاقامة لبعض الوقت في كاليفورنيا ولذلك فضل ان يستقل الأتوبيس إلى لوس أنجلوس حتى يتمكن من مشاهدة الريف بشكل أفضل».

وقالت كاميل «حسناً. يمكنه ذلك».

وقالت ميلدريد «ربما يتمكن من مشاهدة قدر كبير من الريف، ولكن هل سبق لك ان رأيت مجموعة من الناس مثل مجموعتنا هذه؟».

فقالت كاميل «إنهم متشابهون إلى حد ما».

وقالت ميلدريد «إنني معجبة بالمستر شيكوي، ففيه قدر من الدماء

المكسيكية، أما ذلك الولد فإنه قد يهجم عليك إذا لم تأخذي حذرك منه».

وقالت كاميل «أوه، انه على ما يرام. كل ما هنالك انه شهواني بعض الشيء، ومعظم الصبية الصغار لهم نفس هذا الاتجاه، وهو قد يتغلب على هذه الظاهرة».

وقالت ميلدريد «وربما ان يتمكن من التغلب على هذا الاتجاه، هل ألقيت نظرة فاحصة على ذلك الشخص العجوز: فان برانت؟. انه لم يتغلب على تلك الظاهرة للان، فهذا الأمر متأصل في داخله بالفعل، فهو رجل منحرف عقليا بعض الشيء» وابتسمت ميلدريد وقالت «انه عجوز إلى حد ما» وذهبت ميلدريد إلى مكان صغير مخصص للاستجمام وجلست ثم قالت «هناك شيء أريد أن أسألك عنه، ان والدي يظن انه قد شاهدك من قبل في مكان ما، وهو له ذاكرة قوية، ألم يسبق لك رؤيته أبداً؟».

وعلى الفور شاهدت ميلدريد العداء في عيني كاميل، رأت الفم المزموم، وأدركت انها قد أثارت أمراً مؤلما، إلا أن الهدوء ورباطة الجاش عاد إلى وجه كاميل مرة أخرى.

وقالت «لابد انني أشبه فتاة أخرى على ما أظن» وأضافت «انه في هذه المرة قد أخطا اللهم إلا إذا كان قد راني في الشارع في مكان ما».

فتساءلت ميلدريد «هل تقولين هذا الكلام بكل أمانة وصدق؟ انني لا أحاول الآن ان أكشف أمرك. كل ما هنالك انني تعجبت فقط مما حدث».

فانزلقت من الغرفة روح الصداقة والزمالة وضاع الاسترخاء وبدأ الأمر كان رجلاً داخل عندهن. وسددت كاميل النظرات إلى ميلدريد

وقالت لها في برود «انه قد أخطأ في ظنه، ويمكنك أن تأخذي هذا القول بالطريقة التي تريدينها».

وفتح الباب، ودخلت المسز برتشارد، وقالت لميلدريد «أوه، ها أنت هنا، لقد ظننت إنك تتجولين بعيداً».

فقالت ميلدريد «أوه، لقد انقطع شريط من قميص نومي» «حسناً، أسرعي، فقد عاد المستر شيكوي وتدور الآن بعض المناقشات» ثم قالت لنورما التي كانت قد تحركت بعيداً عن الحوض لتفتح لها مكاناً «شكرا لك يا عزيزتي، انني سأقوم فقط بتبليل منديل يدي وأزيل به قدرا من الغبار» ثم قالت موجهة الحديث لميلدريد «لماذا لا تشربين عصير الليمون؟. فتلك المرأة اللطيفة ليس لديها مانع على الإطلاق من أعداده، ولقد قلت لها انها ستكون مشهورة للغاية لو انها قدمت فقط عصير الفواكه الصافي الطبيعي».

وقالت كاميل فجأة «أتمنى الحصول على أي شيء نأكله، فقد بدأت أشعر بالجوع، وأود ان أتناول طعاما جيدا»، فقالت المدام برتشارد «وأنا كذلك».

وقالت كاميل «أرغب في تناول كاوبريا بالمايونيز باردة ومشقوقة دون أن تنقسم لأجزاء، بالإضافة إلى زجاجة بيرة» وقالت مدام برتشارد «لم يسبق لي أن تناولت كاوبريا معدة بتلك الطريقة، ولكني أتمنى تناول سمك عروس البحر المقلي بالطريقة التي تستخدمها والدتي، فقد اعتادت ان تأخذ مقلاة من طراز قديم مصنوعة من الحديد المسبوك ـ والسمك ينبغي أن يكون طازجا للغاية ومشنب بعناية تماماً، وتعمل عجينة من فتات الخبز المحمر البنى اللون، فتات الخبز أو فتات السميط، وتضع ملء ملعقة حساء بأكملها ... لا ـ ملء ملعقتين حساء

من صلصة ورستاير شاير على بيضة مختلطة الصفار مع البياض، وأظن ان ذلك كان هو السر في الطعم اللذيذ».

وقالت ميلدريد «يا ماما، لا داعي لأن تسردي على طريقة أعداد سمك عروس البحر».

فقالت المدام برتشارد: «يحسن بك ان تتناولي عصير الليمون، فهو من شأنه ان ينظف بشرتك، لأن أي رحلة طويلة تصيب الإنسان ببقع على البشرة».

وقالت ميلدريد «أتمنى أن نبدأ في التحرك حتى يمكننا تناول وجبة الغداء في المدينة القادمة، ما اسمها؟».

فقالت نورما «سان جوان دي لاكروز».

فرددت المدام برتشارد في صوت رخيم «سان جوان دي لاكروز. أعتقد ان الكلمات الإسبانية جميلة للغاية».

وقبل ان يخرجن ألقت نورما نظرة طويلة مندهشة على نفسها في المرآة. وأرخت عينيها، انها ستصبح عادة لديها إذا تذكرت ان تفعل ذلك طول الوقت، ولكنها قد غيرت من شكلها تماماً وهي قد أعجبت بذلك وارتاحت له.

الفصل الثالث عشر

جلس جوان على كرسي بدون مسند وكان يشرب البيبسي كولا ويحك الطرف اللامع من إصبعه المبتور على حواف بنطلونه المصنوع من نسيج يشبه القطيفة، وعندما حضرت النساء من المنطقة الخلفية ودخلن المتجر نظر لأعلى نحوهن وتحول الحك بإصبعه إلى طرق.

وتساءل: «هل الجميع موجودون الآن هنا؟» واستطرد «لا. يوجد شخص واحد متغيب، أين المستر فان برانت؟». «إنني هنا» هكذا تكلم فان برانت من خلف الكاونتر في الجانب الخاص بالبقالة حيث كان يفحص الرفوف في تكاسل وكان محتجبا وراء حائط من معلبات القهوة الموضوعية في نظام.

وقال المستر برتشارد «أريد ان أعرف متى سنبدأ في التحرك، إذ ان على أن أجري بعض الاتصالات».

فقال جوان في هدوء «هذا هو ما أريد أن أتحدث عنه، فالكوبري ليس على ما يرام، وربما يمكنني عبورة ولكن هناك كوبري آخر وربما يكون قد تحطم أو بصدد التحطم، فنحن لم نتمكن من الحصول على أية معلومات عنه، فلو وصلنا إلى المنطقة المنحنية من النهر مع تحطم الكوبريين، عندئذ ستكون قد وقعنا في مصيدة لاننا لن نتمكن من إجراء اتصالات، والان، فأنا أرغب في أخذ الاصوات على ذلك وسانفذ أي

قرار نتخذه الغالبية العظمى من المسافرين، أمامي الان: أما ان أسارع بالعبور وآخذ فرصتي قبل أن تقع الكارثة وينهدم الكوبري وأما ان أعود بكم من حيث أتينا وتتخذوا لانفسكم خططا أخرى، عليكم الآن ان تقرروا بانفسكم، ولكني أريد منكم الالتزام بالقرار الذي تتخذونه».

ورفع الزجاجة وراح يشرب البيبسي كولا.

وقال المستر برتشارد «ليس لدى متسع من الوقت، أسمع يا صديقي، انني لم أحصل على أية أجازات منذ أن بدأت الحرب، فقد كنت أقوم بصنع معدات والات الحرب التي حققت لنا النصر، وهذه هي الاجازة الاولي التي أقوم بها، انني فقط ليس لدى متسع من الوقت للتجول في ربوع البلاد جريا وراء التسلية أو الإثارة أو المداعبة، فأنا احتاج للراحة، وليس لدى سوى أسابيع قليلة وهذا التعطيل يستنفدها».

وقال جوان «أسف، انني لم أتعمد ان أفعل ذلك كما تعرف ولو حدث ان احتجزت في منطقة منحنى النهر فانك ستضيع مزيداً من الوقت وقد أفقد أنا الأتوبيس باحتجازه هناك، فالكوبري متهالك إلى درجة الانهيار، وقد ينهار في أية لحظة، ولا يوجد حل آخر سوى العودة من حيث أتينا».

وجاء فان برانت من خلف الحائط المكون من معلبات القهوة المرصوصة فوق بعضها البعض، وكان ممسكا في يده علبة من شرائح الخوخ زنة ٢,٥ رطل، وعبر المتجر متجها إلى المدام بريد وسألها «كم ثمن هذه؟».

«٤٧ سنتاً».

«يا إلهي!. من أجل علبة خوخ؟».

فقالت «إن الربح ثابت كما هو، كل ما هناك ان علينا أن ندفع ثمناً أعلى لشرائها».

فألقى فان برانت نصف دولار في عنف على الكاونتر وقال لها «افتحيها ـ ٤٧ سنتاً من أجل علبة خوخ صغيرة رديئة الصنف!!».

فوضعت المدام بريد العلبة في فتاحة الحائط وأدارت الكرنك وتوقفت عندما أرتفع طرف العلبة، ودفعت بالعلبة عبر الكاونتر إلى فان برانت. فشرب جانبا من العصير دفعة واحدة أولاً ثم مد أصابعه في داخلها واستخرج منها شريحة صفراء وسندها فوق العلبة المفتوحة لتقطر ما بها من سوائل.

وعلق قائلاً: «سمعت الآن كلامك، أتظن ان باستطاعتك ان تضيع وقتنا هباء وسدى، انه ينبغي لي أن أصل إلى دار القضاء بعد ظهر هذا اليوم، ومسألة وصولي تتعلق بمشيئتك وأرادتك، انك سائق في النقل العمومي وخاضع لقواعد وكالة النقل بالسكة الحديد».

وقال جوان «وذلك هو ما أحاول ان افعله، فمن بين قواعد النقل هو الا نقتل المسافرين».

وقال فان برانت «ان السبب هو عدم معرفتك بهذه المنطقة، وينبغي ان يكون هناك قانون ينص على ضرورة معرفتك بالمنطقة قبل أن يسمحوا لك بقيادة الأتوبيس» وألقى بشريحة من الخوخ بسرعة في فمه والتقط شريحة أخرى بين إصبعي السبابة والابهام، فقد كان مستمتعا.

«قلت لنا هناك شيئين فقط نختار فيما بينهما. حسناً، يوجد هناك ثلاثة أمور، فأنت لا تعرف الطريق القديم الذي كان هناك قبل أن يشيدوا هذين الكوبريين اللعينين، والطريق القديم يدور حول المنطقة المنحنية من النهر بشكل ملاصق للحافة الخارجية للمنحنى، وقد اعتادت

مركبات السفر العمومية استخدام ذلك الطريق» ونظر جوان مستفسراً من المستر بريد «لقد سمعت عن هذا الطريق، ولكن ما هي الحالة التي هو عليها؟».

وقال فان برانت «كانت المركبات العمومية تستخدمه منذ ما يزيد على ١٠٠ سنة».

وقال المستر بريد «أعرف عنه انه على ما يرام لمسافة ميلين فقط ولكن لا أعرف شيئاً عنه في المسافات الأخرى البعيدة، وهذا الطريق يرتفع مع جانب الجبل نحو الشرق، هنالك، ويحتمل ان تكون المياه قد اكتسحته فأنا لم أذهب إليه منذ فترة قبل سقوط الأمطار».

وقال فان برانت «الاختيار متروك لك»، ولوح بقطعة من الخوخ وألقى بها في فمه وتحدث من حولها قائلاً: «لقد أخبرتك ان الجو سيمطر، وأخبرتك بأن النهر سيرتفع تبعا لذلك، والآن عندما وقعت في الحيرة والارتباك فانني أخبرك عن طريق الخروج من المأزق، فهل لي أن أقود أتوبيسك اللعين أيضاً؟».

فصرخ جوان «احفظ عليك لسانك، فنحن معنا سيدات». وأمال فان برانت العلبة وشرب البقية الباقية من العصير وشد قطع الخوخ إلى الخارج بأسنانه، وجرى العصير الغليظ القوام إلى أسفل على ذقنه فقام بمسحه بكم قميصه، وقال «يا إلهي، يا لها من رحلة. منذ أن بدأت مباشرة».

وألتفت جوان وواجه المسافرين الآخرين وقال «حسناً، ها هي الرخصة، ان رخصتي تقول انه ينبغي لي أن التزم بالسير على الطريق الرئيسي، وانا لا أعرف الطريق القديم، ولست أدري ما إذا كنت

سأتمكن من عبوره بنجاح أم لا. وأترك لكم مسألة تقرير ما تريدونه، فأنا لا أريد أن يقع على اللوم إذا ما تآخرنا أو أعيق تقدمنا».

وقال المستر برتشارد «إنني أرغب في أن أرى الأمور وقد تم إنجازها، فأنا ينبغي لي الآن ان أصل إلى لوس أنجلوس أيها الرجل، فقد استخرجت تذاكر بالطائرة إلى مكسيكو سيتي، أتعرف كم كلفني؟ وتذاكر الطائرات لا رجوع فيها، وينبغي لينا ان نتخذ قرارا من الآن بالنسبة لهذا الكوبري، أتظن ان الكوبري خطير؟».

فقال جوان «إنه خطير».

فقال المستر برتشارد «حسناً، وأنت تقول إنك لا تعرف ما إذا كنت ستتمكن من السير في الطريق القديم بنجاح»؟.

فقال جوان «هذا صحيح».

فقال المستر برتشارد «إذن أمامك حالتان من المجازفة وحالة واحدة مضمونة، والحالة الواحدة المضمونة لا توصلك للهدف المنشود، همم».

وقالت المدام برتشارد «ماذا تظن يا عزيزي؟ ينبغي لينا ان نفعل شيئاً، فأنا لم أستحم منذ ثلاثة أيام، ينبغي لينا ان نفعل شيئاً يا عزيزي».

وقالت ميلدريد «فلنجرب الطريق القديم، فربما يكون ممتعاً ومسلياً» ونظرت إلى جوان لترى وجهة نظره إزاء ذلك ولكن عينيه كانتا قد تحولتا بالفعل عنها واتجهت إلى كاميل.

وبدافع من العلاقة الجديدة وجدت كاميل نفسها تقول «وأنا أؤيد فكرة السفر بالطريق القديم، ولن يزيدني هذا اتساخا لأنني متسخة للغاية من الآن».

ونظر جوان لأسفل واستيقظت عيناه في حدة عندما شاهد وجه

نورما، فهي لم تكن تشبه نفس الفتاة، وأدركت نورما أنه قد لاحظها، فقالت وهي لاهثة الانفاس: «اختار الطريق القديم».

وعثر أرنست هورتون على كرسي، وهو الكرسي الذي كانت تستخدمه المدام بريد عادة عندما كانت تتورم ساقاها في فترات ما بعد الظهر، وكان يشهد عملية حصر الأصوات.

وقال «إن الأمر لا يهمني كثيراً، وأنا بالطبع أحب أن أصل إلى لوس أنجلوس في أي وقت، وأنا ملتزم بالرأي الذي تجمعون عليه مهما كان هذا الرأي».

ووضع فان برانت العلبة فوق الكاونتر بشدة مما أحدث صوتاً عالياً وقال «انها ستمطر» واستطرد «وذلك الطريق الخلفي سيصير زلقا بشكل مخيف. وربما لا نتمكن من الصعود إلى قمة التل تجاه الشرق، فهذا الجزء شديد الانحدار وزلق، فإذا غصت في الوحل هناك فإنه يتعذر عليك الخروج من الوحل على الإطلاق».

فقالت ميلدريد «ولكنك الشخص الذي اقترح ذلك» فقال فان برانت «إنني فقط أفند جميع الآراء، مجرد العمل على تنسيقها».

فسأله جوان «وما هو الاقتراح الذي تؤيده؟».

«أوه، انني لن أدلي بصوتي مؤيدا أو معارضا أي فكرة، فذلك أسخف شيء سمعته في حياتي على الإطلاق، يبدو لي انه ينبغي للسائق ان يتخذ القرارات شأنه في ذلك شأن قائد السفينة».

وذهب بيميلز إلى الكاونتر الخاص بالحلوى ووضع؟ دايم والتقط اثنتين من الحلوى من نوع «بيبي راث». ووضع أحداهما في جيبه الجانبي على أمل إعطائها لكاميل عندما ينفرد بها وحدها. أما الثانية فراح يفض غلافها في بطء وهبطت فكرة خيالية مثيرة على ذهنه بشكل

فجائي، لتفرض انهم سلكوا طريق الكوبري وفي منتصف عبورهم للكوبري تماماً تحطمت بواكي الكوبري وسقط الأتوبيس إلى قاع النهر؟ سيكون بيميلز قد ألقى به بعيداً ولكن الشقراء ستكون قد وقعت في الفخ في داخل الأتوبيس، وشاهد نفسه وهو يغوص حتى كاد ان يهلك ولكنه تمكن أخيراً من كسر نافذة في الأتوبيس وجذب كاميل إلى الخارج وسبح بها إلى الشاطئ ووضعها وهي مغمى عليها فوق العشب ثانية وراح يدلك لها ساقيها ليعيد إليها الدورة الدموية، بل والافضل من ذلك انه قلبها على وجهها ووضع يديه تحت ثدييها وعمل لها التنفس الصناعي.

ولكن فلنفرض انهم سلكوا الطريق القديم وغاص الأتوبيس في الوحل؟ عندئذ سيكونان هناك على ما يرام ربما بجوار نار مشتعلة، سيكونان سوية ويجلسان سوية أمام النار مع وجود ضوء ساقط على وجهيهما وربما تلقى بطانية عليهما سوية.

وقال بيميلز «أظن ان من الأفضل لنا ان نسلك الطريق القديم» فنظر إليه جوان وابتسم.

«إنك تحمل في داخلك دماء كيت كارسون حقيقة، أليس كذلك يا كيت؟»، وأدرك بيميلز انها كانت نكته ولكنها ليست نكته وضيعة.

«حسناً. أظن ان الأمر كذلك بالنسبة لكل شخص باستثناء واحد فقط لم يدل بصوته. ماذا في الأمر؟ أتريد ان تتمكن من رفع قضية؟».

فاستدار فان برانت نحو الآخرين وقال «انكم جميعا معتوهون، أتدرون ماذا يفعل؟ انه يحمى نفسه، فلو حدث أي شيء لن يقع عليه اللوم، لأنه يمكنه أن يقول انه قد نفذ رغباتكم، لا، لن أمكنه من إيقاعي في الشرك بتلك الطريقة».

ونظف المستر برتشارد نظارته على منديله الأبيض المصنوع من الكتان وقال «إنها فكرة» واستطرد «لم أفكر في هذا الأمر على ذلك النحو تماماً. فنحن فعلا نقوم بالتخلي عن حقوقنا».

فلمعت عينا جوان بالغضب وصار فمه رفيعا ومزموما، وقال «ادخلوا إلى الأتوبيس. سأعود بكم إلى سان بسيدرو وألقي بكم هناك، فأنا أحاول ان انجز لكم الأمور وانتم تتصرفون كما لو كنت أحاول اغتيالكم، هيا، أدخلوا إلى الأتوبيس، لقد سئمت من ذلك فأنا قد قلبت حياتي رأسا على عقب منذ الليلة الماضية من أجل راحتكم، وقد ضقت ذرعا بكم. فهيا إذن، اننا عائدون».

فسار المستر برتشارد نحوه وقال «لا. انني لم أقصد ذلك. انني أقدر ما قمت به ونحن جميعا نقدر ما قمت به، ولقد كنت فقط أحاول التفكير في الموضوع من كافة جوانبه، وذلك هو ما أفعله بالنسبة للأعمال التجارية، حيث لا أقدم على شيء الا بعد تمحيص ينتهي إلى قرار».

فقال جوان مرة أخرى «لقد سئمت من ذلك، لقد حصلتم على فراشي في الليلة الماضية، ولا أريد الآن سوى التخلص منكم».

وقال فان برانت «لا تنس ان أتوبيسك هو الذي تعطل، وهذه ليست غلطتنا».

فقال جوان في هدوء «أغلب الظن انني أريد أن أتخلص منكم».

وقال فان برانت «انتبه لنفسك. لا تنس انك سائق عمومي. وبعد هذه الحالة التي تعتبر انذارا لك لن يكون من الصعب سحب الرخصة منك».

فتغيرت الحالة النفسية لجوان فجأة، وضحك، وقال: «يا أخي انني أرحب بسحب الرخصة حيث سأكون مطلق السراح وبعيدا عن الناس

من أمثالكم، ويمكنني ان أفكر في المكان الذي اختاره لكي أضع فيه تلك الرخصة بعد أن أطويها وأربطها بسلك شائك».

فضحكت كاميل بصوت مرتفع وضحك أرنست هورتون في سعادة ضحكات توحي بالاستخفاف، وقال «علي ان أقول قبل أن انسى: نعم يا سيدي، أسمع يا مستر شيكوي، ان هذين الرجلين دخلا في المجادلات والمناقشات، أما الباقي منا فيريد استئناف السفر. اننا نريد ان نأخذ فرصتنا، لماذا لا تقوم بجر خط على الأرض بحيث من يقف على الخط بعد موافقاً على الذهاب ومن لا يقف عليه يعتبر موافقاً على البقاء هنا، وفي ذلك عدل بما فيه الكفاية».

وقالت ميلدريد «أريد أن أذهب يا مستر شيكوي»، وقال جوان «وهو كذلك، فلنتخذ ذلك الشق الكبير الموجود على الأرض هناك حدا فاصلا، وكل شخص لا يريدني ان أسلك الطريق الخلفي عليه بالانتقال إلى الجانب المزروع بالخضروات».

ولم يتحرك أحد، وأمعن جوان النظر في كل وجه من الوجوه، فقال فان برانت «هذا الاجراء غير قانوني، فلن يعتد به في أي محكمة».

«ما الذي لا يعتد به في المحكمة؟».

«ما تفعله الآن».

«إنه ليس في أي محكمة».

فقال فان برانت «ربما يصل إلى أي محكمة».

فقال جوان «حتى لو كنت تريد المجيء معي فانني لن أسمح لك بذلك».

«إنك تريد فقط ان تبعدني، ولكني قد حصلت على تذكرة ولدي الحق في استخدام الأتوبيس، انك تريد فقط ان تبعدني، سأجعلهم

يطوحون بك بسرعة هائلة تجعل رأسك يدور» فقوس جوان كتفيه وقال «ويمكنك أنت أيضاً الصعود إلى الأتوبيس، أوكي، هيا بنا نبدأ في الرحيل» واستدار نحو المستر بريد وقال له «أيمكنك أن تعيرني بعض الأدوات القليلة؟ وسأحضرها إليك لدى عودتي مباشرة».

«ما نوع الآلات التي تريدها؟».

«أوه، معول وكريك».

«أوه، بكل تأكيد، لكي تستخدمها في حالة تعرقل الأتوبيس؟» «نعم، وهل عندك كتلة من الخشب وآلة لرفع الاثقال؟».

«آلة رفع الاثقال ليست جيدة، أما كتلة الخشب فهي على ما يرام وان كان يوجد بها سلك معدني قديم سمكه نصف بوصة، ولست أدري مقدار الضغوط التي يمكن أن تتحملها، فهذا الأتوبيس ثقيل إلى حد ما».

وقال جوان «حسناً، هذا أفضل من لا شيء» واستطرد: «أليس لديك أي أسلاك معدنية لأشتريها منك الان؟».

فقال بريد «إنني لم أحصل على أية كميات جديدة من أسلاك مانيلا منذ أن بدأت الحرب، ولكني يسعدني ان تأخذ من الأسلاك الموجودة عندي، هيا، خذ لنفسك ما تريد».

وقال جوان «هيا يا كيت. ساعدني. ممكن؟».

وخرج ثلاثتهم من المتجر وساروا إلى المنطقة الخلفية.

وقال أرنست لكاميل «لم يكن ليفوتني هذا. لم يكن ليفوتني هذا لأي سبب من الأسباب».

فقالت كاميل «أتمنى لو كنت غير مرهقة إلى هذا الحد»، واستطردت

«فقد ظللت انتقل بالأتوبيسات منذ خمسة أيام، وأريد ان آخرج من ملابسي واستغرق في نوم عميق لمدة يومين».

«لماذا لم تستقل القطار؟ أقلت انك ذاهبة إلى شيكاغو؟».

«نعم. شيكاغو».

«حسناً. كان باستطاعتك ان تستقلي قطار النوم الرئيسي السريع وتنامى طوال الطريق حتى لوس أنجلوس، فهو قطار مريح».

فقالت كاميل «أردت ان أقتصد قدرا لا بأس به من المال، فلدي كمية محدودة من النقود وأريد ان أمارس الحب في أماكن مختلفة لبضعة أسابيع قبل أن أعود إلى عملي، وأفضل ان يتم ذلك في سرير مزدوج وليس في سرير عربة النوم بالقطار».

«هل نجحت في الفوز بإعجابك؟ وهل انا افهمتك على النحو الصحيح؟».

فقالت كاميل «لا».

«أوكي. أنت سيدة الموقف».

فقالت كاميل «أسمع. لا داعي لأن نلعب مع بعض، فأنا مرهقة للغاية بحيث لا أستطيع أن العب معك لعبة التخمين».

«أوكي، أوكي سألعب بأية طريقة تريدينها».

«حسناً، فلنترك هذا الأمر إلى أن تنتهي الرحلة، هل يهمك ذلك الأمر؟».

فقال أرنست «إنني معجب بك، ويسعدني ان أخذك معي في نزهة بعد أن تستريحي من عناء السفر».

فقالت كاميل «حسناً، سنرى كيف تسير الأمور». لقد كانت معجبة

به، كان باستطاعتها التحدث إليه، وهو قد عرف بعض الاجابات القليلة مما أدى إلى نوع من الارتياح.

وكان نورما قد راحت ترقبهما وتنصت لحديثهما، لقد أصبحت معجبة بكاميل إعجابا شديدا. وأرادت ان تتعلم فقط كيف يتم ذلك. وفجأة أدركت ان عينيها مفتوحة في اتساع مثل عيني الارنب فأرخت من جفنيها العلويين.

وقالت المدام برتشارد «آمل الا أكون بصدد التعرض للصداع أسألهم يا إليوت عما إذا كان لديهم أسبرين، ممكن؟».

فقامت المدام بريد بآخراج كيس سلوفان من كرتونة كبيرة من الورق المقوى وقالت «أتريد واحدة، ثمن الواحدة خمسة سنتات».

وقال المستر برتشارد «يحسن بنا ان نأخذ نصف دستة» «سيكون ثمنها ٢٦ سنتاً شاملة الضريبة».

فقالت المدام برتشارد «لست بحاجة لأن تأخذ كل هذا العدد الكبير يا إليوت، فعندي زجاجة من فئة الخمسمائة موجودة في حقيبتي».

فأجاب عليها «من الأفضل ان يكون لدينا احتياطي من الإسبرين». فقد كان يعرف حالات الصداع التي تتعرض لها، كانت حالات مرعبة، إذ كانت تلوي وجهها وتحولها إلى كتلة من الألم اللاهث المتصبب بالعرق المكشر عن انيابه، كانت الأم صداعها تملأ غرفة بل وتملا منزلا وتنفذ إلى كل شخص حولها، وكان باستطاعة المستر برتشارد ان يشعر بإحدى حالات الصداع التي تتعرض لها لدى نفوذها إليه من خلال الحوائط، كان باستطاعته ان يشعر بها فوق جسده، ولقد قال الطبيب انه لا يوجد هناك شيء يمكن عمله لعلاج ذلك. فكانوا يحقنونها عادة

عندما تكون عصبية المزاج أو عندما لا تسير الأمور على ما يرام دون أن يكون الخطأ من جانبها.

وكان زوجها يتمنى لو استطاع حمايتها، وبدت هذه النوبات من الصداع كان لها طابع الانانية وحب الذات، ومع ذلك فهي لم تكن كذلك، إذ كان الألم حقيقياً، فلا أحد بمقدوره ان يتظاهر بمثل هذا العذاب الاليم، وكان المستر برتشارد يخشى نوبات الصداع هذه أكثر من أي شيء آخر في العالم، فالنوبة الشديدة كان يمكنها ان تجعل المنزل بأكمله يهتز رعبا، وكانت تلك النوبات تشبه الضمير بعض الشيء، إذ لم يستطع المستر برتشارد ان يتخلص مطلقاً من الإحساس بأنه هو السبب في ذلك الصداع على نحو ما على الرغم من المجادلات التي يبذلها لتبرئة نفسه مما حدث، ولم تقل المدام برتشارد أبداً أي شيء من هذا القبيل ولم تشر إلى أن الأمر قد يكون كذلك، وهي في حقيقة الأمر كانت شجاعة للغاية، وكانت تحاول أن تكتم صرخاتها باستخدام الوسادة.

ولم يكن المستر برتشارد يضايقها كثيراً في السرير، وحقيقة الأمر ان ذلك كان يحدث بشكل نادر للغاية، فإنه كان يربط بطريقة غريبة بين حالات الصداع عندها وبين حالات الشبق التي كانت تعتريه من وقت لآخر وتفقده السيطرة على نفسه، ورسخ في ذهنه بشكل عميق ان الأمر كان كذلك ولم يدر كيف غرست تلك الفكرة في ذهنه، ولكنه كان يشعر فعلا بشيء من وخز الضمير، وكان السبب في ذلك هي تلك النزعة البهيمية عنده وشبقه وفقدان السيطرة على نفسه، ولم تكن لديه أية وسيلة لانقاذ نفسه، وكان يجد نفسه في بعض الأحيان كارها لزوجته كرها شديداً بسبب ما يشعر به من تعاسة، فعندما كانت تصاب بالصداع كان يبقى في مكتبه وقتا إضافيا وأحيانا كان يجلس إلى مكتبه لبضعة

ساعات محملقا في المفرش البني اللون بينما جسده يختلج مع الألم الذي تعانيه زوجته.

وهي قد تحاول انقاذه وهي في ذروة نوبة من أسوأ النوبات التي تتعرض لها، فتقول له في أنين «اذهب إلى السينما. اذهب إلى تشارلي جونصون، تناول شيئاً من الويسكي، احتس إلى أن تصبح ثملا. لا تبق هنا. اذهب إلى السينما» فإنه كان من المستحيل ان يفعل ذلك. لم يكن يستطيع ذلك.

ووضع المستر برتشارد الستة أكياس الصغيرة الشفافة في جيب معطفه، وسألها «أترغبين في تناول أثنين الآن، إذا كان الأمر يستدعي؟».

فقالت «لا. أظن انني على وشك التحسن» وابتسمت ابتسامتها الشجاعة الحلوة.

وما ان سمعت ميلدريد أول مرة يذكر فيها كلمة أسبرين حتى ذهبت إلى جانب المتجر وراحت تقرأ القائمة التي توضح الحد الاقصى لسعر البيع المعتمد من الاوبا (مكتب الرقابة على الاسعار)، وكان فمها مزموما بشدة وكان حلقها متوترا. وقالت بهدوء وبصوت منخفض «أوه، أيها السيد المسيح أوه، أيها السيد المسيح. أهي بصدد البدء في ذلك بالفعل؟» ولم تكن ميلدريد تأخذ حالات الصداع على انها شيء حقيقي تماماً، فهي نفسها لم تتعرض أبداً لحالة واحدة من الصداع الشديد، ولكنها تعرضت فقط لحالات من الصداع البسيط التي تجيء على فترات متقطعة وتعرضت لحالات قليلة من الصداع الناجم عن تناول الخمور وهي في المدرسة. وكانت تسمى الصداع الذي تتعرض له والدتها سيكوسوماتي وسيكوتي، وكان خوفها منه يفوق خوف والدها، وعندما

كانت فتاة صغيرة كانت تهرب من نوبات الصداع التي تفاجئ والدتها، إذ كانت تهبط إلى البدروم أو إلى الفراغ خلف الكابينة في غرفة الحياكة، وعادة ما كانوا يجذبونها إلى الخارج ويأخذونها إلى أمها لأن أمها عندما تعاني من الأمُ الصداع تكون بحاجة للحب والتدليل، وكانت ميلدريد تنظر إلى نوبات الصداع على انها لعنة تحل بالإنسان وكانت تكرهها، وكانت تكره أمها عندما تتعرض لتلك النوبات من الصداع.

وكانت ميلدريد قد اعتقدت لفترة من الوقت ان صداع والدتها ما هو الا أدعاء كإذب تماماً. ورغم انها أدركت من خلال الاطلاع والقراءات ان الألم كان حقيقياً فإنها ظلت تنظر إلى حالات الصداع على انها سلاح تستخدمه والدتها بكل دهاء ووحشية، فصحيح ان الصداع كان بسبب الألم لأمها فإنه كان أيضاً يسيطر على الأسرة ويعاقب الأسرة ويقيم الأسرة ويقعدها، فالأشياء التي لا تحبها والدتها لا تتم مطلقاً بحجة انها تسبب الصداع لها، وكانت ميلدريد تعرف ان خوفها من دخول المنزل في وقت يزيد على الساعة الواحدة صباحاً مرجعة إلى تأكدها من ان والدتها قد تتعرض للصداع وآخر ينسى المرء مدى التدمير الذي تحدثه هذه النوبات، وكانت ميلدريد تعتقد ان ما تحتاجه والدتها هو طبيب نفساني، وكانت برنيس على استعداد لعمل أي شيء من أجل ان تشفى من ذلك الصداع، ولكن المستر برتشارد كان يمنع في حزم ذهابها لطبيب نفساني. وقال انه لا يؤمن بالأطباء النفسيين، مع انه في حقيقة الأمر كان يؤمن بهم بل ويؤمن بهم لدرجة كبيرة للغاية إلى الحد الذي جعله يخاف منهم ويخشاهم، هذا بالإضافة إلى أن المستر برتشارد أصبح تدريجيا معتمدا على نوبات الصداع تلك، إذ كانت على نحو ما تبريرا بالنسبة له، كانت عقابا له، كانت تقدم له الخطايا التي تستلزم التكفير عنها، وكان المستر برتشارد بحاجة إلى الخطايا، إذ كانت حياته

في مجال المال والتجارة خالية من الخطايا لأن أعمال القسوة والصرامة في المال والتجارة كانت تحدد وتترك جانبا بهدف تجاهلها من حيث هي أمر يضطر إليه المساهمون ويتحملون مسئووليته، كان المستر برتشارد يحتاج إلى خطايا

ذاتية شخصية ويحتاج للتفكير الذاتى عن تلك الخطايا، ومن هذا كان يستنكر في غضب فكرة الاستعانة بطبيب نفساني.

وأرغمت ميلدريد نفسها على الاستدارة على عقبيها العودة إلى أمها «أنت على ما يرام يا عزيزتي؟».

فقالت برنيس في إشراق «نعم».

«ألا يوجد صداع؟».

فقالت برنيس في شيء من الاعتذار «لقد تعرضت فقط لوخز جعلني أخاف من التعرض لنوبة من الصداع، انني لن أغفر لنفسي أبداً إذا تعرضت لإحدى النوبات الرهيبة وأتلفت بذلك رحلة بابا».

وشعرت ميلدريد برعشة خوف بسيطة من هذه المرأة التي هي أمها ـ خوف من نفوذها ومن قسوة قلبها، لابد ان يكون ذلك عن غير وعي، يجب أن يكون كذلك، وكانت ميلدريد قد رأت وسمعت التبرير لهذه الرحلة إلى المكسيك، فوالدها لم يكن لديه الرغبة في الذهاب إذ كان يفضل قضاء أجازته في المنزل بعيداً عن المكتب وان كان ذلك يعني انه قد يذهب للمكتب يوميا بمعنى ان ذهابه سيكون في أوقات غير منظمة وعودته لن تكون مع ساعة الانصراف من العمل.

ولكن الرحلة للمكسيك قد رسخت في الاذهان كحقيقة واضحة، متى وكيف تم ذلك؟ هذا هو ما لم تعرفه ميلدريد أو والدها، ولكن والدها أصبح تدريجيا مقتنعا بأن الفكرة هي فكرته بل ومقتنعا بأنه هو

الذي يرغم أسرته على الذهاب معه، وقد أعطاه هذا شعوراً ممتعا بأنه سيد البيت وان كلمته هي العليا في منزله، وهو قد سار في الردهات مغلقا الباب وراء الباب في المنزل الذي يشبه التيه، كان الأمر أشبه ما يكون بوكر المصيدة، فالدجاجة تجد ثقبا وتنظر في داخله وترى انه يوجد به قليل من الحبوب وتنفذ من خلال الباب إلى الداخل ـ فيغلق الباب، حسناً، ها هنا يوجد عش، مظلم وهادئ، فلم لا تبيض؟ وتكون بذلك نكتة لطيفة على من ترك ذلك الباب مفتوحاً.

لقد نسى والدها تقريباً انه لم تكن لديه الرغبة في الذهاب إلى المكسيك، كان كل ما برتشارد زوجته يفعل ذلك من أجل ميلدريد: كان ذلك بالفعل هو الأمر السليم، فقد كانت ميلدريد تدرس اللغة الإسبانية في الكلية، وهي لغة لم تتمكن من استيعابها شانها في ذلك شأن القائمين على تدريسها، وقد تكون المكسيك هي المكان المناسب الذي تتمرن فيه على التحدث والمران على اللغة، وقالت والدتها انه لا توجد هناك وسيلة لتعلم لغة مثل التمرن عليها واستخدامها.

ولم يكن باستطاعة ميلدريد وهي تنظر إلى وجه أمها الحلو المنبسط في استرخاء واستجمام ان تصدق ببساطة ان هذه المرأة يمكنها ان تدير أمراً ثم تقوم بعدئذ بإتلافه، لماذا؟

كان من الممكن ان تفعلها، فقد غرست الفكرة، ومن المؤكد انها كانت بصدد الحصول على الصداع، ولكنها قد تنتظر لحين ان تصبح في مكان لا يوجد به أطباء حتى يمكن أن يسبب صداعها أكبر قد ممكن من التأثير، لقد كان أمراً يصعب تصديقه، ولم تعتقد ميلدريد ان أمها كانت تدرك حقيقة ما كانت تفعله، ولكن كانت هناك كتلة كالعجين في صدر

ميلدريد تهبط بثقلها فوق معدتها، لقد كان الصداع آتيا في الطريق، كانت تدرك ذلك.

وشعرت ميلدريد بالغيرة من كاميل، وحسدتها، لأن كاميل فتاة عاهرة، والأمور بالنسبة للفتاة العاهرة أيسر بكثير، فلا يوجد ضمير ولا شعور بالخسران ولا شيء سوى الانانية الغريبة التي تتصف بالاسترخاء والتمطي كالقطة، فباستطاعتها ان تذهب إلى الفراش مع أي شخص تريده ولا تراه بعد ذلك مطلقا، ولا تشعر من وراء ذلك بمشاعر الخسران وعدم الامان، كانت تلك هي حياة كاميل من وجهة نظر ميلدريد، وتمنت ان تعيش نفس هذه الحياة، وكانت تعرف انها لن تستطيع ذلك بسبب وجود أمها، ودخلت إلى ذهنها الفكرة التي لم تدع للدخول ـ لو ان والدتها كانت ميته لأصبحت حياة ميلدريد أكثر بساطة إلى حد بعيد، عندئذ ستتمكن من الحصول على مكان سري صغير تعيش فيه في منطقة ما، وأبعدت هذه الفكرة عن ذهنها بطريقة تكاد تكون غير مستحبة، وقالت لنفسها بأسلوب يتسم بالرسميات «يا له من شيء سخيف أفكر فيه». ولكنه كان حلما يراودها كثيرا.

ونظرت إلى الخارج عبر النافذة الامامية، لقد ساعد بيميلز في وضع الكتلة الخشبية وآلة الرفع في داخل الأتوبيس، وكانت هناك شحوم على سلك «المانيلا» فلوثت بنطلون بيميلز ذا اللون البني الممزوج بلون الشيكولاته، وكان يبذل محاولات لمسح البقع بمنديل يده، وراحت ميلدريد تفكر «مسكين ذلك الصبي، فلربما تكون هذه هي البدلة الوحيدة عنده». وكانت على وشك ان تنصحه بعد مسح البقع فإنها شاهدته وهو يذهب إلى مضخة البنزين ويضع قليلاً من البنزين على منديل يده وينظف البقعة في إتقان.

وبدأ جوان ينادي «هيا بنا، أيها الناس».

الفصل الرابع عشر

وكان الطريق الذي يلف حول منحنى نهر سان يسيدرو قديماً للغاية، فلا أحد كان يعرف متى انشىء، ولقد استخدمت مركبات السفر العمومية هذا الطريق فعلا كما استخدمه الرجال الذين يستعينون بالخيول والدواب في تنقلاتهم. وفي مواسم الجفاف كانت الماشية تساق على ذلك الطريق نحو النهر لكي ترقد تحت ظلال أشجار الصفصاف أثناء الحر القائظ نهارا، ولكي تشرب من الحفر التي تحفر في قاع النهر، وكان ذلك الطريق القديم مجرد شريحة من الأرض الفضاء التي لم يتم إعدادها للزراعة، ولا تميزه عن باقى المساحات المجاورة سوى آثار إطارات السيارات على الأرض وآثار حوافر الخيول وفي موسم الصيف كان يشهد سحابة كثيفة من الغبار عندما تمر عليه إحدى عربات النقل العمومية، أما في الشتاء فكانت تتطاير منه أوحال تشبه المعاجين من تحت حوافر الخيول، وتدريجيا أصبح هذا الطريق مقعرا لأسفل حتى انه صار أكثر انخفاضا من الحقول التي يخترقها مما جعله بمثابة بحيرة طويلة من المياه الراكدة في الشتاء، وعميقة للغاية في بعض الأحيان.

وبعدئذ جاء الرجال ومعهم المحاريث وحفروا الحفر على الجانبين وشيدوا الجسور الترابية تجاه الطريق، وبعد ذلك دخلت الزراعة وأصبحت الماشية لها قيمة كبيرة للغاية حتى ان ملاك الماشية على طول

الطريق أقاموا الأسوار التي تحتجز ماشيتهم في الداخل وتبقى ماشية الآخرين في الخارج.

وكانت الأسوار بمثابة أعمدة مشقوقة من الخشب الأحمر ومثبتة في الأرض، عليها ألواح سميكة من الخشب ١ × ٦ مثبتة بالمسامير على نصف المسافة من أعلى بحيث ترتبط الأعمدة ببعضها البعض، وعلى طول أعإلى الأعمدة كانت توجد أسلاك شائكة من طراز قديم بمثابة شريط، من المعدن الملتوي ذي الشوكات المسنونة المدببة، وتغير لون الأسوار بفعل الشمس والأمطار، فالاعمدة والالواح الخشبية التي هي من الخشب الأحمر تحول لونها إلى رمادي فاتح وأخضر رمادي، ونمت حشائش البحر على الاخشاب وتكونت الطحالب على الأعمدة الأكثر قدما.

وكان الرجال السائرون على أقدامهم والذين تتأجج صدورهم بالعبارات الملهمة يقتربون من الألواح الخشبية وينقشون رسالاتهم عليها. «تب إلى الله، فمملكة السماء في متناول يدك». «أيها المخطئ. ارجع إلى الله سبحانه وتعالى». «لقد أزفت الساعة». «لماذا سيعود هذا الأمر بالخير على أحد الرجال». «أقبل على السيد المسيح». ووضع رجال آخرون لافتات أخرى على السور بالاستعانة بالاستنسل. «مخدرات جاي». «سيروس نوبل». «ويسكي الأطباء»: «محل سان يسيدرو للدراجات». وهذه اللافتات كلها قد تغير لونها فأصبحت معتمة اللون.

وعندما تناقص استخدام الحقول في مجال الرعي وتزايد استخدامها في زراعة القمح والشوفان والشعير بدأ المزارعون يزيلون من حقولهم الحشائش والأعشاب واللفت والخردل الاصفر والخشخاش والنباتات الشائكة والأعشاب الضارة، فاتخذت كل هذه النباتات ملجأ لها في

الحفر المنتشرة بجانب الطريق ووقف نبات الخردل بارتفاع سبعة أقدام مع أوآخر الربيع وشيدت طيور الشحرور المغردة ذات الاجنحة الحمر أعشاشها تحت الزهور الصفر، ونما نبات قرة الماء في الحفر الرطبة.

وأصبحت الحفر الموجودة بجانب الطريق مليئة بالأعشاب النامية العالية وصارت موطنا للعرسات وثعابين الماء الزاهية اللون وبدأت الطيور ترتادها في المساء لتشرب منها، وكانت الفئران تجلس طوال الصباح على الأسوار القديمة في فصل الربيع وتغرد أغنياتها ذات النغمات الحادة المتغيرة، أما الحمام البري فكان يجلس فوق الأسلاك الشائكة في المساء لدى غروب الشمس وقد ترصد أكتافه بجوار الأميال في نغمة متصلة، وفي المساء كانت صقور الليل تجري عبر الحفر باحثة عن اللحوم، ولدى حلول الظلام كانت البومات التي تقيم في الاسطبلات المهجورة تبحث عن الارانب، وإذا تعرضت بقرة للأمراض تجلس الصقور الرومية القبيحة المنظر على السور القديم في انتظار لحظة الموت.

وكان الطريق مهجورا في الغالب، وحتى الاسر القليلة التي كانت لها مزارع في هذه المنطقة لم تعد تستخدم هذا الطريق رغم انه لم يكن هناك طريق آخر سواه، وذات يوم كانت توجد الكثير من الممتلكات الصغيرة مع وجود رجل يعيش بالقرب من فدادينه. مزرعته وراء وأرضه المزروعة بالخضروات توجد تحت نافذة غرفة الجلوس في بيته، ولكن مساحات الأراضي أصبحت الآن ممتدة وشاسعة دون أن يستأجرها أحد وأصبحت المنازل الصغيرة والاسطبلات القديمة تقف بدون نوافذ وصارت رمادية اللون وبدون طلاء.

وعندما حل وقت الظهيرة تكالبت السحب من الجنوب الغربي

وانضمت مع بعضها البعض، وهناك قاعدة تقول انه كلما طالت عملية الاستعداد التي تقوم بها السحب دل ذلك على أن الأمطار ستستمر في الهطول لفترة أطول. ولكن السحب لم تكن قد استكملت استعدادها، إذ كانت هناك بعض المساحات من السماء الزرقاء ومن وقت لآخر كان وميض الشمس يخطف بالابصار لدى انعكاسه على الأرض، وفي إحدى المرات قطعت سحابة طويلة ضوء الشمس إلى أشرطة طويلة مستقيمة.

وكان على جوان ان يسير بأتوبيسه للخلف قليلاً على الطريق الرئيس لكي يصل إلى المدخل المؤدي إلى الطريق القديم، وقبل ان يدخل إلى الطريق القديم أوقف الأتوبيس وهبط منه وصار إلى الأمام وشعر بالوحل الذي يشبه الشحوم تحت قدميه، وتعرف جوان على نوع من الابتهاج في داخله، فقد ظل يبذل المحاولات ليدفع حمولة عربته من الاجساد البشرية إلى اللحاق بأعمالها ومصالحها التي لا تعنيه في شيء ولكنه أحس الآن في داخله بمشاعر سوء النية وتعمد الأذى فقد اختاروا بانفسهم هذا الطريق، وربما يكون طريقا لا بأس به، وكانت لديه نفس مشاعر الابتهاج التي يحس بها الإنسان عندما يكون في إجازة، لقد أرادوا بانفسهم هذا الطريق وليدعهم يحققون ما يريدون انه سيرى ماذا سيفعلون لدى تعطل الأتوبيس بهم. وحفر بإصبع قدمه في الوحل الممزوج بالحصى قبل أن يعود إلى الأتوبيس، وساءل نفسه: ترى ماذا تفعل أليس الان؟. وهو كان يعرف جيداً الأمور التي كانت تفعلها أليس، وهو إذا تعمد تعطيل الأتوبيس فقد يكتفي حينئذ بالسير بعيداً عنه، مجرد السير بعيداً ولا يعود أدراجه على الإطلاق. كانت لديه نفس مشاعر الابتهاج التي يحس بها المرء عندما يكون في إجازة من العمل، وكان وجهه متألقا بالسعادة عندما صعد داخلا إلى الأتوبيس.

وقال في سعادة «لست أدري ما إذا كنا ستتمكن من تحقيق ذلك في هذه الظروف» فشعر المسافرون بشيء من الضيق وحدة المزاج بسبب ارتفاع حالته المعنوية وشعوره بالبهجة.

وجلس المسافرون متكومين في المنطقة الامامية من الأتوبيس بقدر استطاعتهم. إذ شعر كل منهم ان جوان هو حلقة الاتصال الوحيدة بينهم وبين الاستقرار النفسي والعاطفي، ولو انهم عرفوا ما كان يدور في رأسه لأصيبوا بفزع كبير للغاية، وكان هناك ابتهاج وسرور عظيم في أعماق جوان، فأغلق باب الأتوبيس، وضغط بقدمه مرتين على صمام البنزين ليزيد من سرعة موتوره قبل أن يضع أتوبيسه على السرعة المنخفضة، ثم استدار داخلا به إلى الطريق الريفي الموحل.

وكانت السحب قد استعدت للهطول بأمطارها، وأدرك هو ذلك واستطاع ان يرى في الغرب سحابة واحدة تهبط لأسفل، كانت أخذة في التحرك من هناك وقد تتحرك فوق الوادي وتنفجر في شكل نوبة أخرى من نوبات المطر الفجائي الغزير القصير المدى، وصار الضوء مرة أخرى معدني اللون في تداخل واجتياح على نحو يوحي بسقوط المطر العنيف.

فقال فان برانت في إشراق «المطر على وشك الهطول» فقال جوان «يبدو الأمر كذلك» واستدار بأتوبيسه في الطريق، لقد كانت إطارات أتوبيسه تجوس على الطريق بشكل جيد ولكنه ما ان ترك الطريق المرصوف حتى شعر بانزلاق الاطارات قليلاً فوق الاوحال الزلقة وشعر بمؤخرة الأتوبيس تتحرك في جزء من الدائرة، ولكن كانت لتلك الحركة حدود معينة، كان الأتوبيس يتحرك ببطء فوق الطريق فوضع جوان الأتوبيس على السرعة الثانية، ولربما يجعله يسير على تلك السرعة طوال المسافة كلها.

وصاح المستر برتشارد بصوت يعلو على صوت الموتور متسائلا «ما هي مسافة هذه اللفة».

فقال جوان «لست أدري. إذ لم يسبق لي أن سلكت هذا الطريق انهم يقولون ١٣ أو ١٥ ميلا. شيء من هذا القبيل». وانحنى فوق عجلة القيادة ورفع عينيه عن الطريق ونظر نظرة سريعة إلى عذراء جاداليوب في محرابها الصغير على قمة تابلوه آلاته.

ولم يكن جوان رجلا شديد التدين، كان يؤمن بقوة العذراء مثل إيمان الأطفال الصغار بقوة أعمامهم، وكانت العذراء بالنسبة له بمثابة دمية وإله وقطعة لجذب الحظ السعيد بل وتمت له بصلة القرابة، فأمه وهي تلك المرأة الايرلندية كانت قد تزوجت في أسرة العذراء وتقبلت العذراء مثلما تقبلت أم زوجها وجدة زوجها، وأصبحت جادليوبانا بمثابة أسرتها وآلهتها.

وقد نشأ جوان وترعرع مع هذه السيدة العذراء ذات الجونلات الواسعة الواقفة فوق الهلال، وكانت العذراء متواجدة في كل مكان عندما كان صغيراً في السن ـ فوق سريره للإشراف على أحلامه، وفي المطبخ لمراقبة الطعام، وفي الصالة لترعاه لدى دخوله إلى المنزل وخروجه منه وفوق باب الزجوان لكي تنصت إليه أثناء لعبه في الشارع، وكانت في محرابها الجميل الخاص بها في الكنيسة وفي حجرة الدراسة بالمدرسة. وكان ذلك كله لم يكن كافيا لأثبات انها موجودة في كل مكان، إذ كان يرتديها على شكل ميدالية ذهبية صغيرة لها سلسلة ذهبية تلتفت حول عنقه، وهو إذا كان بمقدوره ان يبتعد عن عيني أمه أو أبيه أو أخواته فإنه لا يستطيع الابتعاد عن العذراء لأنها كانت متواجدة معه دائماً، وإذا حاول خداع أقاربه الآخرين أو تضليلهم أو لعب الحيل

عليهم فإن جادليوبانا تدرك كل شيء على أي حال، ولقد كان يعترف لها بكل شيء ولكنه اعتراف شكلي فقط لأنها كانت تعرف كل شيء بأية وسيلة، كانت المسألة أقرب إلى إعادة حصر الدوافع لفعل شيء معين أكثر منها إفشاء أخبار لها، وكان ذلك سخيفا أيضاً لأنها كانت تعرف مقدما الدوافع ولذلك كانت هناك أيضاً تلك التعبيرات على وجهها التي تتمثل في شبه ابتسامة وكانها كانت على وشك ان تنفجر ضاحكة، فهي لم تكن تفهم الموقف فحسب وإنما كانت أيضاً تشعر بالتسلية بعض الشيء، إذ ان جرائم الطفولة المخيفة لم تكن تبدو كأنها تستحق عذاب جهنم، هذا إذا كانت تعبيرات وجهها تحمل أي معني.

ولهذا فقد أحبها جوان منذ طفولته حبا عميقاً ووثق فيها تماماً، وكان والده قد أخبره ان تلك العذراء هي المختصة برعاية ومراقبة المكسيكيين بصفة خاصة، ولذلك فهو عندما كان يشاهد الأطفال الالمان أو الأجانب Coolidge وفي الشواع كان يدرك ان عذراءه لا تبدي أية اهتمامات بهم لأنهم ليسوا مكسيكيين.

وإذا أضفنا إلى هذا ان جوان لم يكن يعتقد فيها بعقله وإنما كان يؤمن بها بكل حاسة من حواسه عندئذ تتكون لديك فكرة عن اتجاهاته نحو سيدتنا العذراء جاداليوب.

وشق الأتوبيس سبيله على الطريق الموحل متحركا في بطء شديد مخلفا وراءه أخاديد عميقة، وتحركت عيناه بسرعة نحو العذراء وقال في ذهنه «أنت تعرفين انني لم أكن سعيداً وتعرفين انني قد بقيت أسير الشراك التي نصبت لي بدافع من إحساسي بالواجب وهو شيء غير طبيعي وغير متأصل في، والآن فأنا على وشك ان أضع قرارا بين يديك: إذ لا يمكنني ان أتحمل مسؤولية الهروب بعيداً عن زوجتي وعن

مشروعي الصغير، عندما كنت أصغر في السن كان باستطاعتي ان افعل ذلك، ولكني الآن كبير في السن وضعيف في قراراتي. ولذلك فأنا أضع هذا الموقف بين يديك، وتواجدي على هذا الطريق ليس من محض اختياري، فقد أجبرت على التواجد هنا بإرادات هؤلاء الناس الذين لا يهتمون بأي شيء من أجلي أو من أجل سلامتي أو سعادتي، وإنما اهتماماتهم تنصب فقط على خططهم الخاصة بهم. بل انهم لم يقع نظرهم علي فأنا مجرد ماكنة لتوصلهم إلى المكان الذي يرغبون في الذهاب إليه، وقد عرضت عليهم أن أعود بهم من حيث جئنا، وأنت قد سمعتني، ومن ثم فأنا الآن أترك المسألة لك وسوف أعرف ما تريدينه، فلو غاص الأتوبيس في الوحل على نحو يجعل العمل العادي يخرجه ويتيح له التقدم في المسير فانني سآخرجه، وإذا كان الحذر العادي سيجعل الأتوبيس في مأمن على الطريق فانني سألتزم بهذا الحرص، ولكن لو كنت ـ جلت حكمتك ـ ترغبين في أن تعطيني دليلا وذلك بأن تجعلي الأتوبيس يسقط في الوحل لمسافة تصل إلى محاور العجل بأن تجعليه ينزلق بعيداً عن الطريق ويهبط في حفرة حيث يتعذر عمل أي شيء لانقإذه عندئذ سأعرف انك توافقين على ما أريد أن أفعله، وبعدئذ سأسير بعيداً ووحيدا، ويمكن لهؤلاء الناس ان يعتنوا بانفسهم».

«سأسير بعيداً وأختفي، لن أعود مطلقاً إلى أليس، سأخلع حياتي القديمة مثل مجموعة من الملابس القديمة، المسألة ترجع إليك».

وأومأ برأسه وابتسم للعذراء، وكانت العذراء تبتسم ابتسامتها البسيطة أيضاً، ، فهي كانت تعرف ماذا سيحدث ولكن لم تكن هناك وسيلة بالطبع لاكتشاف ذلك. لم يكن باستطاعته ان يهرب دون أن يحل به العقاب، إذ كان عليه ان يحصل على موافقة العذراء أولا، كان الاختيار

في يدها بشكل مباشر، ففي حالة شعورها القوي بضرورة عودته لأليس فإنها تجعل الطريق سهلا وتجعل الأتوبيس يمر عليه دون عراقيل، وعندئذ سيعرف انه محكومٌ عليه بأن يعيش مع هذه الإنسانة التي هي في حوزته.

وأخذ نفسا عميقاً إلى داخل رئتيه في نوع من الإثارة ولمعت عيناه واستطاعت ميلدريد ان ترى وجهه في المرآة الداخلية للأتوبيس. وتعجبت من تلك البهجة المخيفة الموجودة في داخل ذهنه والتي جعلت وجهه يشرق على ذلك النحو، واعتقدت بأنه رجل مكتمل الرجولة بمعنى الكلمة وانه بمثابة ذلك النوع من الرجال الذي تريده المرأة المكتملة الانوثة، لأنه لم يكن يرغب في أن يكون على جانب ولو ضئيل جداًمن الانوثة، فهو من النوع الذي يكون راضيا عن جنسه الخاص به وهو من النوع الذي لن يحاول أبداً ان يفهم النساء وذلك في حد ذاته من الأمور المريحة، فهو يكتفي بأن يأخذ ما يريده منهن، وزال عنها اشمئزازها من نفسها وشعرت بالتحسن بعض الشيء من جديد.

وكانت أمها تكتب رسالة أخرى في ذهنها «وهناك كنا على ذلك الطريق الموحل، على بعد أميال من أي مكان، وحتى السائق لم يكن يعرف الطريق، حسناً، كان يمكن أن يحدث أي شيء، أي شيء، لم يظهر في الافق أي منزل. وكان المطر قد أخذ ينهمر».

وكان المطر قد أخذ ينهمر، ليس كرذاذ الصباح ولكنه مطر غزير جارف له ضجة وله طابع إنجاز الأعمال بحيث كان يغطي عدداً كبيراً من الجالونات في الساعة في منطقة معينة، ولم تكن هناك رياح، وكان المطر ينهمر في شكل خطوط مستقيمة وصافية، وأحدث الأتوبيس أزيزا

وصغيرا كما أحدث طرطشة على الطريق المنبسط، وعندما أدار جوان العجلات الامامية قليلاً شعر بنهاية المؤخرة تنزلق بعض الشيء.

وصاح فان برانت «أليس عندك أية سلاسل؟» فقال جوان في سعادة «لا. لم أتمكن من الحصول على أية سلاسل منذ فترة ما قبل الحرب».

فقال فان برانت «لا أظن انك ستوصلنا بنجاح إلى النهاية» واستطرد «انه على ما يرام فوق الطريق المستوي السطح ولكنك بعد فترة قصيرة سنبدأ في الصعود إلى التل» وتحرك تجاه الشرق وتجاه الجبال التي كانوا يزحفون نحوها وصاح موجها الحديث للمسافرين الاخرين.

«إن النهر ينخر في جوف عال، والطريق يسير فوق ذلك الجرف لا أظن اننا سنتقدم بنجاح حتى النهاية».

لقد كان صباحاً مليئاً بالصراعات والضغوط بالنسبة لبيميلز. وعلى كل حال لم تكن هناك لحظات استرخاء كثيرة في حياته إلا أن هذا اليوم بصفة خاصة كان يوماً ممزقا للأعصاب، كان جسده يتأجج بالإثارة، إذ كان بيميلز ممتلئاً بعصارات المراهقة وكانت كل ساعات يقظته وساعات نومه مستغرقة كلها في التفكير في هدف واحد، ولكن ردود الفعل للدافع الاوحد كانت متنوعة للغاية حتى انه كان يجد نفسه في إحدى اللحظات شهوانيا مثل كلب فوق ستارة مسرح العرائس، وفي اللحظة التالية يجد نفسه غارقا في مشاعر كثيفة وأحاسيس مثالية وفي اللحظة التي تليها يعوي ويصب اللعنات على الذات، وعندئذ كان يشعر انه وحيد وانه وحده فقط أكبر مخطئ في العالم، وكان ينظر في أعجاب شديد لضبط النفس الذي يتحلى به جوان والرجال الاخرون الذين يعرفهم.

ومنذ ان وقع بصره على كاميل وهو يشعر بأن ذهنه وجسده من أوله

لآخره في أشد الاشتياق إليها، وانتقل اشتياقه من الصور الشهوانية عن نفسه وعنها إلى رؤيا لنفسه وهو متزوج منها ويعيش معها حياة الاستقرار، وكان يشعرُ في إحدى اللحظات انه يكاد يكون مندفعا بقدر يسمح له بأن يطلب يدها ولكنه في اللحظة التالية لها كان يهبط عليه خجل وارتعاد لدى إلقائها نظرة في اتجاهه.

وقد حاول للمرة الثانية ان يحصل على مقعد بحيث وهو في موقعه الجديد يتمكن من ان يرقبها دون أن يلحظه أحد ولكنه فشل في ذلك مرة أخرى، كان باستطاعته رؤية مؤخرة رأسها ولكنه تمكن من رؤية المنظر الجانبي لوجه نورما، وبذلك استطاع بيميلز في هذا الوقت المتآخر فقط ان يلحظ التغيير الذي طرأ على نورما، وما ان لاحظ هذا التغيير حتى سحب نفساً عميقاً، لم يكن لها نفس الشكل، وأدرك ان المسألة هي مجرد مكياج، لأنه استطاع ان يرى قلم حواجب العيون وأحمر الشفاه من المكان الذي كان يجلس فيه، ولكن ذلك لم يكن هو السبب الذي أدى إلى جريان دمائه ساخنة في معدته، لقد تغيرت أصبح يوجد بها شيء من الانوثة الواعية، وهو أمر لم يكن متواجدا فيها من قبل حتى ان عصارات بيميلز المتوحشة همست في داخله، وهو إذا لم يتمكن ـ وهذا هو ما أدركه فعلا على أعماق قلبه ـ من الحصول على كاميل فلربما استطاع الحصول على نورما، إذ ان خوفه منها لم يكن في مثل خوفه من الآلهة كاميل، وبدون وعي بدأ يضم الخطط للإيقاع بنورما والسيطرة عليها تماماً. وأخذت بثرة جديدة تتكون أمام إذنه اليسرى مباشرة، فقام بهرشها لا شعوريا، فانبثق اللون الأحمر الغاضب من لحمه الفاسد إلى الخارج فوق خده، ونظر خفية إلى ظفر إصبعه الذي قام بهذه المهمة ووضعه في جيبه ونظفه، لقد تسبب في إسالة الدماء على خده، فآخرج منديل يديه ووضعه على وجهه.

وكان المستر برتشارد متضايقا مما قام به من انجازات واتصالات كان هنا أحساس إليم بالمعاناة الدائمة في داخله مما أدى إلى عدم شعوره بالراحة والاسترخاء، فحاول ان يصرف عن نفسه ذلك الإحساس، واستخدم كل الوسائل العادية ليبعد عن نفسه الأفكار غير السارة التي تكدر صفوه، ولكنها لم تأت بالنتيجة المرجوة.

لقد قال أرنست هورتون عن خطة المستر برتشارد انها ابتزاز، كما ان أرنست كان على وشك القول بأنه يظن ان إليوت برتشارد قد يسرق اختراعه عن الغطاء للبدلة الداكنة إذا لم يكن هناك من يرقبه وقد تسبب هذا في بادئ الأمر في إثارة غضب المستر برتشارد فهو رجل له سمعته وهيبته ومركزه، وبعدئذ راح يفكر «نعم إن لي مركزي وسمعتي في المجتمع الخاص بي، ولكنني هنا ليس لدى شيء، فأنا وحيد هنا، وهذا الرجل يظن انني شخص ملتو وغشاش، وليس بمقدوري الآن ان أرسله إلى تشارلي جونصون لكي يوضح له انه مخطئ في رأيه». وقد تسبب هذا في مضايقة المستر برتشارد إلى حد بعيد بل ولقد ذهب أرنست إلى ما هو أبعد من ذلك، فهو قد كشف عن اعتقاده بأن المستر برتشارد قد يوافق على الذهاب إلى شقة مع الشقراوات، انه لم يسبق له ان فعل هذا لشيء في حياته، وكان عليه ان يثبت لأرنست هورتون ان رأيه فيه كان خاطئاً، ولكن كيف يتسنى له ذلك؟

وكانت يد المستر برتشارد فوق ظهر المقعد، وكان أرنست جالساً بمفرده في المقعد الذي يقع خلفه، وكان موتور الأتوبيس المنطلق على السرعة الثانية مرتفع الصوت، وكان جسده القديم يهتز ويتذبذب في ضجة وضوضاء، ولم تكن أمامه سوى وسيلة واحدة هي ان يقدم لأرنست هورتون شيئاً ما، شيئاً ما صريحاً وشريفاً لكي يتأكد بنفسه من ان المستر برتشارد ليس نصّاباً ولا غشاشاً.

وهبطت عليه فكرة مبهمة غير محددة، فاستدار في مقعده وقال «لقد أثار انتباهي ما قلته لي بشأن ما تفعله شركتك بالأفكار التي تصل إليها».

فنظر إليه أرنست في شيء من التسلية، فالرجل يريد شيئاً ما وشك في أن ذلك الصبي العجوز يريد الانغماس في حفله أو حفلتين، إذ كان رئيس أرنست في العمل يستخدم تلك الطريقة، فكان يعبر عن رغبته في عقد المؤتمرات ليلاً وكان ينتهي به الأمر دائماً إلى التواجد في حدى بيوت الدعارة وكان يندهش دائماً من الطريقة التي دفعت به إلى هناك.

وقال أرنست «لقد نشأت بيننا علاقة لطيفة للغاية». وقال المستر برتشارد «إن هذه الفكرة ليست بالشيء الكبير بالنسبة للأفكار الأخرى التي ترد على ذهني، انها مجرد شيء هبط علي، ويمكنك الحصول عليها إذا كنت تريدها وذلك بهدف ان تعود عليك بأي قدر من الخير والمنفعة».

وظل أرنست صامتاً.

فاستطرد المستر برتشارد قائلاً «خذ مثلاً أزرار كم القميص. فأنا الآن أرتدي دائماً أكمام وأزرار القمصان الفرنسية، وإذا قام المرء بضم الاكمام بالازار فإنه يضطر لخلعها قبل أن يخلع القميص وإذا أراد أن يدفع بأكمامه للخلف لكي يتمكن من غسل يديه فإن عليه، يخلع أزرار كم القميص، انه من السهل على المرء ان يضع أزرار أكمام القميص قبل ارتداء القميص ولكنه لا يستطيع أن يدخل فيه يديه، وعندما يرتدي المرء القميص يصعب عليه إدخال أزرار الاكمام في عرواتها، أتفهم ما أعني؟».

فقال أرنست «هناك ذلك النوع الذي يقفل مع بعضه محدثاً صوتاً».

«فعلاً. ولكنه لا يلقى رواجاً بين جماهير الناس، فالمرء دائماً ما يخطئ في التزرير أو يفقد أجزاء منه».

وتوقف الأتوبيس، ثم وضع جوان الأتوبيس على السرعة الاولي واستانف المسير على الفور، وكان هناك ارتجاج شديد عندما اصطدم الأتوبيس في حفرة أثناء المسير وأعقبه اصطدام آخر عندما عبرت العجلات الخلفية عليها، ثم أستانف الأتوبيس سيره في بطء، وانهمرت الأمطار بشدة فوق سطح الأتوبيس محدثة صوتا كالطبول وأحدثت المساحة على الزجاج الأمامي للأتوبيس صوتا كالتزييق وهي تزيل الماء من فوق الزجاج.

واضطجع المستر برتشارد للخلف أكثر في مقعده وجذب كمه لأعلى إلى أن ظهرت أزرار كم القميص المصنوعة من الذهب العادي، وقال «والآن، فلنفرض انه كان هناك زمبرك بدلاً من الازرار أو الشريط المعدني، فعندما تدخل يدك في الكم يتسع الزمبرك، وباستطاعتك ان تدفع بالكم لأعلى لكي تتمكن من غسل يديك وبعدئذ يمكن للزمبرك ان يعود إلى المكان الذي كان عليه». ثم تفحص وجه أرنست عن كثب.

وكانت عينا أرنست شبه مغلقتين في تفكير، وتساءل:

«ولكن ما هو الشكل الذي سيكون عليه؟ ولابد ان يكون زمبرك من الصلب والا فإنه لن يدوم طويلاً».

فقال المستر برتشارد في شغف «لقد فكرت في تلك النقطة جيداً فبالنسبة للوحدات الرخيصة يمكنك طلاء الزمبرك بالذهب أو الفضة أما بالنسبة للوحدات الغالية الثمن مثل الذهب أو البلاتين فإنا تستخدم انبوبة بدلاً من الشريط المعدني، وعندما يكون الزر عند معصمك يكون الزمبرك الصغير قد اختفي في الانبوبة تماماً».

وأومأ أرنست برأسه في بطء وقال «نعم، نعم يا سيدي. ويبدو ان الفكرة جيدة إلى حد ما».

فقال المستر برتشارد «يمكنك أن تأخذ هذه الفكرة، إنني أهبك هذه الفكرة لتصنع منها أي شيء تريده».

فقال أرنست «إن شركتي تركز على نوع مختلف من البدع والأعاجيب، ولكن ربما ـ أستطيع أن أحدثهم عن هذه الفكرة، فأفضل الأشياء التي تباع، للرجال في العالم هي: شفرات الحلاقة أو ماكينات الحلاقة والأقلام وأقلام الرصاص والمجوهرات الشخصية فالشخص الذي لا يكتب خمسة سطور في السنة عنده الاستعداد لأن يشتري قلم حبر به خدعة بسعر يصل إلى ١٥ دولار في أي يوم من الأيام، والمجوهرات؟ نعم يا سيدي إن الفكرة قد تنفع وتأتي بالنتيجة المرجوة، ماذا تريد ان تحصل من ورائها إذا اعتقدوا انها فكرة جيدة؟». فقال المستر برتشارد «لا شيء، لا شيء على الإطلاق، انني أهب الفكرة لك، فأنا أحب ان أساعد أي زميل شاب صاعد في الحياة». وكان قد أخذ يشعر بالتحسن مرة أخرى، ولكن فلنفرض ان الفكرة نجحت وشقت طريقها، وهو الذي أبتكر الفكرة أصلا. فلنفرض انها ربحت مليون دولار. فلنفرض ـ ولكنه قد أعطى وعدا وهو عند وعده وهي كلمة شرف قالها ولن يتراجع عنها، وإذا أراد أرنست ان يعبر عن امتنانه وتقديره فذلك أمر متروك له، وكرر قائلاً: «إنني لا أريد أي شيء».

«حسناً، ذلك شيء لطيف منك للغاية» وآخرج أرنست مفكرة صغيرة من جيبه وكتب بضع كلمات ثم نزع الصفحة التي كتب عليها، وقال «يتعين على في أمور كهذه ان أحصل على تنازل عن الحقوق، وإذا كان عندك وقت فراغ أثناء وجودك في هوليوود فلربما تتمكن من الاتصال

بي وزيارتي حيث يمكننا ان نتحدث سوية في بعض الأعمال التجارية، فلربما نتمكن من القيام ببعض الأعمال». وارتخت عينه اليسرى بعض الشيء عندما قال تلك العبارة وبعدئذ استدارت عيناه واستقرت للحظة على المدام برتشارد، ثم مرر قصاصة الورق إلى المستر برتشارد وقال: «ألوها أرمز، همبستيد ـ ٣٢٥٥ شقة رقم ١٢ ب».

فاحمر وجه المستر برتشارد قليلاً، وآخرج حافظته ووضع فيها القصاصة، ودفع بالقصاصة بعيداً إلى الداخل في مؤخرة الفتحة الضيقة، وهو لم يكن في الحقيقة بحاجة للاحتفاظ بها، كان باستطاعته ان يلقى بها بعيداً مع أول فرصة تلوح له لأنه كان يتمتع بذاكرة قوية، وقد تمضي سنوات قبل أن ينسى رقم التليفون هذا، فقد اشتغل الجهاز في عقله، ذلك الجهاز القديم الموجود في عقله، ثلاثة + اثنين = خمسة وكرر، أما بالنسبة للهمبستيد Hempstead فكلمة همب Hemp معناها الحبل، الحبل الرخيص الاصفر وأنت لا يمكنك أن تستخدم أي شيء بدلاً من الحبل، فقد كان يستخدم مئات من الحيل التي تعينه على التذكر على ذلك النحو، حبل أصفر، حبل أشقر، وتلهفت أصابعه لإلقاء القصاصة بعيداً، إذ كانت برنيس تفتش أحياناً في حافظته بحثا عن التغييرات التي قد تطرأ، وكان هو يشجعها على أن تفعل ذلك، ولكنه شعر بالمخاطر في معدته ـ الشعور........ التمس بأنه قد سمى لصا.

وقال لزوجته «أتشعرين بانك على ما يرام يا فتاتي الصغيرة؟» فقالت «نعم، أظن أنني كافحت لأبعد الصداع عني»، قلت فقط لنفسي «لن أدع الصداع يجيء، لن أدعه يتدخل في شؤون إجازة حبيبي».

وقال المستر برتشارد «إنني مسرور لذلك» واستطردت هي قائلة «ويا عزيزي كيف يتسنى لكم أيها الرجال الحصول على مثل هذه الأفكار؟».

فقال «أوه، الأفكار هي التي تجيء للإنسان، فهذا القميص الجديد ذو العروات الصغيرة هو السبب في ظهور هذه الفكرة، فمنذ أيام قليلة أوقعني في الشرك حتى كنت على وشك ان اطلب المساعدة» وابتسمت، وقالت: «أظن انك لطيف للغاية» فتطاول عليها ووضع يده على ركبتها واعتصر ساقها فصفعت يده في مداعبة وعندئذ رفع يده على الفور.

وأدارت نورما رأسها إلى الحد الذي جعل فمها قريباً من إذن كاميل، وتحدثت بصوت منخفض بقدر المستطاع لأنها كانت تعرف ان بيميلز يحاول استراق السمع، كانت مدركة لنظراته المحملقة وكانت بشكل ما مسرورة من ذلك فهي لم يسبق لها ان شعرت بالثقة في نفسها طوال حياتها مثلما كانت الآن.

وقالت «إنني لم يكن لي في الحقيقة أية أسرة بالمعنى الذي تعرفنيه عن الأسرة»، لقد كانت توقف نفسها وتكشف أمورها أمام كاميل، وكانت تشرح ظروف حياتها وتلقي بالمعلومات عن حياتها، كانت تريد ان تعرف كاميل كل شيء عنها: طريقة حياتها قبل هذا الصباح والطريقة التي كانت عليها بعد هذا الصباح، فذلك من شأنه ان يجعل من كاميل بمثابة أسرة لها ومن شأنه ان يربط هذه المخلوقة الجميلة الواثقة من نفسها بها.

وقالت «عندما تكونين وحيدة فانك تفعلين مثل هذه الأمور الغريبة، فقد اعتدت ان أكذب على الناس، وقد أدعى أشياء وأفعل أشياء كأنها حقيقة واقعة، أتعرفين ما الذي قد أفعله؟ انني قد أصور لنفسي انني زوجة لنجم سينمائي معين».

لقد أفلت منها الزمام، إذ لم تكن تقصد ان تذهب في الحديث إلى

هذا الحد، فأحمر وجهها خجلا، ما كان ينبغي عليها ان تقول ذلك، إذ كان هذا نوعا من الهبوط بمستوى المستر جيبل، ولكنها قامت بفحص هذا وتمحيصه واكتشفت ان الأمر لم يكن كذلك، إذ اكتشفت ان مشاعرها تجاه المستر جيبل لم تكن هي نفس المشاعر التي كانت تكنها له من قبل، إذ تحولت مشاعرها إلى كاميل، وكانت صدمة لها عندما تحققت من ذلك، وتساءلت عما إذا كان مزاجها يتعرض للتغييرات دون سبب واضح.

وفسرت السبب في ذلك «عندما لا يكون للمرء أسرة أو أصدقاء فإنه يوجدهم في خياله بسبب تعذر حصوله عليهم في الحياة الواقعية، ولكننا الآن لو استطعنا الحصول على شقة نسكنها سوية فلن أصنع أي شيء من محض الخيال».

وأدارت كاميل وجهها بعيداً لكي لا تشاهد التعري في عيني نورما، لكي لا ترى ما هي عليه من انعدام الحيلة والعجز التام، وراحت كاميل تفكر «أوه، يا إلهي، لأي شيء أدخلت انا نفسي في هذه الورطة؟ لقد وقعت مع طفلة صغيرة، لقد اندفعت وتورطت في هذا، كيف حدث هذا الأمر؟ انني مضطرة لأن أقوم على رعايتها وأعيش الحياة التي تتلاءم معها، ولربما بسبب لي هذا بعد فترة وجيزة الضيق والمتاعب، سأكون قد قطعت شوطا طويلاً معها بحيث يصعب على الخروج من هذه الورطة، آه، لو ان لورين تخلصت من رجل الاعلانات ذلك بحيث نتمكن من الحياة سوية مرة أخرى، ماذا انا فاعلة مع هذه الفتاة؟ كيف بدأت العلاقة معها؟ كيف بحق الجحيم تورطت في هذا؟».

والتفتت نحو نورما وقالت لها في وضوح قاطع: «أسمعي، يا حبيبتي، انني لم أقل اننا سنفعل ذلك، ولكني قلت باننا سنرى كيف

تسير الأمور، كما ان هناك أمورا كثيرة لا تعرفينها عني، منها مثلاً انني مخطوبة وبصدد الزواج، ومن رأي خطيبي ان يتم الزواج في وقت قريب بعض الشيء، فلو أراد هو ان يتم ذلك الآن فانني لن أتمكن من الاستمرار معك».

ورأت كاميل اليأس يدب في عيني نورما مثل الرعب البارد، وشاهدت تهدل خديها وفمها، ورأت كيف ان عضلات كتفيها وذراعيها أخذت في الانهيار، وقالت كاميل لنفسها «يمكنني الحصول على غرفة في المدينة القادمة وأختبئ فيها إلى أن تضيع منى هذه الفتاة، ويمكنني ان أجبرها على أن تذهب بعيداً وتتركني وشاني، ويمكنني ـ أوه، أيها السيد المسيح، كيف سمحت لنفسي بالوقوع في هذه الورطة؟ انني في غاية الإرهاق والتعب، انني بحاجة لأن أخذ حمام ساخناً».

ثم قالت بصوت مرتفع «لا تأخذي الأمور بمثل هذه الصعوبة يا حبيبتي، فلربما لا يكون خطيبي مستعدا، ولربما تسير الأمور على النحو الذي تريدينه يا حبيبتي، اننا سنرى كيف تسير الأمور».

وأطبقت نورما على شفتيها بشدة وأغمضت عينيها بعض الشيء، وراح رأسها يهتز مع اهتزازات الأتوبيس، ولم ترغب كاميل في النظر إليها، وبعد فترة من الوقت استطاعت نورما ان تسيطر على مشاعرها، وقالت في هدوء: «ربما أنت خجولة مني، لن ألومك على ذلك، فأنا مجرد خادمة، ولكنك لو قمت بتعليمي فلربما أتمكن من ان أصبح ممرضة للأسنان مثلك، فبأستطاعتي ان أدرس طوال الليالي وأعمل في نفس الوقت كخادمة في النهار، ولكنني أستطيع تحقيق ذلك، وعندئذ لن تشعري بالخجل مني، لن تجدي مشقة كبرى في مساعدتي».

وشعرت كاميل بموجة عارمة من الغثيان في معدتها: «أوه، الله قدير

على كل شيء، انني الآن في ورطة حقيقية، ماذا أقول لها أأقول لها كذبة أخرى؟ هل من الأفضل ان أقول لهذه الفتاة بكل صراحة الأعمال التي أفعلها لكي أكسب قوت يومي؟ أو ان ذلك من شأنه ان يجعل الأمور تزداد سوءا؟ فذلك قد يسبب لها صدمة تجعلها غير راغبة في اتخاذي صديقة لها، ربما يكون ذلك هو أفضل أجراء، لا، أظن ان أفضل الحلول هو مجرد ان أفقدها في الزحام».

وكانت نورما تقول «أحب ان أحصل على ما تسمينه بالوظيفة التي تتطلب من الإنسان الذي يشغلها قدرا من الاحترام والوقار مثلك».

فقالت كاميل في يأس «انظري يا حبيبتي، انني مرهقة للغاية حتى انني لا اقوى على مجرد التفكير، فأنا على سفر منذ أيام وبلغت حداً من الاعياء جعلني غير قادرة على التفكير في أي شيء، إننا سنرى فقط كيف تسير الأمور».

وقالت نورما «إنني آسفة، لقد شعرت بمجرد الإثارة فتسببت نفسي، ولن أتكلم في هذا الأمر بعد ذلك، اننا سنرى كيف تسير الأمور».

وقالت كاميل «نعم، سنرى كيف تسير الأمور»، واهتز الأتوبيس متوقفا، لقد كانوا يقتربون آنئذٍ من سفوح الجبال، وكانت موجات عظيمة من الأراضي الخضر تبدو معتمة المنظر من خلال الأمطار، ونهض جوان بعض الشيء لينظر لأسفل نحو مجرى الطريق، فشاهد حفرة على الطريق، حفرة مليئة بالمياه ولا توحي بمدى عمقها، ربما يختفي فيها الأتوبيس تماماً إذا وقع فيها، فنظر بسرعة إلى العذراء وقال لها هامسا: «هل لي أن آخذ فرصتي؟» وكانت عجلات أتوبيسه عند حافة بركة المياه، وابتسم، ووضع الأتوبيس في حالة التعشيق المعكوس وتراجع به للخلف لمسافة ٢٠ قدماً.

فقال فان برانت «هل ستحاول الخوض فيها؟ إنك ستغرز في الوحل».

وتحركت شفتا جوان في صمت وخمس قائلاً: «يا صديقي العزيز لو كنت فقط تدري، لو كان جميع الباقين منكم يدركون»، ووضع الأتوبيس على السرعة الاولي وجرى نحو بركة الماء فتدافعت المياه بعيداً في صوت كالفحيح، ودخلت العجلات الخلفية إلى الحفرة، وان زلق الأتوبيس وغاص وراحت العجلات الخلفية تلف وتدور وأخذ الموتور يزأر، ودفعت العجلات الاخذة في الدوران جسد الأتوبيس المليء بالطين والازيز عبر البركة في بطء ودفعته في انزلاق نحو الجانب الاخر، ووضع جوان التروس على التعشيق الثاني، وزحف.

وقال من فوق كتفه موجها الكلام لفان برانت «كان ينبغي أن يكون هذا ممزوجا بالحصى الصغير». فقال فان برانت في تشاؤم «حسناً، عليك بالانتظار لحين البدء في صعود التل».

فقال جوان «انك تضع أشياء كثيرة في الطريق أمام الرجل الذي يريد ان يشق سبيله».

وبدأ الطريق في الصعود ولم تعد المياه تعترض سبيله، وكانت الحفرة على طول الجوانب تجرى بالمياه، وانزلقت عجلات الدفع الخاصة بالأتوبيس وتمخضت في العجيج، وعرف جوان فجأة ما الذي سيفعله إذا أرتطم الأتوبيس، انه كان قد وضع في خطته ان يذهب إلى لوس أنجلوس ويحصل على عمل كسائق لعربة لوري ولكنه لن يفعل ذلك، انه يحمل في جيبه خمسين دولاراً من أجل الانفاق على إصلاح الأتوبيس إذا تعطل فجأة، وقد يكون ذلك المبلغ كافياً، فهو قد يسير بعيداً ولكن ليس لمسافة بعيدة للغاية، وهو قد يحتمي تحت مكان

مغطى مسقوف لحين توقف الأمطار بل وربما ينام في مكان ما، أما بالنسبة للطعام فيمكنه ان يأخذ واحدة من تلك الفطائر، وبعد ان يحصل على قدر من الراحة يسير على الطريق الرئيسي ويستقل إحدى السيارات وذلك بالتوسل إلى سائقها ثم ينتظر بعدئذ عند إحدى محطات خدمة السيارات إلى أن يلتقطه أي شخص ثم بعد ذلك يشير لإحدى السيارات بإبهامه لكي تتوقف وتوصله إلى سان دياجو، وعندئذ يذهب عبر الحدود إلى تيجوانا، وقد يكون الجو لطيفا هناك وقد ينام على الشاطئ ليومين أو ثلاثة أيام، ولن يضايقه رجال الحدود هناك، فهو على هذا الجانب يقول لهم انه أمريكي وعلى الجانب الآخر يقول لهم انه مكسيكي.

وعندما يكون مستعدا بعدئذ فإنه قد يخرج من المدينة وربما يركب مواصلة أو قد يسير فقط عبر التلال وبجوار الجداول الصغيرة ربما لمسافة بعيدة تصل إلى سانتو توماس وهناك قد ينتظر لحين وصول عربة البريد وربما في سانتو توماس يشتري قدرا من الخمور ثم يدفع أجرة الركوب في عربة البريد وبعدئذ قد يذهب جنوبا إلى شبه الجزيرة عن طريق سان كوينتين مارا بخليج بالبناس، وقد يستغرق ذلك أسبوعين عبر الصخور والصحراء التي تكثر بها النباتات الشوكية وبعدئذ يعبرها إلى لاباز، ويجب عليه ان يحرص على أن تتبقى بعض الأموال معه، فهو في لاباز قد يستقل قاربا ليمر به عبر الخليج إلى جوايماس أو مازاتلان بل وحتى إلى أكابالكو، وهو قد يجد في أي مكان من تلك الأماكن سياحا، وعددهم في أكابالكو يفوق عددهم في جوايماس أو في مازلتان، وطالما ان هناك سياحا يتخبطون فيما حولهم في استخدامات اللغة الإسبانية في دولة أجنبية فسيكون جوان على ما يرام، وهو قد يشق طريقه تدريجيا حتى يصل إلى مكسيكو سيتي حيث يوجد بها السياح

الحقيقيون، وهناك يمكنه العمل في مجال أرشاد السياح الأجانب والرحلات السياحية وتوجد طرق عديدة للحصول على النقود، وهو لن يحتاج للكثير منها.

وضحك لنفسه في فتور، لماذا بحق السماء قد لازم هذا المكان طوال تلك الفترة، وكان حرا طليقا، كان باستطاعته ان يفعل أي شيء يطيب له، وليدعهم يبحثون عنه، وهو قد يرى تعليقا صحيفا عما حدث مكتوبا في صحف لوس أنجلوس، قد يظنون انه مات وقد يقومون بالبحث عن جثته، وأليس قد تقيم الدنيا وتقعدها لبعض الوقت، وقد يعطيها هذا إحساسا هائلا بالاهمية، انه باستطاعة عدد كبير من الناس في المكسيك ان يطبخون الفول والبقول، وهو قد يضطجع مع واحدة من تلك النساء الأمريكيات في مكسيكو سيتي اللائي يعشن هناك للتهرب من دفع الضرائب، وكان جوان يدرك ان منظره يجذب النساء بما فيه الكفاية إذا ما توفر لديه عدد قليل من الحلل المناسبة، لماذا بحق الجحيم لم يعد إلى بلاده من قبل؟.

وكان باستطاعته ان يشم رائحة المكسيك في انفه، ولم يستطع ان يفكر في السبب الذي جعله لم يفعل ذلك من قبل، وما العمل بالنسبة للمسافرين؟ فليدعهم يعتنون بانفسهم، فهم لم يبتعدوا كثيراً عن الطريق المرصوف لقد اعتادوا كثيراً على إلقاء متاعبهم على كواهل الناس الآخرين حتى انهم نسوا كيف يعتنون بانفسهم، وقد يكون في هذا الاجراء منفعة لهم، وكان باستطاعة جوان ان يعتني بنفسه، وهو كان بصدد البدء في الاعتناء بنفسه بالفعل، إذ كان يعيش حياة سخيفة تتمثل في نقل الفطائر من مدينة لأخرى، حسناً، لقد انتهي كل ذلك.

ونظر لأعلى في خفية نحو الجودالويانا، وقال في همس «سأحافظ

على وعدي، سأعبر بهم الطريق إذا كنت تريدين منى ذلك، ولكني حتى بعد أن أوصلهم إلى أهدافهم فإني قد أسير بعيداً».

واستغرق ذهنه في مشاهد عن تلال منطقة كإليفورنيا السفلي التي تغمرها الشمس الحارقة وعن الحرارة اللاسعة في سونورا وهواء الصباح البارد فوق هضبة المكسيك الممزوج برائحة حزم الصنوبر في الاكواخ ورائحة الفشار الناتج عن تحمير الكعك المكسيكى المصنوع من القمح، وهبط عليه الحنين للوطن كشيء يشبه الإثارة اللذيذة، مذاق البرتقال الطازج وحرقان الفلفل الأحمر الحار، ماذا كان يفعل في هذه الدولة بعيداً عن وطنه؟ انه لم يكن ينتمي للمنطقة هنا.

ودارت عجلة السنين للخلف، فرأي وسمع وشم رائحة مكسيكو سيتي فوق الطريق الريفي المليء بالاوحال والطين، كما سمع أصوات الحديث السريع والثرثرة في الاسواق وصباح الببغاوات في الحدائق وشجار الخنازير في الشوارع وشاهد الازهار والاسماك الباب والفتيات السهروات الصغيرات اللائي ترتدين ملابسهن الزرق المتواضعة التي تسمى ملابس «الريبوزو»، وقد أدهشه انه كان قد نسي كل ذلك لفترة طويلة، وتعجب من ذلك الفخ المجنون الذي أبقاه أسيرا في أمريكا، وشعر فجأة بنفاد الصبر والتلهف على الذهاب بعيداً لماذا لم يضغط فقط بطريقة فجائية عنيفة على الفرامل ويفتح الباب ويسير بعيداً تحت وابل المطر عندئذ كان سيشاهد وجوههم الغبية وهي تنظر خلفه ويسمع تعليقاتهم الغاضبة الهائجة.

وكان النهر يقترب من التلال انئذ، جالبا معه أشجار الصفصاف التي توضح حدوده، وكان الطريق يروغ من جانب لآخر بعيداً عن النهر، وكان المطر قد أخذ يتضاءل تدريجيا، ومن الطريق استطاع المسافرون

ان يشاهدوا المياه ذات اللون الاصفر الفاتح وهي تدور في حوض النهر العريض جاذبة خطوطا من الزبد القذر في طبقات ملتوية، وإلى الأمام كان الطريق يصعد إلى فوق التلال، وعند القمة كانت توجد شريحة من الصخور الصفراء اللون، وكان الطريق يجرى أمامها، وعند نفس قمة الشريحة الصفراء كانت توجد كلمة واحدة مكتوبة بحروف غير واضحة «التوبة Repent»ولابد ان أجد الناس المتهورون المتحمسين قد تكبد المشاق الخطيرة إلى أن كتبها هنالك بالطلاء الأسود، ومع مرور السنين والأيام أصبحت حروف هذه الكلمة غير واضحة.

وفي الصخرة المتكونة من الحجر الرملي كانت توجد كهوف صنعتها الرياح وحفرتها الحيوانات، وكانت تلك الكهوف تبدو كالعيون السود التي تحملق وتطل من الصخرة الصفراء.

وكانت الأسوار هنا قوية بعض الشيء، وبين الأعشاب المنتشرة فوق المرتفعات كانت الأبقار الحمر تقف داكنة ومبللة بينما بعضها قد ولدت بالفعل عجلاتها الصغيرة التي تولد عادة في فصل الربيع، وإدارت الأبقار الحمر رؤوسها في بطء وراحت ترقب الأتوبيس وهو يطحن الأرض بالقرب منها وجرت بقرة واحدة عجوز بلهاء بعيداً في فزع وهلع وراحت تركل برجليها وتقفز لأعلى كما لو كان ذلك سيبعد الأتوبيس عنها.

وكان مجرى الطريق قد تغير، إذ بدأ الحصى يظهر فوق الطريق مما جعل الأتوبيس يسير بشكل أفضل، وراح الأتوبيس يضرب ويهتز فوق الحصى المغطى بمياه الأمطار بدون أن تنزلق العجلات عن الطريق وتجبره على أن ينفذ الوعد الذي أخذه على نفسه؟ ستكون لعبة قذرة وخدعة غير مقبولة، وبدون إشارة من السماء لم يعرف جوان ماذا

يفعل، واتخذ الطريق انحناءة طويلة حول مزرعة قديمة وبعدئذ تصاعد في اتجاه الصخرة في جد وتصميم.

وضع جوان الأتوبيس على السرعة المنخفضة مرة أخرى فخرجت كمية من البخار من انبوبة الانسياب وتكومت أمام خزان التبريد، وكانت المنطقة العليا على الطريق تقع مباشرة أمام الصخرة ذات الكهوف المظلمة، وزاد جوان من سرعة موتوره وهو يكاد يكون غاضبا، فتتناثر الحصى من تحت العجلات، وكان يوجد مكان به حفرة محشوة ومسدودة بحيث كانت المياه وأعالي التربة تنساب منها عبر الطريق، فزاد جوان من سرعته في اتجاه هذه الحفرة السوداء فعبرت عليها العجلات الامامية للأتوبيس أما العجلات الخلفية فراحت تدور وتلف في الوحل والطين بدون جدوى، وتحركت نهاية المؤخرة في التواء ودارت العجلات واستقر طرف المؤخرة في الحفرة.

فظهرت على وجه جوان ابتسامة متوحشة، وزاد من سرعة موتوره فحفرت العجلات إلى مسافات أعمق وأعمق، وعكس جوان اتجاه الأتوبيس وأدار عجلاته فحفرت العجلات في دورانها حفرة لنفسها واستقر الدفرنسية على الأرض، وأبطأ جوان من سرعة موتوره، واستطاع جوان ان يرى بيميلز في المرأة الداخلية للأتوبيس ناظرا إليه في دهشة.

وكان جوان قد نسي ان بيميلز قد يعرف، وكان فم بيميلز مفتوحا، إذ كانت معلومات جوان في القيادة أفضل من ذلك، فأنت عندما تجيء إلى مكان رخو لا تجعل العجلات تلف وتدور، واستطاع جوان ان يرى التساؤلات في عيني بيميلز، لماذا فعل هو ذلك؟ انه ليس غبيا إلى هذا الحد، وتلاقى مع عيني بيميلز في المرآة، وكل ما تراءى له هو ان يغمز

له بعينه بطريقة سرية، ولكنه شاهد نوعا من الارتياح يهبط على وجه بيميلز، ولو كانت تلك خطة فلا مانع عنده من ذلك، لو كان هناك شيء وراء هذا العمل فلا مانع لدى بيميلز، وبعدئذ خطر على ذهن بيميلز فكرة مخيفة، فلنفرض ان كاميل هي الهدف من وراء ذلك، لو كان جوان يرغب في كاميل لن يكون لبيميلز فرصة مع كاميل، فهو لم يكن ليتنافس مع جوان.

وكان الأتوبيس يقف بزاوية حادة، كانت عجلاته الخلفية مدفونة وطرفه الأمامي يقف عالياً فوق الطريق، كان الأتوبيس «حبيبه القلب» في وقفته يشبه البقة العرجاء، ثم حل وجه فان برانت محل وجه بيميلز في المرآة، كان فان برانت أحمر اللون غاضبا وقطع إصبعه البادي العظام الهواء تحت أنف جوان.

وصاح «إذن فقد عملتها وحجزتنا هنا ومنعتنا من الوصول لأعمالنا، كنت أعرف انك ستعملها، قسما بالله كنت أعرف انك ستعملها!! كيف يتسنى لي الآن الذهاب إلى دار القضاء؟ كيف ستتمكن من اخراجنا من هذه الورطة؟».

وبظهر يده القى جوان بإصبع فان برانت جانبا، وقال «أبعد إصبعك عن وجهي، انني مشمئز منك، والآن أرجع إلى مقعدك».

وترنحت عينا فان برانت الغاضبتين، وأدرك فجأة ان هذا الرجل كان فاقد السيطرة على نفسه، إذ لم يكن خائفاً من لجنة السكك الحديدية أو من أي شخص، وتراجع فان برانت بعض الشيء وجلس فوق المقعد المائل بزاوية.

وأدار جوان مفتاح التشغيل إلى اليسار فتوقف الموتور تماماً، وكان المطر يطقطق ويفرقع على سطح الأتوبيس، وطرق جوان براحتي يديه

على عجلة القيادة لفترة قصيرة ثم استدار في مقعده وواجه المسافرين قائلاً «حسناً، ان ذلك ينهي الموقف».

وحملقوا في اتجاهه وقد صدموا من هول المفاجأة، وقال المستر برتشارد في هدوء «ألا يمكنك آخراجنا من هذه الوهدة؟».

فقال جوان «إنني لم ألق نظرة للآن».

«ولكن يبدو لي أننا على عمق بعض الشيء، ماذا أنت فاعل؟» فقال جوان «لست أدري» وأراد ان يرى وجه أرنست هورتون ليرى ما إذا كان قد عرف ان المسألة قد تمت عمدا، ولكن أرنست كان متواريا خلف نورما، ولم تظهر كاميل أي انفعالات على الإطلاق، فهي قد انتظرت لفترات طويلة للغاية بحيث لم تعد تشعر انها نافذة الصبر.

وقال جوان «أجلسوا في ثبات» وجذب نفسه متعدلا داخل الأتوبيس المائل بزاوية بسبب وقوفه على مؤخرته ودفع بعتلة الباب، وأحدث القفل الخاص بالباب صوتا كالتكتكة ولكن الباب مغلقا بواسطة الزمبرك ولم يفتح، فوقف جوان ووضع قدمه على الباب ودفعه فانفتح، واستطاعوا ان يسمعوا خفيف المطر على الطريق وعلى الأعشاب، وخطى جوان خارجاً إلى المطر وسار نحو مؤخرة الأتوبيس، وشعر بالمطر بارداً فوق رأسه.

لقد أدى عملاً متقناً، وربما يتطلب الأمر استخدام عربة جذب الحطام بل واستخدام جرار لكي يخرج الأتوبيس من وهدته، وانحنى لأسفل ونظر تحت الأتوبيس ليفحص شيئاً كان يعرفه من قبل، إذ كانت محاور العجل والدفرنسييه راقدة على الأرض، ومن خلال النوافذ المغلقة كان المسافرون ينظرون للخارج بوجوههم المعوجة بسبب الزجاج المبلل بالمطر، واعتدل جوان في وقفته وتسلق عائداً للأتوبيس.

«حسناً، أيها الناس، أظن انكم ستضطرون فقط للانتظار، انني آسف، ولا تنسوا انكم جميعا أردتم ان تسلكوا هذا الطريق».

فقال فان برانت «أنا لم أرد ذلك».

فالتفت جوان نحوه وقال «لعن الله ذلك، آخرج نفسك من هذا الموضوع، لا تدفع بي للجنون، انني الآن على وشك الجنون».

وأدرك فان برانت ان جوان كان يقصد ما يقول، نظر لأسفل نحو يديه وضغط على بشرته المتحركة فوق مفاصل أصول الأصابع وحك يده اليسرى مع يده اليمنى، وجلس جوان بالعرض في مقعد القيادة، ورفرفت عيناه فوق العذراء، وأسر بأفكاره إليها «وهو كذلك، إذن فأنا لجأت للغش والخداع بقدر ضئيل، ليس بقدر كبير وإنما بقدر ضئيل، وأظن ان عندك الآن من المبررات ما يدعك تجعلين الأمر غير مريح بالنسبة لي بعض الشيء»، ثم قال بصوت مرتفع «إنني مضطر فقط للسير للأمام لكي اتصل تليفونيا وابلغ عن تحطم السيارة، سأطلب منهم ان يرسلوا سيارة تاكسى لكم أيها الناس ولن يستغرق ذلك وقتا طويلاً للغاية».

وتكلم فان برانت في شيء من ضبط النفس «لا يوجد هناك مكان على مسافة الأميال الاربعة القادمة، وعلى مسافة ميل واحد يوجد منزل هاوكنز القديم ولكنه يقف خاوياً لا يسكنه أحد منذ أن استولى عليه بنك أمريكا، وسيكون عليك أن تذهب إلى طريق الولاية وهو على بعد أربعة أميال كاملة».

وقال جوان «حسناً، إذ كان عليّ أن أذهب فينبغي أن أذهب، ولن أحصل الا على تبليل نفسي بالماء تماماً».

واندفع بيميلز في مشاعر الحب والصداقة وقال «سأذهب انا، أنت تبقى هنا، دعني أذهب أنا».

وقال جوان «لا، إنه يوم أجازتك» وضحك واستطرد قائلاً «عليك فقط بالتمتع به يا كيت»، ومد يده إلى تابلوه الآلات وفتح صندوق القفاز بالمفتاح ثم فتح الباب الصغير وقال «يوجد هنا بعض الويسكي للطوارئ».

وتوقف قليلاً، أينبغي عليه ان يأخذ المسدس ـ وهو مسدس جيد ماركة سميت وأسون عيار ٤٥ له ماسورة ٦ بوصات؟ قد يكون من العار ان يترك مسدسه، ولكنه إذا أخذه معه فقد يسبب له ذلك المتاعب أيضاً، فلو وقع في أي نوع من المتاعب سيكون المسدس في غير صالحه، وقرر ان يترك المسدس: فإذا كان هو بصدد ان يترك زوجته فمن المؤكد ان باستطاعته ان يترك مسدسه، وقال في استخفاف «إذا تعرضتم لهجوم النمور فيوجد هنا مسدس».

وقال كاميل «أنا جائعة».

وابتسم لها جوان وقال «خذي هذه المفاتيح وافتحي الحقيبة الخلفية للأتوبيس، فهناك توجد كمية من الفطائر» وابتسم ليميلز وقال «لا تأكل جميع الفطائر يا بني، والآن عليك بالانتظار هنا في الأتوبيس أو يمكنك آخراج القماش المشمع من الخلف وتضعه على الأرض في تلك الكهوف إذا أردت ذلك، بل وفي استطاعتك ان تشعل نارا في داخل الكهوف إذا وجدت أي أخشاب جافة، وسأعمل على إرسال سيارة لكم بأسرع ما يمكن».

وقال بيميلز «أود ان أذهب أنا بدلاً منك» فقال جوان «لا، عليك بالبقاء هنا ومراعاة الأشياء والانتباه لها»، وشاهد وميضا من السرور

والابتهاج على وجه بيميلز، وزرر جوان جاكتته بأحكام فوق صدره وقال «عليكم فقط بالالتزام بالهدوء والإحجام عن أي عمل» ثم هبط الدرج خارجاً من الأتوبيس.

ونزل بيميلز هابطاً وراءه، وتبع جوان خطوات قليلة إلى أن التفت جوان ووقف في انتظاره، فقال بيميلز في أدب جم «مستر شيكوي، ما الذي خطر على ذهنك؟».

«على ذهني أنا؟».

«نعم، إنك ـ حسناً، إنك أدرت العجلات».

فوضع جوان يده على كتف بيميلز وقال «اسمع يا كيت، سأخبرك بالأمر في وقت ما، عليك فقط بالبقاء هنا تنفيذا لرغبتي، ممكن؟».

«حسناً، أكيد يا مستر شيكوي، ولكني فقط أود أن أعرف السبب».

فقال جوان «سأخبرك بكل شيء عن هذا الموضوع عندما تتاح لنا فرصة للانفراد قليلاً مع بعض، عليك فقط ان تحول دون اقتتال هؤلاء الناس مع بعضهم البعض لفترة وجيزة، ممكن؟».

فقال بيميلز في قلق «حسناً، بالتأكيد، كم من الوقت فيما تظن سينقضي قبل أن تعود؟».

وقال جوان وقد بدا عليه نفاد الصبر «لست أدري، كيف يمكن لي أن أخبرك بذلك، عليك أن تفعل ما أقوله لك».

فقال بيميلز «أوه، أكيد، بالتأكيد».

وقال جوان «وعليك بتناول جميع الفطائر التي تريدها» «ولكن سيكون علينا ان ندفع ثمنها يا مستر شيكوي» وقال جوان «أكيد» ثم سار خطوات مبتعداً على الطريق تحت المطر، وكان يدرك ان بيميلز يتابعه

بنظراته وكان يعرف ان بيميلز قد أحس بشيء ما، وأدرك بيميلز ان جوان بدأ يفر هاربا، ولم يشعر جوان بالارتياح لذلك في تلك اللحظة، إذ شعر ان مشاعره لم تكن على النحو الذي تخيله لها، ولم يبد على الموقف ان له طابع الخير أو السرور أو البهجة أو الحرية، فتوقف عن المسير ونظر إلى الخلف، وكان بيميلز في تلك اللحظات يصعد داخلا إلى الأتوبيس.

وكان الطريق يمر بالقرب من الصخرة ذات الكهوف الحجرية المتآكلة، وانحرف جوان عن الطريق ودخل إلى مأوى الكهوف لبعض الوقت، وكانت الكهوف ونتوءاتها أكبر مما كانت تبدو من الخارج، كما انها كانت جافة أيضاً بعض الشيء، وأمام المدخل المؤدى إلى أكبر الكهوف كانت توجد ثلاثة أحجار قد علاها السواد بفعل النيران وكانت توجد أيضاً علبة مهشمة من الصفيح، فقفل جوان راجعا إلى الطريق واستمر في المسير.

وكان المطر قد أخذ يتناقص تدريجيا، وعلى يمينه أسفل التل استطاع ان يرى المنحنى العظيم للنهر وكيف انه كان يلف ويدور ويعود رأسا عبر الوادي مخترقا المساحات الخضر المبللة بمياه الأمطار، وكانت المنطقة كلها مبللة للغاية، وكانت هناك رائحة صدا تملاء الهواء ناجمة عن تخمر الجذوع السميكة الخضر، وكان الطريق أمامه بسيطا بفعل طرق الأمطار عليه لا بفعل عجلات السيارات، إذ لم تسر عليه سيارات منذ فترة طويلة.

وأحنى جوان رأسه تحت المطر، وزاد من سرعة مشيته، لم يكن الأمر حسناً للغاية، وحاول ان يتذكر حرارة الشمس الشديدة في المكسيك والفتيات الصغيرات في ملابسهن «الريبوزو» الزرقاء ورائحة

طهو وأعداد الفول، ولكن بدلاً من ذلك ظهرت صورة أليس في ذهنه، أليس وهي تنظر إلى الخارج من الباب ذي الشاشات، وتذكر غرفة النوم بستائرها المزدان ة المزركشة بالازهار، إذ كانت ترغب في أن تبدو الأشياء جميلة، كانت تحب الأشياء الجميلة، ومفرش السرير الذي أصبح مفرش أفغانستاني عملاق قد اشتغلت فيه بالابرة بنفسها في شكل مربعات صغيرة، ولا يوجد اثنان من المربعات من لون واحد، وهي قد قالت ان باستطاعتها الحصول على مائة دولار ثمنا له، وهي قد حاكت كل قطعة فيه بنفسها.

ثم فكر في الأشجار الضخمة، وكيف انه من الأمور اللطيفة ان يرقد في بانيو مليئ بالماء الساخن في غرفة الحمام وهي أول غرفة حمام أمكنه امتلاكها خارج الفنادق، وكانت هناك دائماً قطعة من الصابون لها رائحة عطرية، فقال لنفسه «إنها مجرد عادة لعينة، إنها مجرد مصيدة لعينة، إنك تعتاد على شيء معين ثم تظن أنك تحب هذا الشيء، إنني سأتغلب على هذا الأمر بنفس الطريقة التي أتغلب بها على الانفلونزا، ومن المؤكد ان ذلك سيكون مؤلماً بالنسبة لي، فسوف أشعر بالقلق على أليس والأسف عليها وسوف أتهم نفسي لكوني السبب في ما حدث، ولربما لا أستطيع أن أنام نوما هادئا. ولكنني سأتغلب على كل ذلك، وبعد فترة وجيزة لن أفكر في ذلك الأمر، فالمسألة لا تعدو ان تكون مجرد فخ لعين، ثم قفز أمامه وجه بيميلز دافئاً ومليئاً بالثقة والاطمئنان سأخبرك فيما بعد، سأخبرك بكل شيء عن هذا الموضوع يا كيت كارسون، فليس هناك عدد كبير من الناس ممن وثقوا في جوان بتلك الطريقة».

وحاول ان يفكر في البحيرة في «كابالا» فشاهد فوق مياهها الشاحبة الهادئة أتوبيسه «حبيبة القلب» وقد هبط نصفه لأسفل في الوحل.

وإلى الأمام أسفل التل من جهة اليسار وفي تجويف سفوح الجبال شاهد منزلا واستطبلا وطاحونة هواء ذات انصال مكسورة ومتدلية، ربما كان ذلك هو المكان القديم التابع لال هاوكنز، وكان يفكر في تلك اللحظة في الترتيبات التي سيتخذها لنيل قسط من الراحة، وفكر في الدخول إلى المنزل ولكنه غير رأيه وفضل الدخول إلى الإسطبل، فالاسطبل القديم يكون عادة أكثر نظافة من المنزل القديم، فمن المؤكد ان الإسطبل يوجد به القليل من الأعشاب الجافة والغش بحيث يمكن لجوان ان يزحف إلى هناك وينام، وهو قد لا يفكر في أي شيء، وقد ينام إلى أن يجيء مثل هذا الوقت من اليوم التالي وبعدئذ قد يسير إلى طريق الولاية هناك يصطاد سيارة لتوصيله، وماذا يهم المسافرين سواء، بقي معهم أم لا؟ «إنهم لن يهلكوا، لن يتسبب ذلك في إلحاق الضرر بهم على الإطلاق، بل سيكون ذلك شيء حسن بالنسبة لهم، ومع كل فذلك ليس من شاني بأي حال من الأحوال».

وأسرع الخطى هابطاً التل ومتجها نحو مكان هاوكنز القديم، انهم قد يبحثون عنه، وقد تظن أليس انه قد أغتيل وقد تستدعي العمدة لمساعدتها، إذ لم يكن أحد يظن انه قد هرب بهذه الطريقة، وذلك هو ما جعل الأمر نكتة لطيفة إلى هذا الحد، فلا أحد كان يظن انه يمكن أن يفعل ذلك، حسناً، انه سيريهم ذلك، فيصل إلى سان دياجو ويعبر الحدود ويصطاد عربة البريد لتوصله إلى لاباز، ولربما تستدعي أليس رجال البوليس للبحث عنه.

وتوقف عن السير ونظر للخلف على الطريق، لقد كانت آثار أقدامه على الأرض واضحة بما فيه الكفاية، ولكن ربما تقوم الأمطار بإزالتها، باستطاعته ان يخفي آثار أقدامه إذا ما أراد ذلك، وحاد عن الطريق متجها إلى الداخل نحو منزل آل هاوكنز.

وكان المنزل القديم قد تحول إلى انقاض بسرعة كبيرة منذ أن هجره سكانه، إذ ان زمرة من الصبية الجائلين قاموا بكسر النوافذ وسرقوا الانابيب المصنوعة من الرصاص ولحام الرصاص، وسرعان ما تخبطت وتدافعت الأبواب مع بعضها البعض وانخلعت عن المفاصل التي تمسك بها، وجذبت لأسفل أوراق الحوائط الداكنة القديمة تحت وطأة الرياح التي تسوقها الأمطار فظهرت تحتها أوراق من الجرائد القديمة بها صور كاريكاتورية عتيقة: «الجد الماكر كالثعلب»، «نيمو الصغير»، «الأفاق السعيد»، «براون المفلس المشاغب» وكان الافاقون الجائلون قد وصلوا إلى ذلك المكان وخلفوا وراءهم قمامتهم وزبالتهم وحرقوا إطارات الأبواب في المدفأة السوداء القديمة، وكانت رائحة الهجر والرطوبة والمرارة تهيمن على المكان، ونظر جوان إلى المدخل ثم عبر إلى الداخل وشم رائحة المنزل المهجور وخرج من الباب الخلفي متجها نحو الإسطبل.

وكان سور الحظيرة مهدما وكان الباب الضخم مخلوعا من مكانه ولكن الهواء كان متجددا في داخل الإسطبل، وكانت مرابط الخيول مصقولة ولامعة في الأماكن التي تحك الخيول نفسها على الخشب، وكانت الأركان مليئة بخيوط العنكبوت، وبين نوافذ السماد كانت صناديق الشموع بفرشاتها البالية ومحكات الخيول التي يعلوها الصدأ مازالت موجودة، وفوق مشجب بجوار الباب كانت تتدلى ياقة قديمة وخطاف رقابية خاص بالخيول ومجموعة من الحبال والسلاسل التي تستخدم في جذب الأشياء، وكان جلد الياقة مشقوقا وقد برز منها الحشو الداخلي.

ولم يكن للإسطبل «سندرة»، وكان الجزء الأوسط كله من الإسطبل قد استخدم في تخزين الدريس والحشائش الجافة، وسار جوان حتى

نهاية آخر مربط للخيول، كان الجو معتما في الداخل، وكان ضوء السماء ينفذ من خلال الشروخ والكسور في السقف، وكانت الأرضية مغطاة بقش قصير مكفهر اللون بفعل الزمن كما كانت مغطاة برائحة خفيفة من الزناخة والعفن، واستطاع جوان ان يسمع لدى وقوفه دون حراك في المدخل صراخ الفئران واستطاع ان يشم رائحة مستعمرات الفئران، ومن فوق عرق خشب مائل من السقف كانت بومتان في لون الكريم تنظران لأسفل نحو جوان ثم أغلقتا عيونهما الصفر مرة أخرى.

وكانت كمية الأمطار قد تناقصت حتى انه لم يعد هناك سوى رذإذ خفيف فوق السطح، وذهب جوان إلى أحد الأركان في الإسطبل وأزاح بقدمه طبقة علوية من القش مليئة بالاتربة، وجلس ثم استلقى على ظهره ووضع يديه تحت رأسه، وكان الإسطبل يعج بأصوات سرية ضعيفة ولكن جوان كان يشعر بالتعب الشديد وكانت أعصابه تؤلمه وتؤخزه وأحس بالوضاعة والامتهان وانه ليس على ما يرام، واعتقد انه إذا استغرق في النوم فقد يشعر بالتحسن.

وهو منذ فترة قصيرة عندما كان متواجدا بالأتوبيس كان يشعر مقدما بمشاعر متفجرة من بهجة الحرية بلغت حد القمة، ولكن الأمر لم يعد كذلك، إذ أخذ يشعر بالتعاسة، كان كتفاه يؤلمانه، وما ان مدد جسده في استرخاء حتى شعر انه لا يميل للنوم، وساءل نفسه في تعجب: «ألن أشعر أبداً بالسعادة؟ الا يوجد هناك أي شيء أفعله؟» وحاول ان يتذكر لحظات السعادة التي مرت عليه في الأزمنة الماضية والتي اتسمت بالبهجة الصافية التي لا تشوبها شائبة فقفزت إلى ذهنه صور قليلة ضئيلة الاهمية، كان هناك صباح في وقت مبكر للغاية مع لفحة هواء بارد بينما الشمس تبزغ من وراء الجبال وطيور قليلة رمادية تحجل في طريق

موصل، ولم يكن هناك ما يدعو للبهجة والسرور إلا أن البهجة كانت هناك في داخل أعماقه.

وشيء آخر، كان الوقت في المساء، وكان هناك حصان مشرق يحك عنقه الجميل على سور بينما طائر من نوع السمان يطلق أصوات لجذب الانتباه علاوة على ترامي أصوات مياه متساقطة في مكان ما وتلاحقت انفاسه في إثارة بمجرد ان تذكر ذلك.

شيء آخر، لقد ركب في عربة كارو قديمة مع ابنة عمه ذات يوم، وكانت أكبر منه سنا، ولم يكن بمقدوره ان يتذكر الشكل الذي كانت عليه، وجعل الحصان الذي يجر العربة لدى مشاهدته قطعة من الورق فسقطت أبنة عمه عليه ومدت يدها وهي تحاول أن تعتدل في جلستها فلمست يدها ساقه فتفجرت البهجة في معدته وتأجج ذهنه بالسعادة والمتعة.

وشيء آخر، كان واقفاً في منتصف الليل في كاتدرائية عظيمة معتمة بينما كانت هناك رائحة وقبال قوية غريبة تؤلم انفه، وكان يمسك في يده شمعة صغيرة هزيلة مربوطة بها فيونكة حريرية بيضاء بشكل يغطي نصف المسافة لأعلى، وجاءت همهمة الجمهور الحلوة بطريقة تشبه الحلم من مسافة بعيدة عند المحراب العالي، وهنا اقتربت منه مشاعر النوم المحببة للنفس وهبطت عليه.

فارتخت عضلات جوان وأخذته سنة من النوم بين قش الإسطبل المهجور، وأحست الفئران المتهيبة خوفا بنومه فخرجت من تحت القش وراحت تلعب في نشاط وحركة، وكان المطر حينئذ يهمس في هدوء فوق سطح الإسطبل.

الفصل الخامس عشر

وراقب المسافرون جوان وهو يسير بعيداً ويختفي عبر حافة التل، ولم يتكلموا ولا حتى عندما صعد بيميلز عائداً إلى داخل الأتوبيس متخذا مكانه في مقعد السائق، وكانت المقاعد مائلة فحاول كل فرد من المسافرين ان يريح نفسه في جلسته.

وأخيراً تساءل المستر برتشارد طارحاً السؤال بوجه عام «كم من الوقت سيلزمه لكي يحضر سيارة إلى هنا فيما تظنون؟».

وحك فان برانت يده اليسرى في عصبية، «ربما لا يمكنني توقع عودته في خلال ثلاث ساعات، فهو عليه ان يسير لمسافة أربعة أميال. وحتى لو أمكنه الحصول على سيارة للخروج معه لهذه المهمة فإن الأمر يستلزم ساعة للاستعداد قبل البدء في التحرك ثم ساعة للوصول إلى هنا، هذا في حالة إذا وافق أحد على المجيء بالمرة فأنا لست واثقا من ان أي شخص سيوافق على المجيء على هذا الطريق، كان ينبغي لنا ان نسير معه ونلتقط سيارة عند طريق الولاية لتوصلنا».

فقال المستر برتشارد «لا يمكننا عمل ذلك، فنحن معنا جميع حقائبنا».

وقالت المدام برتشارد «إنني فضلت الالتزام بالصمت عندما جاءتك هذه الفكرة المجنونة، يا إليوت وفضلا عن ذلك فإنها أجازتك».

وكانت لديها الرغبة في أن تشرح للمسافرين الآخرين كيف ان اناسا لهم المركز المرموق الذي يتمتع به آل برتشارد تحتم عليهم أن يجدوا انفسهم على أتوبيس ـ تحتم عليهم أن يضعوا انفسهم في طريق هذا النوع من الأمور، وذهبت في تقديراتها إلى انهم لابد وان يكونوا في دهشة من أمرهم، ثم التفتت ووجهت الحديث لهم «لقد ابتدائنا رحلتنا على قطار، قطار ممتاز من مدينة سان فرنسيسكو، قطار سريع ومريح للغاية وثمن التذكرة عليها أجرة إضافية، وبعدئذ جاءت لزوجي الغريب الاطوار هذه الفكرة المجنونة باستخدام الأتوبيس، حيث اعتقد انه قد يرى الريف بشكل أفضل إذا استخدم الأتوبيس».

فقال زوجها في مرارة «حسناً، ها نحن نشاهد الريف أيتها الفتاة الصغيرة».

واستطردت هي قائلة «وقال زوج انه قد ظل بعيداً عن المجتمعات لفترة طويلة، وأراد ان يعرف الأمور التي تحدث فيها الناس، الناس الحقيقيون» وكانت نزعة خفية من الحقد وتعمد الأذى تزحف في داخلها: «وكان في رأيي ان ذلك أمر سخيف، ولكن الاجازة أجازته، فهو الذي قد عمل بكل جد واجتهاد من أجل المجهود الحربي، والزوجات لم تكن أمامهن الكثير من الأعمال، مجرد أعداد الطعام ولا شيء غير ذلك، ونحن لم نتذوق البلوبيف مرة واحدة خلال شهرين. لا شيء سوى الدواجن».

ونظر المستر برتشارد إلى زوجته في شيء من الدهشة، إذ لم تكن معتادة على أظهار هذه الحدة في صوتها، فأحدث هذا تأثير سيئاً عليه وفجأة وجد مشاعر الغضب تتصاعد بوحشية في داخله وقال «إنني لم أرغب على الإطلاق في المجيء إذ كان باستطاعتي الحصول على راحة

حقيقية بأن ألعب قدراً يسيراً من الجولف وأنام في سريري الخاص بي فأنا لم أرغب أبداً في المجيء».

وكان المسافرون الاخرون يرقبون الموقف في شغف واهتمام وحب استطلاع، إذ كان الضجر والملل محدقا بهم ولربما كان هذا حسناً، وكان غضب هذين الاثنين قد أخذ يملأ الأتوبيس.

وقالت ميلدريد «ماما، بابا، توقفا عن هذا» فقال المستر برتشارد «لا تتدخلي في هذا الأمر، انني لم أرغب في المجيء، لم أرغب على الإطلاق، فأنا أكره الدول الاجنبية... وخاصة الدول القذرة منها».

وانضغط فم المدام برتشارد في شحوب، وكانت عيناها باردتين وفي غير اكتراث، وقالت «ان هذا الوقت مناسب تخبرني فيه بذلك» واستطردت «فمن الذي أعد جميع الخطط للرحلة، ومن الذي اشترى جميع تذاكر السفر؟ ومن الذي وضعنا في هذا الأتوبيس الذي تعطل بنا في مكان غير قريب من أي موقع؟ من الذي فعل كل ذلك؟ هل انا الذي فعلت ذلك؟».

وصرخت ميلدريد «ماما!!» إذ لم يسبق لها ان سمعت مثل هذه النغمة في صوت امها من قبل.

وتغير صوت المدام برتشارد فجأة وهيى تقول «يبدو هذا أمراً غريباً، انني أبذل كل ما في جهدي، وهذه الرحلة ـ عندما تدفع كل نفقاتها سوف تتكلف ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ دولار ولو انك لم ترغب في المجيئ لكنت قد تمكنت من بناء بيت نباتات الاركيديا الذي رغبت فيه منذ فترة طويلة للغاية، مجرد بيت لنبات الاركيديا بسيط وصغير، ولقد قلت لي أن بناء هذا البيت أثناء الحرب لن يكون مثلاً طيبا ولكن الحرب انتهت الآن ونحن نخرج في رحلة لم ترغب في القيام بها، حسناً، فأنت الآن

قد أضعت علي فرصة بناء هذا البيت أيضاً وأفسدت الأمر علي، فلن أتمكن من الاستمتاع بمثل هذا البيت، انك تفسد كل شيء، كل شيء» وغطت عينيها بيديها.

فوقفت ميلدريد وقالت «كفي عن هذا يا أمي، كفي عن هذا في الحال يا أمي».

وتأوهت المدام برتشارد قليلاً.

فقالت ميلدريد «إذا لم تكفي عن هذا سأسير بعيداً». وقالت المدام برتشارد «اذهبي بعيداً، أوه، اذهبي بعيداً، أنت لا تفهمين أي شيء».

وتجمد وجه ميلدريد، والتقطت معطفها المصنوع من القماش الجبردين وارتدته، وقالت «سأسير إلى طريق الولاية».

فقال فان برانت «إنه على مسافة أربعة أميال، انك ستتلفين حذاءك».

فقالت ميلدريد «إنني أجيد المشي» وكانت مضطرة للخروج لأن كراهيتها لأمها كانت تتصاعد في داخلها وتسبب لها الغثيان.

وكان منديل المدام برتشارد قد خرج فملأت رائحة اللافاندر جميع أرجاء الأتوبيس.

وقالت ميلدريد في غلظة «استجمعي قواك وتمالكي نفسك فأنا أعرف مقدما الشيء الذي ستفعلينه، انك ستحصلين على الصداع وتنزلين العقاب بنا جميعا، فأنا أعرفك، حالة من حالات الصداع الكاذب الذي تدعينه» ثم استطردت في شر مستطير «إنني سأبقى هنا لأشاهدك فأنت تدعين الصداع دون أن يكشف أمرك أحد».

وكان بيميلز يرقب الموقف وهو مفتون في انبهار، وكان يتنفس عن طريق فمه.

نظرت المدام برتشارد لأعلى نحو ابنتها في رعب: «يا إلهي، انك لا تعتقدين في ذلك».

فقالت ميدريد «لقد بدأت اعتقد في ذلك، فتلك الحالات من الصداع تأتي في أوقات لها مناسباتها تماماً».

وقال المستر برتشارد «كفي عن هذا يا ميلدريد».

«ساستمر في ذلك».

«ميلدريد، انني أرفض ذلك».

فاستدارت ابنته بسرعة نحوه وقالت «أرفض، ودعها تجدف في حقك!!» وزررت معطفها فوق صدرها.

ومد المستر برتشارد يده «ميلدريد، أرجوك يا عزيزتي» فقالت لقد حصلت على ما فيه الكفاية، انني بحاجة للتريض. «وسارت خارجة من الأتوبيس وانطلقت بسرعة بعيداً».

وصاحت المدام برتشارد «إليوت، إليوت، أوقفها، لا تدعها تذهب».

فربت على ذراعها «والآن يا فتاتي الصغيرة انها ستكون على ما يرام، إننا فقط متوترون وحادو الطباع، نحن جميعا».

وتؤهت «أوه، إليوت، لو استطعت فقط ان استلقي على الأرض، أريد فقط الحصول على شيء من الراحة، انها تظن ان حالات الصداع التي أتعرض لها ليست حقيقة، إليوت، إنني سأقتل نفسي إذا كانت هي تعتقد فعلا في ذلك، أود، أريد فقط ان اضطجع واتمدد لأريح جسدي».

فقال بيميلز «يا ماما، لدينا بعض القماش المشمع في الجزء الخلفي من الأتوبيس، وتستخدم هذا المشمع في تغطية الأمتعة عندما نضعها

فوق سطح الأتوبيس، فإذا أخذ زوجك واحداً من هذا المشمع لوضعه في ذلك الكهف، عندئذ يمكنك أن تستلقي على الأرض هناك».

فقال المستر برتشارد «حقاً، انها لفكرة مدهشة» وتساءلت «أنام أنا فوق الأرض القديم الرطبة؟ لا»، «لا، فوق المشمع، باستطاعتي ان أهيئ لك سريراً صغيراً حلو لفتاة صغيرة حلوة».

فقالت «حسناً لست أدري».

فأصر قائلاً «انظري يا عزيزتي، انظري، انني سأطوي معطفي وعليك فقط ان تضعي رأسك عليه هناك، والآن سأذهب إلى هناك وبعد برهة قصيرة سأحضر وآخذك إلى السرير الصغير الخاص بك».

وبكت.

«وتريحين رأسك فوق الوسادة وتغلقين عينيك» وقال بيميلز «لقد قال لي المستر شيكوي أن أخرج الفطائر إذا شعر أي شخص بالجوع، يوجد أربع فطائر لها رائحة جميلة وهي أيضاً لذيذة بعض الشيء، يمكنني ان أتناول قطعة منها الآن».

وقال المستر برتشارد «دعنا نخرج ذلك المشمع أولاً، فزوجتي تشعر بالارهاق والتعب، فهي تقريباً في نهاية قواها، وأرجو ان تساعدني في أعداد سريرها، ممكن؟».

وقال بيميلز «وهو كذلك» وشعر انه يتصرف على ما يرام في غياب جوان، وشعر انه في حالة طيبة للغاية وانه مبتهج للغاية، ودلت وقفته على حالته النفسية، إذ كان كتفاه مقصوعين للخلف وكانت عيناه الشاحبتان ذات اللون الاصفر المائل للسواد مشرقتين ومليئتين بالثقة، شيء واحد فقط كان يكدر صفو بيميلز، كان يتمنى لو كان عنده شيء من الادراك السليم بحيث يلقى زوجا من الاحذية القديمة داخل

الأتوبيس، إذ كان من المتوقع من يأخذ حذاءه الاكسفورد ذا الطراز الحديث علقة ساخنة بسبب الطين مما يضطره إلى بذل مجهود كبير لتنظيفه بفرشاة الأسنان، ولم يكن باستطاعته ان يبدو حريصا للغاية على حذائه لأن ذلك من شأنه ان يبين لكاميل انه شخص بعيد عن الطيش والتهور، فهي لن تقع تحت تأثير رجل يحرص على حذائه حتى لو كان ذلك الحذاء من نوع الاكسفورد الجديد ذي اللونين الأبيض والبني.

وقال أرنست «سأذهب لألقي نظرة على تلك الكهوف» ووقف ثم تمسك هابطاً من باب الأتوبيس، وزمجر فان برانت في تذمر وتبعه.

وأراحت مدام برتشارد خدها في استكانة على معطف المستر برتشارد وأغلقت عينيها، كانت مليئة بمشاعر الفزع والخوف، كيف تسنى لها ان تهاجمه وتجادله علنا أمام الناس ـ تهاجم زوجها الخاص بها؟ ان ذلك لم يحدث أبداً من قبل، فعندما كان الأمر يتطلب الشجار كانت تحرص على أن يكونا بمفردهما، ولا حتى ميلدريد كان يسمح لها ان تسمع الشجار، وشعرت انه من الابتذال ان تتشاجر أمام الناس الغرباء هذا بالإضافة إلى أن هذا الشجار قد حطم الصورة التي ظلت تشيدها لسنوات، حطم ما كان يردده الناس بأن عذوبتها ورقتها هي التي جعلت زواجها يأخذ الطابع المثالي، فكل شخص عرفته كان يعتقد في صحة هذه الرواية، وهي نفسها قد صدقت ذلك، إذ انها أقامت بجهودها الخاصة حياة زوجية هانئة ولكنها انزلقت لأنها تشاجرت معه وتحدثت عن البيت الصغير لنبات الاركيديا بحيث لم يعد الأمر سراً محجباً.

إنها قد أرادت مثل هذا البيت على مدى سنوات عديدة، وكان ذلك في الحقيقة منذ أن رأت مقالاً في «الهاربارز بازار» عن المدام وليام أو ماكينزي التي كانت تمتلك بيتا من تلك البيوت، وكانت الصور جميلة ومحجبة للنفس، وكان يمكن للناس ان يقولوا عن المدام برتشارد انها

تمتلك أجمل بيت صغير من بيوت الاركيديا، وبيت الأركيديا غالي الثمن وله قيمة كبيرة للغاية، فهو أفضل من المجوهرات أو الفراء، وحتى الناس الذين لم تتعرف عليهم كانوا سيسمعون عنها وعن بيت الاركيديا الصغير الخاص بها، وهي كانت قد عرفت الكثير من المعلومات عن مثل هذه المشروعات خفية، وكانت قد وضعت الخطط وعرفت تكاليف أجهزة التسخين والآلات التي تبعث الندى والرطوبة، وعرفت المكان الذي تشترى منه شتلات الأشجار بل وعرفت كافة التكاليف، كما انها درست بعض الكتب التي تتناول موضوع تفريغ النباتات، وتمت كل هذه الأمور في سرية تامة لأنها كانت تعرف انه لو جاء الوقت المناسب الذي تستطيع فيه الحصول عليه فسيكون المستر برتشارد في حاجة لأن يكتشف هذه الأمور ويخبرها بها، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة وهي لم تستنكر هذه الطريقة، فذلك كان بكل بساطة أسلوبا في الحياة، الأسلوب الذي جعل زوجها ناجحاً، وهي قد تبدي تأثرها وانبهارها بمعلوماته وقد تطلب منه النصح والمشورة في كل شيء.

ولكنها كانت متضايقة لأنها قد جعلت الأمر ينزلق مع الغضب، فمثل هذه الغلطة قد تؤخر تقدمها لمدة ستة شهور أو ما يزيد على ذلك، فهي كانت قد وضعت خططها على أساس ان تجعله يقترح بنفسه انشاء هذا البيت، وتجعله عن طريق أحجامها الحريص يتغلب على معارضتها للفكرة، ولكن الموضوع الآن قد ذكر بكل صراحة أثناء ثورة الغضب مما قد يضع العراقيل أمام التنفيذ، وهي إذا لم تكن حريصة للغاية في أعداد خطط المستقبل لما تمكنت أبداً من تحقيق هذه الرحلة، لذلك كان شجارها هذا يدل على الغباء والبذاءة.

وكان باستطاعتها سماع نورما وكاميل وهما تتحدثان بصوت منخفض خلفها، وكانت عيناها مغلقتين، وكان الاعياء والمرض والضعف يدب في كيانها حتى انها لم تكن تحاول الاصغاء إليهما.

وكانت نورما تقول «ومن الأمور التي أحب ان تعلميها لي هو كيفية التعامل مع الرجال».

وضحكت كاميل في اقتضاب وتساءلت: «ماذا تقصدين؟» «حسناً، مثال ذلك ان بيميلز قد حاول التودد إليك مع ذلك لم يتمكن من الوصول إلى مجرد التمهيد الأولي معك، وأنت في نفس الوقت لا يبدو عليك انك تبذلين مجهودا لصده وردمه، وخذي مثلاً آخر يتعلق برجل المبيعات ذاك، فهو رجل لبق بعض الشيء ولكنك تعاملت معه كأنه لا شيء، انني أتمنى ان أعرف كيفية التعامل مع هؤلاء الناس بنفس أسلوبك».

فشعرت كاميل بالسرور، ورغم انها كانت متضايفة مع هذا العبء الثقيل الملقى على عاتقها فإنها شعرت بالبهجة بسبب هذا الإعجاب بها، وأصبح الوقت مناسباً لأن تخبر نورما بأنها لا تعمل كممرضة للأسنان وتحدثها عن كأس الخمر العملاق الضخم والحفلات، ولكنها لم تستطع الاعتراف لها لأنها في الحقيقة لم تكن ترغب في أن تسبب لنورما صدمة كبرى، وكانت تريد ان تظل محل إعجابها.

واستطردت نورما «والشيء الذي أحبه فيك هو انك لست وضيعة أو بذيئة في هذا الأمر، ومازالوا غير قادرين على يضعوا إصبعا عليك».

فقالت كاميل «إنني لم ألحظ ذلك على نفسى أبدا».

وأظن أن هذه الخاصية الموجودة في هي أمر أشبه بالغريزة، وضحكت، واستطردت «ولي صديقة تستطيع التعامل فعلاً مع الرجال، وهي لا تطلق صيحة استهزاء واحدة، وهي مع ذلك كانت وضيعة مع الرجال، وكان اسمها لورين، وكانت مخطوبة لذلك الشخص الذي كانت له وظيفة مناسبة مما جعله لا يواجه أية متاعب.

وكانت لورين ترغب في الحصول على معطف من الفراء، وهي بالطبع كان عندها جاكيت صغير مصنوع من فراء الذئب وكان لديها معطفا من فرو الثعلب الأبيض اللون لأن لورين فتاة محبوبة للغاية، وهي جميلة وصغيرة في السن، وعندما تكون مع الفتيات تجعلك تضحكين طوال الوقت، وأرادت لورين معطفا من الفراء الثمين، ليس معطفاً قصيراً ولكن معطفا مكتمل الطول تماماً ويصل ثمنه إلى ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف دولار».

وأطلقت نورما صغيراً بين أسنانها وقالت «يا إلهي»، فقالت كاميل «حسناً»، وقالت لورين بعد ظهر أحد الأيام «أظن أنني أحصل على المعطف المصنوع من الفراء الثمين على الفور» فقلت لها «أنت تمزحين وتكذبين علي».

«أتظنين أنني أمزح؟ سيعطيني أيدي هذا المعطف».

وسألتها «متى قال لك ذلك؟».

فاكتفت لورين بالضحك وقالت «انه لم يقل لي، بل والأكثر من ذلك انه لا يعرف شيئاً عن هذا الموضوع حتى الآن».

وقلت «حسناً أسمعي، أنت مخبولة».

«أتراهنيني؟ وكانت لورين تتراهن على أي شيء».

وقلت لها إنني لا أتراهن على الأشياء وسألتها «كيف سيتسنى لك الحصول عليه؟».

وقالت «هل ستحافظين على السر إذا قلت لك؟».

واستطردت «المسألة سهلة، فأنا أعرف أيدي جيداً، إنني سأثيره في هذه الليلة وأقدم له مشروبات روحية واستمر في أثارته إلى أن يجن جنونه، وأظل هكذا إلى أن يضربني بجماع يده وقد أتعمد ان تصيبني

إحدى لكماته نظراً لأن أيدي عندما يكون مخموراً لا يصيب الهدف أمامه، حسناً وبعدئذ سأجعل أيدي يتأجج في عصاراته، فأنا أعرفه جيداً، وعندئذ سيشعر انه سافل وسيشعر بالأسف، أتراهنيني على ذلك؟ بل وسأضطجع مرة واحدة، وأراهنك على أنني سأحصل على ذلك المعطف غداً بالليل».

«حسناً، إنني لا أراهن على أي شيء، ولذلك قلت لها: أنت لا تراهنين على مبلغ بسيط مثل ٢٥ سنتاً» وكان فم نورما مفتوحاً بفعل الإثارة ومن بين رموش المدام برتشارد ظهر وميض ضوء منعكس.

واستفسرت نورما «وهل حصلت هي على المعطف؟» «حسناً، لقد ذهبت إلى المكان الذي تقيم فيه لورين في صباح يوم الاحد، وكانت لورين مصابة بكدمة متورمة تحت عينها، كدمة زرقاء سوداء حقيقية، وكانت تضع عليها رقعة، وكان انفها أيضاً مجروحاً».

«حسناً، وهل حصلت هي على المعطف؟» فقالت كاميل «حصلت على المعطف بكل تأكيد» وظهر على وجهها تجهم وحيزة واستطردت «حصلت على المعطف، وكان قطعة من الحسن والجمال، حسناً، وبعدئذ قامت بخلع جميع ملابسها، وكنا نحن الاثنان فقط في هذا المكان ثم قلبت المعطف بحيث يكون وجهه إلى الداخل وارتدته على اللحم بحيث يكون شعر الفراء ملاصقا لبشرة جسدها، ثم راحت تتدحرج وتتدحرج على الأرض وتضحك وتضحك بصوت يوحى بالبلاهة والعصبية كما لو كانت مجنونة».

وخرجت أنفاس نورما المحبوسة في بطء وقالت «يا إلهي ولماذا فعلت هي ذلك؟».

فقالت كاميل «لست أدري، كان الأمر يبدو كأنها مخبولة بعض الشيء، تكاد تكون مجنونة».

وكان وجه المدام برتشارد قد أخذ يتوهج، وراحت تتنفس بسرعة كبيرة للغاية، وتخدرت بشرتها وأحست بمشاعر الألم والواخزة تسري في ساقيها وفي معدتها على نحو لم يسبق لها ان جربته من قبل، وشعرت من وراء ذلك بمتعة لم تحصل عليها من قبل سوى مرة واحدة، وكان ذلك فوق ظهر حصان منذ فترة طويلة مضت.

وقالت نورما في شيء من الرزانة والحكمة «لا أظن ان ذلك كان أمراً لطيفاً، فإذا كانت هي قد أحبت أيدي حقيقة وكان هو بصدد الاقتران بها فلا أظن ان ذلك كان شيئاً لطيفا تفعله».

وقالت كاميل: وهذا هو رأيي أيضاً، فهذا التصرف من جانب لورين قد ضايقني وقد أخبرتها بذلك ولكنها قالت لي:

«حسناً، إن بعض الفتيات يسلكن الطريق الطويل للوصول إلى الهدف، ولكني أردت الوصول بسرعة، وعلى كل حال فالأمر سيان في النهاية، ولابد أن إنسانة أخرى كانت ستستخدم نفس هذه الحيل لكسب المنافع من وراء أيدي».

«وهل تزوجته؟».

«لا، لم تتزوجه».

فقالت نورما في غضب «أراهن على انها استنزفت أموال أيدي، وهذا هو كل ما في الأمر».

وقالت كاميل «ربما، ولكنها كانت صديقتي لفترة طويلة، وكانت دائماً تساعدني وتلبي رغباتي إذا احتجت لأي شيء، وفي إحدى المرات عندما أصبت بالتهاب رئوي فإنها ظلت بجواري على مدى ثلاثة أيام بلياليهم، وكنت انا مفلسة أثناء المرض فدفعت لي أجور الطبيب».

وقالت نورما «أظن انك لا تستطيعين الحكم عليها» وقالت كاميل

«لا، لا أعتقد ذلك، وعلى كل حال فانك قد استفسرت مني عن كيفية معاملة الرجال».

وكانت المدام برتشارد تدق نفسها بالكلمات وأخافتها ردود الفعل عندها، وقالت لنفسها وهي تكاد تهمس بالكلمات «يا لها من قصة مرعبة مبتذلة، يا لهن من حيوانات أولئك الفتيات الصغار»، إذن فهذا هو ما يعنيه إليوت بقوله «النزول إلى الناس»، «أوه، ان ذلك لأمر مرعب، اننا فقط ننسى الكيفية التي يكون عليها الناس وكيف يمكن أن يكونوا منحطين أخلاقياً» وراحت تكتب في ذهنها بجنون وحماس، وكانت الإثارة لا تزال تحدث تخديراً على الجوانب الداخلية لفخذيها «عزيزتي، ايلين، لقد كانت الرحلة مرعبة في المنطقة ما بين سان يسيدرو وسان جوان دي لاكروز، وقع الأتوبيس في حفرة ولم نملك سوى الجلوس والانتظار لبضع ساعات، وكان زوجي إليوت لطيفا معي للغاية فأعد لي فراشا في كهف عجيب، لقد سبق ان قلت لي انني قد أحصل على المغأمرات، اتذكرين؟ لقد قلت لي انني قد تتاح لي فرصة الدخول في المغامرات، أتذكرين؟ لقد قلت لي انني قد تتاح لي فرصة الدخول في المغامرات باستمرار، حسناً، لقد دخلت فعلا في المغامرات، وكانت توجد هناك فتاتان مبتذلتان أميتان في الأتوبيس أحداهما تعمل جرسونة والأخرى جميلة بعض الشيء: كانت من النوع إياه الذي تعرفينه، وكنت انا مستسلمة للراحة فخيل إليهما انني مستغرقة في النوم، فاستطردتا في الحديث، ولا أستطيع أن إذكر لك حرفا واحداً مما سمعته منهما، فأنا لا زلت أشعر بالخجل مما سمعت، ان المهذبين من الناس لا يعرفون حياة هذه المخلوقات المسكينة، انه أمر لا يصدقه العقل، وفي رأيي دائماً ان الجهل هو الذي يؤدي إلى كل ذلك، فلو كان عندنا مدارس أفضل أو بمعنى أصح لو كنا نحن بمثابة أمثلة أفضل

يحتذي بها الناس لكانت صورة المجتمع قد تغيرت بأسرها تدريجيا ولكن بشكل أكيد».

وقد تقرأ أيلين الخطاب مرات ومرات أمام الناس «لقد تلقيت تواً رسالة من برنيس، إنها تدخل في أشد المغامرات إثارة، وهي دائماً ما تفعل ذلك كما تعرفون، وأريد منكم ان تسمعوا ما تقوله، انني لم أعرف أي شخص يستطيع أن يرى الجوانب الطيبة في الناس مثلما تستطيع برنيس».

وكانت نورما تقول «إنني إذا أعجبت بشخص لا أفكر في عمل شيء كهذا معه، فإذا رغب في تقديم هدية لي فعليه ان يفكر في ذلك الأمر بدافع من ذاته».

وقالت كاميل «حسناً، وهذا هو ما أشعر به إزاء هذا الأمر أيضاً، ولكني لم أحصل على معطف واحد من الفراء ولا حتى على معطف من النوع السميك، أما لورين فقد امتلكت ثلاثة معاطف».

وقالت نورما «حسناً، لا أظن ان هذا التصرف يتسم بالامانة والشرف، ولا أظن انني أعجبت بلورين».

فصرخت كاميل في داخل عقلها «يا إلهي، انك لا تعرفين ما إذا كنت ستظفرين بإعجاب لورين، انني لا اتساءل عما إذا كانت لديك أية فكرة عن الرأي الذي قد تكونه لورين عنك؟» وفكرت: لا، ليس ذلك صحيحا، فلربما تأخذ لورين هذه الفتاة وتصلح من شانها وتقدم لها المساعدة، ومهما قال الناس عن لورين فلا أحد يمكنه ان يقول عنها انها فتاة لا تحب الخير للآخرين.

الفصل السادس عشر

ونكست ميلدريد رأسها لأسفل لكي تمنع المطر من أحداث الضباب والظلمة على نظارتها، وكان ملمس الطريق المليئ بالحصى حسناً تحت قدميها، وقد جعلها التريض تستنشق الهواء في عمق، وخيل إليها ان ضوء النهار كان آخذا في الاظلام عن ذي قبل، لا يمكن أن يكون الوقت متاخرا للغاية، وكان ضوء من أضواء المساء لا يزال يزحف على الوجود جاعلا الأشياء الفاتحة مثل قطع البلور الصخري والحجر الجيري تبدو أكثر نصاعة والأشياء المعتمة مثل أعمدة السور تبدو سوداء.

وسارت ميلدريد بسرعة، وكانت قدماها تطعنان في الأرض وكعباها يضربان في الحصى، وكانت تحاول أن تبعد عن ذهنها الشجار الذي حدث، وهي لا تذكر انها شاهدت من قبل والدها وأمها يتشاجران، ولكن هذا الشجار الذي حدث أمامها كان شيئاً مألوفا وروتيني الطابع مما يدل على انه كان بعيداً عن كونه أمراً غير عادي، لابد ان أمها تحرص على أن تتم المشاجرات في غرفة النوم حتى لا يتمكن أحد من سماعتهما، لقد شيدت خرافة من الزواج الذي يتصف بالكمال وعملت على استمرار تلك الخرافة، ولكن في هذه المرة كان التوتر قد وصل إلى نقطة الانفجار ولم تكن هناك غرفة نوم لتأوي إليها، وكانت هناك نقاط صغيرة وضيعة من الأحقاد والسموم الصفر في الشجار مما سبب

القلق والازعاج لميلدريد، كانت سموما من خبث ودعاء، لم يكن غضبا مكشوفا أمينا وإنما كان غضبا زاحفا بعض الشيء يطعن بسلاح حاد ثم يختفي السلاح على وجه السرعة.

وكانت هناك هذه الرحلة الطويلة للغاية إلى المكسيك، ولنفرض ان ميلدريد لم تعد إليهم؟ لنفرض انها استمرت في المسير والتقطت سيارة لتوصلها إلى مسافة ما واختفت ـ واستأجرت غرفة في مكان ما ربما على الساحل بالقرب من البحر وأمضت الوقت على الصخور أو على البلاج؟ وأدخلت هذه الفكرة السرور والبهجة عليها إلى حد بعيد، ويمكنها ان تطهو الطعام لنفسها وتتعرف على أناس جدد على البلاج، وكانت فكرة مضحكة تستوجب السخرية، فهي لم تكن لديها أية نقود، لقد كان أبوها كريما للغاية ولكنه لا يعطيها نقودا، كان باستطاعتها ان تشتري ملابسها على الحساب وتوقع على الشيكات في المطاعم ولكن نقودها الحقيقة كانت دائماً قليلة للغاية، كان والدها كريما للغاية ولكنه كان محبا للاستطلاع إلى حد بعيد، فكان يريد ان يعرف الأشياء التي اشترتها وأين تناولت طعامها وكان باستطاعته اكتشاف هذه الأمور من قراءة الفواتير الشهرية.

وبالطبع كان باستطاعتها ان تلجأ إلى العمل لتكسب قوت يومها، وقد تحقق هذا الأمر كيفما كان في فترة قصيرة بعض الشيء لأن العثور على عمل لا يتم في الحال، لا يجب عليها ان تكشف عن نواياها بكل صراحة، وعليها ان ترتكب الخطيئة خلال هذه الرحلة المرعبة للمكسيك التي كانت ستصبح رائعة لو انها كانت بمفردها وبحيث تعود للكلية بعد ذلك، وعلى كل فلن يمضي وقت طويل حتى تلتحق بوظيفة وقد يوافق والدها على ذلك وقد يقول لتشارلي جونصون «باستطاعتي ان أعطيها أي شيء تريده، ولكن، لا، يا سيدي فقد سبق لها ان حصلت

على الكثير من الملابس والفساتين التي تساير الموضة، وهي الآن تعمل لتنفق على نفسها» وقد يقول تلك العبارة في شيء من الفخر وكان الفضل في ذلك يرجع إليه في بعض الجوانب وهو لن يعرف مطلقاً انها تعمل من أجل تحقيق العزلة والخلوة لنفسها حتى تتمكن من ان تعيش في شقة خاصة بها وتتمكن من انفاق بعض النقود بغية تحقيق أشياء لا يعرف عنها شيئاً.

وهي في المنزل كان لها ـ على سبيل المثال ـ مطلق الحرية في الذهاب إلى غرفة المشروبات الروحية في أي وقت كما تشاء، ولكنها كانت تدرك ان والدها كان يتذكر على وجه الدقة مستوى السائل في كل زجاجة بحيث انها لو أخذت ثلاث جرعات مثلاً فإنه كان يعرف ذلك على الفور. فقد كان محبا للاستطلاع للغاية.

وخلعت نظارتها ومسحتها على البطانة الداخلية لمعطفها ثم لبستها مرة أخرى، واستطاعت ان تشاهد آثار أقدام جوان على الطريق، وكانت توجد أماكن انزلقت عليها قدمه فوق الصخور كما كانت هناك مساحات ممتدة من الأرض الموحلة حيث ظهرت عليها الانطباعات الكاملة للأقدام بشكل واضح مع انكسار الخطوط بفعل اندفاع أصابع أقدم، وحاولت ميلدريد السير فوق آثار أقدامه ولكن خطواته كانت طويلة بالنسبة لها حتى انها شعرت بالشد والجذب فوق فخذيها بعد أن ظلت سائرة على هذا المنوال لبعض الوقت.

وراحت تفكر: انه رجل غريب يتميز القوة والتسلط مما يتسبب في الاستسلام، وكانت مسرورة لأنها قد تخلصت من تلك التجربة المجنونة التي حدثت في الصباح، وكانت تعرف ان ذلك الأمر لا علاقة له بالعقل والاتزان وحسن الادراك السليم، ولكنها مسألة التاثير المتبادل بين

التهيج وافرازات الغدد ـ وكانت هي تعرف كل هذه الأمور، وهي كانت تعرف عن نفسها ان لها رغبات جنسية هائلة، وسيكون أمامها في القريب العاجل أما ان تتزوج وأما ان تقوم ببعض الترتيبات التي لها صفة الديمومة، وذلك لأن الاوقات التي تشعر فيها بالضيق والقلق والرغبة أخذت تتزايد بشكل كبير، وفكرت في وجه جوان الداكن اللون وفي عينيه اللامعتين إلا أن ذلك لم يحدث تأثيرا عليها، ولكن جوان كان يوجد في داخله دفء وصدق وإخلاص، وكانت معجبة به.

وعندما تخطت قمة التل شاهدت المزرعة المهجورة إلى أسفل وشعرت بالانبهار، واستطاعت ان تحس بالقنوط واليأس الذي يلف المكان، وأدركت انها لن تستطيع المرور على المنزل دون أن تنظر في داخله، وأسرعت الخطى بعد أن أثير اهتمامها وشغفها.

وقالت برانت سبق أن قال «البنك انتزع الملكية نظير الإيفاء لدين واضطرت الأسرة أن تترك المنزل ولم يكن البنك ليهتم بأمر منزل قديم، ولكن الأرض هي التي كانت تهمه».

وأصبحت خطواتها في نفس اتساع خطوات جوان تقريباً، وهبطت في تأرجح إلى سفح التل ومنه إلى المدخل الموصل للمزرعة ثم توقفت فجأة، إذ لاحظت ان آثار أقدام جوان قد حادت إلى الداخل، وسارت على الطريق قليلاً لكي تعرف ما إذا كانت آثار أقدامه قد خرجت من الناحية الأخرى واستمرت إلى المسير ولكنها لم تجد أية آثار أقدام متجهة للأمام.

فقالت لنفسها «لابد انه مازال هناك في الداخل، ولكن ما السبب في ذلك؟ لقد كان ذاهبا إلى طريق الولاية ولا يمكن أن يكون هنا في هذا المكان تليفون»، وتملكها الحذر عندما أدركت انها لا تدري ما يدور في

الداخل علاوة على انها لم تكن تعرف الكثير عن هذا الرجل، وسارت ببطء في المدخل ثم حرصت على أن تسير فوق العشب لكي لا تحدث أقدامها أصوات احتكاك فوق الحصى.

كان هناك شيء يوحي بالخطر في هذا النزل المهجور، واستعادت في ذهنها القصص التي سبق ان قرأتها في الصحف عن جرائم قتل في أماكن تشبه هذا المكان، وتوتر حلقها بسبب الخوف ولكنها هدأت من نفسها: «حسناً، باستطاعتي ان أستدير وآخرج من المكان، ان أحد لا يستوقفني ولا أحد يدفعني إلى الداخل، ولكنني أعرف انه يجب على عدم التراجع، أعرف انني لن أترك المكان ربما كان باستطاعة أولئك الفتيات اللائي قتلن الانصراف بعيداً أيضاً، وربما كن يطلبن السماح لهن بالانصراف».

وشاهدت منظرا لنفسها وهي ملقاة على الأرض في إحدى الغرف وقد خنقت أو طعنت بالسكين، وكان هناك شيء في المنظر جعلها تضحك ـ إذ كانت نظارتها ما زالتا على عينها، وما الذي كانت تعرفه عن جوان؟ ان له زوجة وعمل تجاري يديره، عندئذ تذكرت مانشيت سبق أن قرأته في الصحف «اغتيال أب لثلاثة بطريقة سادية وحشية».

وتعجبت من السبب الذي يجعل عدداً كبيراً للغاية من منشدي الكوارس وعازفي الأرض يغتالون، يبدو أن هناك مخاطر وظيفية تتعلق بفناء الكوارس، إذ دائماً ما يتم العثور على منشدي الكوارس مخنوقين خلف الارغن، وضحكت، وأدركت انها تخطو إلى داخل هذا المنزل، وتساءلت: أينبغي لي فقط ان أجوس باقدامي في قوة وبصوت مسموع أم انه ينبغي لي أن انسل في هدوء إلى الداخل واصطاد جوان شيكوي وهو يقوم بأي عمل مهما كان نوعه، ربما كان ذاهبا فقط إلى التواليت ليقضي حاجته.

وضعت قدمها في حرص على السلمة وتوقفت عندما زيق خشب الأرضية تحت وطأة ثقلها، وراحت تفتش في جميع أرجاء المنزل وفتحت الدواليب وكانت هناك علبه فلفل مقلوبة في المطبخ وكان هناك مشجب لمعطف في دولاب غرفة النوم، وأدارت رأسها من جانب لآخر لتلقي نظرة على الصفحات القديمة الهزيلة الموجودة خلف ورق الحائط المنتزع، وقرأت قصاصة مستطيلة من مجلة «هابي هوليجان»، وجذبت البغلة «مود» ساقيها للخلف وركلت قطار سى في الهواء وعلى مؤخرة بنطلون سى كانت توجد آثار منطبعة لحوافر البغلة، واستقامت برأسها، لماذا لم تفكر من قبل في الاسطبل؟ وتسللت ميلدريد للخلف نحو الشرفة الامامية ونظرت عن كثب إلى الألواح الخشبية واستطاعت ان ترى آثار الأقدام المبللة التي تركها حذاء جوان، فتتبعت الاثار إلى غرفة الجلوس ثم فقدتها. وذهبت إلى الباب الخلفي المفتوح ونظرت إلى الخارج، وكانت المفاجاة: لقد كانت هناك آثار الأقدام متخذة طريقها إلى الخارج ومتجهة بالفعل نحو الإسطبل.

ونزلت على السلالم المسكورة وتبعت المدق عبر أجزاء من المبنى وتخطت طاحونة الهواء القديمة، ودخلت الإسطبل ووقف هناك مصغية، لم تكن هناك أصوات، وفكرت في أن تنادي بصوتها ولكنها عدلت عن هذه الفكرة، وفي بطء مرت على جميع مرابط الحيوانات في الإسطبل إلى أن وصلت إلى المربط الأخير، واستلزم الأمر مرور فترة قصيرة قبل أن تعتاد عيناها على الضوء وتتوافق معه، ووقفت في المدخل المؤدي إلى الجزء الأوسط، وهربت جميع الفئران الصغيرة واختفت عن الانظار وبعدئذ شاهدت جوان مستلقيا على ظهره وقد ضم يديه خلف رأسه، وكانت عيناه مغلقتين وكانت انفاسه منتظمة.

وقالت ميلدريد «يمكننى الآن أن أذهب بعيداً وانصرف، فلا أحد

يعمل على أبقائي هنا، وستكون الغلطة غلطتي، انني أريد فقط ان أتذكر ذلك، انه يرعى شؤونه الخاصة ويهتم بها فقط، أوه، ما هذا الكلام الفاضي؟».

وخلعت نظارتها ووضعتها في جيبها، فأصبحت الخطوط الخارجية المحددة للرجل مشوشة في غير وضع أمامها حيث لم تستطيع عيناها التركيز على الهدف، ولكن كان لا يزال باستطاعتها ان تراه، وسارت في بطء وحرص عبر الأرضية المغطاة بالقش وعندما صارت إلى جواره وضعت كعبيها في شكل متقاطع وانزلت نفسها وجلست على قدميها المتقاطعين، وكانت الندبة الفائرة الموجودة فوق شفته بيضاء اللون وكانت انفاسه منتظمة وهادئة فقالت لنفسها «إنه كان متعباً فقط، وقد استلقى على الأرض لينال قسطا من الراحة فاستغرق في النوم، لا ينبغي أن أوقظه».

وفكرت في الناس الذين تركتهم وراءها في الأتوبيس ـ لنفرض انها لم تعد إليهم أبدا، لا هي ولا جوان، فماذا سيفعلون؟ عندئذ ستصاب أمها بالانهيار أما والدها فسيرسل برقية إلى المحافظ ـ إلى أثنين أو ثلاثة من المحافظين وقد يتصل تليفونيا بمكتب التحريات الفدرالي، وقد يتكبد نفقات باهظة، ومع ذلك فما الذي يمكنهم ان يفعلوه؟ انها قد بلغت سن الواحد والعشرين، وإذا أمسكوا بها يمكنها ان تقول لهم «إنني أبلغ من العمر ٢١ عاماً وأفعل الآن كل ما أريد أن أفعله، ولا دخل لأحد في شؤوني الخاصة» أو لنفرض انها ذهبت إلى المكسيك مع جوان؟ سيكون ذلك قصة مختلفة تماماً، شيء مختلف تماماً.

وسطت على عقلها بعض التخيلات والاوهام غير المقبولة والتي لا علاقة لها بالأمر، أو انه كان هنديا أو تجري في عروقه دماء هندية فكيف يتسنى لأحد الاقتراب تدريجياً منه في تلصص؟ وأمسكت بزوايا

عينها لكي تضع وجهه تحت بؤرة نظرها، وكان وجهه يشبه الجلد وبه آثار جرح قديم ولكنه كان وجها حسناً من وجهة نظرها، كانت الشفاة ممتلئة وهزيلة ولكنها شفوقة، ولربما يكون لطيفا عندما يكون مع امرأة، وقد لا يبقى معها، ولكنه كانت له تلك الزوجة، تلك الزوجة الفظيعة ومع ذلك فقد بقي معها، والله يعلم الفترة التي أمضاها معها، لابد انها كانت جميلة عندما تزوجها، ولكنها أصبحت قبيحة، ماذا حدث في الدنيا؟ كيف استطاعت تلك المرأة الفظيعة الابقاء عليه؟ ربما كان شأنه في ذلك شأن أي فرد آخر، ربما كان شأنه شأن والدها، ولربما يكون قد ظل أسيرا لظروف الحياة بسبب المخاوف أو بسبب التعود على نمط من الحياة، ولم تتصور ميلدريد كيف يمكن أن يحدث ذلك لأي شخص، ولكنها أدركت ان ذلك الأمر يحدث بالفعل فالناس عندما يتقدمون في السن يتحولون إلى الخوف من الأمور الصغيرة تدريجيا، إذ كان والدها يخاف من سرير غريب أو لغة أجنبية أو من حزب سياسي لا ينتمي إليه، ولقد كان والدها يعتقد اعتقادا جازما ان الحزب الديمقراطي بمثابة منظمة هدامة قد يؤدي أسلوبها إلى تدمير الولايات المتحدة الأمريكية ووضعها في أيدي الشيوعيين ذوى اللحيات، وكان خائفاً من أصدقائه كما كان أصدقاؤه يخافون منه. جيل من الفئران.

وحركت عينيها لأسفل فوق جسد جوان، جسد ناشف ذو الياف جامدة قد يصبح أشد تصلبا وتخشبا عندما يتقدم أكثر في السن، وكان بنطلونه مبللا بعض الشيء بسبب المطر وملتصقا بساقيه، وكان يبدو عليه شيء من الأناقة ـ اناقة الميكانيكى الذي أغتسل لتوه، ونظرت إلى بطنه المنخفض إلى الداخل بعض الشيء وإلى صدره العريض، وتلاحظ لها انه لا يوجد تغير في انفاسه ولا تغير عضلي، ولكن عيناه كانتا مفتوحتين، وكان ينظر إليها، ولم تكن عيناه نائمتين نوما عميقاً ولكنها كانتا ناصعتين.

وجفلت ميلدريد في فزع، ربما لم يكن نائماً بالمرة، وربما كان يرقبها وهي تدخل إلى الإسطبل، والنزهة، فقد ظلت جالسة لفترة طويلة كما تعرف، وظنت ان بإمكانه السير إلى طريق الولاية لالتقاط سيارة هناك، ثم رأيت هذا المكان القديم، وأنا أحب الأماكن القديمة.

وكانت قدماها بصدد التعرض للتخدير والتنميل، فمالت على جانبها وسندت نفسها على يد واحدة ثم حركت ساقيها وقدميها إلى جانب واحد وغطت ركبتها في حرص وعناية بجونلتها، فزنت قدماها وسرى الدفء مع عودة الدماء إليهما.

ولم يرد جوان عليها، كانت عيناه فوق وجهها، وتدحرج في بطء على جابنه، وسند رأسه بأن وضع يدا تحت إذنه، وهبط على عينيه بريق داكن وتجعد فمه بعض الشيء في زاويتيه، وتراءى إليها ان وجهه جامدا، فلا سبيل إلى النفاذ فيما وراء العينين إلى الرأس، فأما ان يكون كل شيء طافيا على السطح وأما ان تكون الأمور محجبة تماماً بحيث يتعذر النفاذ إليها.

وسألته «ماذا تفعل هنا؟».

فانفرجت شفتاه قليلاً وقال «ماذا تفعلين هنا؟».

«لقد أخبرتك انني كنت بحاجة إلى النزهة والتريض، لقد أخبرتك».

«نعم، أنت قلت لي ذلك».

«ولكن ماذا تفعل أنت هنا؟».

ولم يبد عليه انه في حالة استيقاظ حقيقية، وقال: «أنا؟ أوه، لقد جلست على الأرض لاستريح، وغلبني النوم، لأنني لم انم في الليلة الماضية».

وقالت «نعم، اذكر ذلك»، وكان عليها ان تستمر في الحديث وكانت

متوترة إلى حد كبير «لقد تعجبت من أمرك، إنك لست في مكانك الصحيح الملائم هنا، أقصد قيادتك للأتوبيس، فمكانك ليس هنا ولكن في مكان ما آخر».

فسألها في مداعبة «مثل أين؟» ووقعت عيناه على المكان الذي تقاطعت فيه طيات معطفها.

فقالت في قلق «حسناً، لقد خطرت لي فكرة غريبة أثناء سيري، ظننت أنك ربما لا تعود، وأنك قد تستمر فقط في السير وربما تعود إلى المكسيك، فأنا قد أفعل ذلك لو كنت مكانك».

وغمزت عيناه، وحملق في وجهها، وسألها «أأنت مخبولة؟ ما الذي جعلك تفكرين في ذلك؟».

«حسناً، كان ذلك مجرد شيء خطر على ذهني، ان حياتك، أقصد حياتك كسائق للأتوبيس لابد انها غير ممتعة إلى حد ما بعد ـ حسناً، بعد أن تركت المكسيك».

«ألم تذهبي من قبل إلى المكسيك».

«لا».

«إذن فأنت لا تعرفين كيف ان الحياة سخيفة هناك».

«لا».

ورفع رأسه ومد ذراعه ثم وضع رأسه على ذراعه.

«ما الذي سيحدث ـ من وجهة نظرك ـ لهؤلاء الناس الذين تركناهم هناك وراءنا؟».

فقالت «أوه، انهم سيرجعون من حيث أتوا بأية طريقة، فالمسافة ليست بعيدة، ولن يهلكوا».

«وماذا سيحدث لزوجتي فيما تظنين؟».

«حسناً ـ» وأصابها الاضطراب، واستطردت «إنني لم أفكر في ذلك الأمر».

وقال جوان «انك قد فكرت في ذلك الأمر وأنت لا ترتاحين إليها، سأقول لك شيئا: لا يوجد أحد معجب بها سواي، ومن الأسباب التي تجعلنى معجب بها هو ان أحداً لا يحبها».

وابتسم، وقال لنفسه «يا لها من كذبة» وقالت «إنها فقط فكرة مجنونة هبطت علي، بل إنني ظننت أيضاً انني قد أهرب بعيداً، إذ فكرت في أن أختفي وأعيش بمفردي وحسنا، ولا أشاهد أبداً أي شخص ممن عرفتهم من قبل» ونهضت على ركبتها ثم جلست مرة أخرى على جانبها الآخر.

ونظر جوان إلى ركبتها، ومد يده وجذب جونلتها لأسفل فوقها، فجفلت عندما أمتدت يده نحوها ثم استرخت في قلق.

وقالت «لا أريد منك ان تظن انني قد تبعتك إلى هنا».

فقال جوان «أنت لا تريدين مني ان أظن ذلك، ولكنك فعلت ذلك بالفعل».

«حسناً، وماذا يهم إذا كنت فعلت ذلك».

وخرجت يده مرة أخرى واستقرت فوق ركبتها المغطاة فسرت النار في كيانها بسرعة هائلة.

وقالت «لست أنت السبب في ذلك» وكان حلقها جافاً، واستطردت «إنني لا أريدك أن تظن انك السبب في ذلك، ولكن المسألة ترجع إليّ، فأنا أعرف ما أريد، بل والأكثر من ذلك إنني غير معجبة بك، فأنت لك رائحة مثل الجدي». وتهدج صوتها «أنت لا تعرف نوع الحياة التي

أعيشها، فأنا أعيش وحيدة، ولا أستطيع أن أخبر أي شخص بأي شيء».

وكانت عيناه دافئتين ولامعتين، وبدأ كانهما تغسلانها في حرارة ساخنة.

واستطردت قائلة «ربما إنني لا أشبه أي فتاة أخرى كيف لي أن أعرف؟ ولكن الأمر لا يرجع إليك، بل إنني غير معجبة بك».

فقال جوان «أنت تسوقين لنفسك فيضا من الحجج، أليس كذلك؟».

وسألته «اسمع، ما الذي ستفعله بشأن الأتوبيس؟ هل ستذهب إلى الطريق؟».

وزاد من ثقل يده على ركبتها ثم رفع يده بعيداً عنها، وقال «سأعود وآخرج الأتوبيس من وهدته، وأتخلص من أولئك الناس».

«إذن فلماذا جئت إلى هنا؟».

فقال «بسبب شيء سار في الاتجاه الخاطئ، اعتقدت في شيء واتضح لي أن اعتقادي غير سليم».

«ومتى ستعود؟».

«بعد وقت قصير بعض الشيء».

فنظرت إلى يده الملقاة في استرخاء على القش أمامها وكانت بشرة يده داكنة ولامعة ومتجمدة بعض الشيء.

«ألن تحاول ملاطفتي؟».

فابتسم جوان وكان ابتسامته من الأعماق وصريحة، «نعم، أظن ذلك، ولكن بعد أن تناقشي الأمر مع نفسك، فأنت الآن أمام الخيارين،

ولربما تقررين في وقت قريب ما إذا كنت موافقة أو غير موافقة، أما انا فسأشغل نفسي في عمل ما خلال هذه المدة».

«ألا ـ ألا تريدني؟».

وقال جوان «بالتأكيد، بالتأكيد».

«لأنك تعرف انني سأقع في أحضانك بأية طريقة، ولذلك فأنت لا تريد ان تتكبد أية مشقة؟».

وقال جوان «لا تدخليني في مناقشاتك ومحاوراتك، فأنا أكبر منك سنا، وانا أحب ذلك الأمر، أحبه كثيراً لدرجة انني أستطيع الانتظار بل وأستطيع الاستغناء عنه لبعض الوقت».

فقالت «إنك تجعلني أكرهك كرها شديداً لانك لا تعطيني أي قدر من الاعتزاز بالنفس، كما انك لا تستخدم أي قدر من العنف يجعلني أستسلم لك بعده» «إنك تحصلين على قدر أكبر من الاعتزاز بالنفس، إذا تركتك تقررين الأمر بنفسك».

«حسناً، إنني لا أحصل على ذلك الاعتزاز».

وقال «لا أظن». واستطرد «الفتيات في بلادي يرغبن في هذه الأمور على ذالك النحو أيضاً، إذ ينبغي التزلف إليهن أو اغتصابهن بالقوة، وعندئذ يشعرن بالارتياح لهذا الأسلوب أو ذاك».

«حسناً، وهل تتصرف أنت دائماً بهذه الطريقة التي تسلكها معي؟».

فقال جوان «لا، إنني ألجأ إلى هذه الطريقة معك فقط، فأنت قد جئت إلى هنا لهدف معين، وقلت بنفسك ان الأمر لا يتعلق بي».

ونظرت إلى أصابعها وقالت «إنها لمسألة مضحكة فأنا ما يمكن أن تسميها بالفتاة المثقفة، وأقرأ الكتب والمراجع، وانا لست عذراء،

وأعرف الآلاف من تاريخ الحالة المرضية وتطورها عند المريض، ومع ذلك لا أستطيع البدء بالتودد إلى الرجل»، وابتسمت بسرعة وفي دفء، واستطردت «ألا يمكنك أن تستخدم القوة معي بعض الشيء؟».

وامتدت يداه، وسقطت هي في المكان المناسب إلى جواره فوق القش.

«ألن تحثني على الاسراع؟».

وقال «لدينا اليوم بأكمله».

«هل ستحتقرني أم ستهزأ بيَ؟».

«وما الذي يهمك؟».

«حسناً، انني أهتم سواء أردت أم لم أرد» فقال «أنت تتكلمين كثيراً للغاية، أنت فقط تتكلمين كثيراً للغاية».

«أعرف ذلك، وهكذا الحال بالنسبة لي طوال الوقت، هل ستأخذني معك بعيداً؟ وربما إلى المكسيك؟» فقال جوان «لا. ولنرى ما إذا كان باستطاعتك ان تكفي عن الكلام لفترة قصيرة».

الفصل السابع عشر

وأخذ بيميلز المفاتيح من قفل تشغيل الأتوبيس الموجود فوق لوحة الآلات وذهب إلى مؤخرة الأتوبيس وفتح القفل الذي يغلق على الأمتعة في حماية ودفع بالغطاء لأعلى، فنفذت رائحة الفطائر حلوة إلى انفه، ونظر المستر برتشارد إلى الداخل عبر كتفه، وكانت الأمتعة مكدسة في أحكام في الحقيبة الخلفية للأتوبيس.

وقال بيميلز «أظن ان علي أولاً ان اخرج جميع الأمتعة لكي أتمكن من الحصول على ذلك القماش المشمع» وبدأ يجذب حقائب السفر المحشورة.

وقال المستر برتشارد «انتظر، دعني أرفع لك الحقائب وأنت تشد المشمع»، وراح يشد قاع الحقائب إلى أعلى بينما أخذ بيميلز يجذب بشدة طيات المشمع الثقيلة، وكان بيميلز يجذب المشمع من جانب لآخر إلى أن استخرجه تدريجيا من تحت الامتعة، وقال بيميلز «ربما يحسن بنا ان نحصل على اثنتين من الفطائر طالما اننا فتحنا حقيبة الأتوبيس، يوجد التوت والكريم بالليمون والزبيب وكريم الكاستارد بالكاراميلا ومن المناسب الآن تناول قطعة من كريم الكاسترادر بالكاراميلا».

وقال المستر برتشارد «فيما بعد» واستطرد «فلنحقق لزوجتي الاستقرار

أولاً» وأمسك بجانب من قماش المشمع الثقيل وأمسك بيميلز بالجانب الآخر وتقدما نحو الصخرة المليئة بالكهوف.

لقد كانت بمثابة تكوينات مألوفة وعادية إلى حد ما، فجانب التل الصغير قد سقط في أحد الأزمنة القديمة تاركا سطحا ناعما من الحجر الجيري الهش الضعيف، وتدريجيا قامت الرياح والأمطار بأعمال النخر في المنطقة السفلى بينما ظلت قمة الصخرة ثابتة في مكانها بفعل التربة العليا وجذور الأعشاب، وعبر العصور تكون العديد من الكهوف تحت الصخرة البارزة الناتئة، وهنا وضعت ذئبة صغارها وهنا في الأيام السابقة عندما كانت هناك حيوانات مماثلة جاءت دبة شيباء لتنام، وفي التعرف الأكثر ارتفاعاً كانت البومات تجلس أثناء النهار.

ولقد تكونت ثلاثة كهوف عميقة مظلمة عند سفح الصحراء، كما تكونت في المنطقة الأكثر ارتفاعاً أعداد قليلة من الكهوف الصغيرة، وأصبحت جميع مداخل الكهوف في حماية من المطر بسبب النتوء العالي للصخرة ذاتها، ولم تكن هذه الكهوف من ابتكارات الطبيعة كلية، إذ ان مصابات الهنود الحمر التي تصطاد بقر الوحش قد استراحت هنا وعاشت هنا، ثم أصبحت فيما بعد مكاناً يتوقف عنده ويستريح فيه الرجال البيض الذين يقطعون المسافات فوق الدواب عبر الريف وقام الرجال بتوسيع الكهوف وشيدوا مواقدهم تحت نتوء الصخرة البارز.

وكان الهباب العالق فوق الحجر الرملي قديماً وكان بعضه حديثا بعض الشيء وكانت الأرضية في الكهوف جافة نسبيا لأن هذا التل الذي سقط أحد جوانبه لم يكن يستقبل المياه المنجرفة من التلال الأخرى التي تفوقه ارتفاعا، وكان عدد قليل من الحروف الاولي للأسماء قد حفرت في خربشة على الصخرة المتكونة الحجر الرملي ولكن سطح

هذه الحروف كان ناعما للغاية حتى انها أصبحت غير مقروءة بعد فترة قصيرة، وكانت الكلمة الكبيرة الضخمة التوبة «Repent» التي لا تتأثر بعوامل الطقس هي فقط التي ظلت واضحة، فالواعظ المتجول قد انزل نفسه بواسطة حبل لكي يرفع شعار تلك الكلمة العظيمة بالطلاء الأسود ثم اتصرف مبتهجا من الطريفة التي كان ينشر بها كلمة الله في عالم مليئ بالخطايا.

ونظر المستر برتشارد وهو يحمل طرف القماش المشمع إلى كلمة «التوبة»، وقال «ان شخصاً ما قد تكبد كثيراً من المشقة، وساءل نفسه في تعجب: «ترى من الذي قام بتمويل مثل هذه المجازفة«، وأعتقد ان الذي قام بذلك هو أحد المبشرين».

وقام هو وبيميلز بوضع القماش المشمع تحت البوء البارز الصخرة ثم ذهبا ليفحصا الكهوف، وكانت الحفر الضحلة متشابهة إلى حد ما، فالارتفاع حوالي خمسة أقدام والعرض ثمانية أو تسعة أقدام والعمق يتراوح من عشر إلى اثني عشر قدما واختار المستر برتشارد أبعد الكهوف من جهة إليمين لأنه كان يبدو أكثر جفافا ولانه كان أكثر إظلاما بعض الشيء في الداخل، واعتقد ان الاظلام مفيد في مواجهة صداع زوجته المرتقب، وساعده بيميلز في بسط القماش المشمع.

وقال المستر برتشارد «أتمنى ان نحصل على بعض فروع أغصان شجر الصنوبر أو بعض القش لكي نضعه تحت المشمع».

فقال بيميلز «الأعشاب مبللة للغاية، كما انه لا توجد شجرة صنوبر واحدة لمسافة خمسين ميلاً».

ومسح المستر برتشارد القماش المشمع بمعصم يده ليرى ما إذا كان

القماش جافا، وقال «يمكنها أن ترقد فوق معطفي، ويمكنها ان تضع معطف الفراء الخاص بها فوقها».

وجاء كل من أرنست وفان برانت لينظر إلى الكهف وقال أرنست «باستطاعتنا أن نبقى هنا لأسابيع لو كان عندنا أي شيء نأكله».

وقال فان برانت «حسناً، ربما نتاخر إلى ذلك الحد، فإذا لم يحضر سائق الأتوبيس مع صباح الغد سأسير على أقدامي، فأنا لا أحمل معي شيئاً يذكر من الامتعة».

وقال بيميلز «يمكنني تقسيم فطيرتين إذا كنتم أيها الناس تريدون الطعام».

وقال أرنست «قد تكون هذه فكرة حسنة».

فسأله بيميلز «ما هو النوع الذي تفضله؟».

«أوه، أي نوع».

«الكريم الكاستارد بالكاراميلا لذيذ الطعم، فهو يحتوي على دقيق القمح الصافي بدلاً من قشر الخبز الجافة الخارجية».

وقال أرنست «ستكون هذه لذيذة».

وعاد المستر برتشارد إلى الأتوبيس من أجل زوجته، وكان شاعرا بالخجل من نفسه بسبب ثورة غضبه التي حدثت منذ وقت قصير وكانت توجد في معدته تلك الكتلة الصلبة التي يحس بها دائماً عندما لا تسير الأمور على ما يرام، وهي كتلة تشبه قبضة اليد، وقد قال له تشارلي جونصون انه لابد ان يكون مصابا بقرحة في المعدة، وتناول تشارلي هذا الأمر في شيء من الفكاهة. إذ قال له انه لا يوجد شخص يقل إيراده السنوي عن ٢٥ ألف دولار مصاب بقرحة المعدة، وقال تشارلي ان قرحة المعدة تعتبر من الاعراض التي تدل على وجود رصيد كبير في

البنك، ولذلك كان المستر برتشارد بطريقة لا شعورية فخورا بعض الشيء بالآلام الموجودة في معدته.

وعندما صعد المستر برتشارد إلى داخل الأتوبيس كانت عينا المدام برتشارد مغلقتين.

وقال المستر برتشارد «لقد هيأنا لك سريرك الصغير» ففتحت عينيها وحملقت فيما حولها في اضطراب وبدون هدف.

وقالت «أوه».

فقال «أكنت نائمة؟ ما كان ينبغي لي أن أوقظك. أسف». «لا يا عزيزي، إنني على ما يرام، كنت فقط في أغفاءة من النوم» وساعدها على الوقوف على قدميها «ويمكن أن تستلقي على معطفي وتضعي معطف الفراء الصغير الخاص بك فوقك».

فابتسمت في ضعف لدى سماعها نغمة صوته.

وساعدها لدى هبوطها من الأتوبيس وقال «آسف على ما صدر منى من وقاحة يا فتاتي الصغيرة».

«كل شيء على ما يرام. انك متعب ومرهق فقط. وانا أعرف انك لم تكن تقصد ذلك».

«حسناً سأطلب لك وجبة عشاء عظيمة في هوليوود لكي أعوضك عما حدث. ربما في مطعم رومانوف. مع الشمبانيا. أتحبين ذلك؟».

فقالت في مداعبة «لا يمكن الثقة فيك بالنسبة للنواحي المتعلقة بالنقود. كل شيء قد نسي الآن، لقد كنا فقط في حالة من الاعياء والتعب».

«يا عزيزتي أيلين، اننا سنحصل على أشهي الطعام في مطعم

رومانوف، ولن تستطيع مطلقاً ان تخمني من سيكون جالساً إلى المنضدة التالية».

وقالت «واعجبي!! المطر يكاد يكون قد توقف تماماً».

«فأنا أريد لفتاتي الصغيرة ان تحصل على قدر من النوم حتى تصبح نشيطة وعلى ما يرام».

«أمتأكد من انه لا يوجد بلل أو رطوبة ولا توجد أي ثعابين؟».

«لا. لقد بحثنا فيما حولنا».

«ولا عنكبوت؟».

«حسناً، لم يكن هناك أي نسيج للعنكبوت».

«ولكن ما العمل مع حشرة (أبو شبت) الضخمة ذات الجسد المغطى بالشعر؟ فهذا النوع لا يفرز نسيجاً؟».

فقال «باستطاعتنا ان نفتش في المكان مرة أخرى، وعلى كل حال الحوائط ناعمة. ولا توجد هناك أماكن تختبئ فيها الحشرات» وقادها نحو الكهف الصغير «أترين كم هو جميل؟ ويمكن أن ترقدي مع رفع راسك بهذه الطريقة حتى تتمكني من النظر إلى الخارج إذا أردت ذلك».

وبسط معطفه. وجلست هي عليه.

«والآن، استلقي وانا سأقوم بوضع الغطاء عليك».

«كيف حال رأس فتاتي؟».

«حسناً، انها ليست على الحالة السيئة التي خشيت ان تصل إليها».

وقال «هذا شيء حسن، عليك بالنوم قليلاً، أتشعرين بالراحة؟».

وصدر عنها تأوه بسيط من تأوهات الشعور بالراحة.

«لو أردت أي شيء عليك فقط بمناداتي، فسأكون قريباً منك».

وجاء بيميلز إلى مدخل الكهف، وكان فمه مليئاً وكان يحمل علبة فطائر «أتحبين أن تأخذي قطعة من الفطير يا ماما؟».

فرفعت المدام برتشارد رأسها ثم ارتعدت وانزلت رأسها وقالت «لا. شكراً لك» واستطردت «إنه لشيء لطيف منك أن تفكر في أمرى، ولكني لا أستطيع تناول أي فطائر». وأضافت في ذهنها «لقد عاملني إليوت كانني ملكة، يا أيلين، وكم عدد الناس الذين يمكنهم ان يفعلوا ذلك بعد أن يكون قد مضى على زواجهم ٢٣ عاماً؟ فأنا أشعر أنني سعيدة الحظ طوال الوقت».

ونظر المتر برتشارد لأسفل نحوها، كانت عيناها مغلقتين. وكانت هناك ابتسامة صغيرة فوق شفتيها. فشعر بذلك الأسف الفجائي الموحش الذي كثيراً ما هبط عليه. وتذكر. تذكر تماماً أول مرة أحس فيها بهذا الشعور، كان يبلغ من العمر خمس سنوات عندما ولدت أخته الصغيرة، وفجأة كانت هناك أبواب مغلقة في وجهه ولم يكن بمقدوره الدخول إلى غرفة الأطفال ولم يكن باستطاعته ان يلمس الطفلة الصغيرة. وشعر انه قذر دائماً بعض الشيء وكثير الصخب

والضوضاء ولا يستحق شيئاً من الاهتمام، وكانت أمه مشغولة دائماً وعندئذ هبطت عليه مشاعر الوحدة الباردة وهي نفس المشاعر التي هبطت عليه لدى إغلاق برنيس عينيها فهذا كان يعنى انها اعتزلت العالم بأسره ودخلت إلى غرفتها الخاصة بها بحيث لم يكن بمقدوره ان يتبعها إلى هناك.

وآخرج من جيبه ملقاطه الذهبي الخاص بالاظافر وفتحه وراح ينظف أظافره أثناء سيره بعيداً، ورأى أرنست هورتون جالساً وظهره إلى الصخرة على الجانب الآخر من النتوء البارز، وكان الكهف العالي

متواجدا فوق أسه، وكان أرنست جالساً فوق بعض الجرائد. وعندما اقترب منه المستر برتشارد جذب من تحته ورقة مزدوجة وقدمها للمستر برتشارد.

وقال «أكثر الأشياء فائدة في العالم. باستطاعتك ان تفعل أي شيء بها فيما عدا قراءتها».

وضحك المستر برتشارد وأخذ الورقة وجلس عليها بجوار أرنست وقال المستر برتشارد مرددا نفس الكلام الذي سبق ان سمعه من تشارلي جونصون «إذا قرأت خبرا في الجرائد فهو غير صحيح». واستطرد «حسناً، ها نحن هنا. منذ يومين فقط كنت أقيم في جناح بفندق أوكلان د. وها نحن الآن في كهف، وهذا يدل فقط على أن الإنسان لا يستطيع أن يضع خططاً».

وحملق في الأتوبيس. واستطاع ان يرى من خلال النافذة ان بيميلز كان هناك في الداخل مع الفتاتين وانهم كانوا يأكلون الفطائر وشعر برغبة قوية في الانضمام إليهم، يمكنه تناول قطعة من الفطير.

وقال أرنست «ان كل الأمور تسير على نحو يجعلني أضحك في سخرية في بعض الأحيان، فنحن كما تعرف من المفروض ان تكون سخرية في بعض الأحيان، فنحن كما تعرف من المفروض ان تكون شعبا ميكانيكيا. فكل شخص يقود سيارة وكل شخص عنده ثلاجة وراديو، وانا افترض ان الناس يعتقدون بحق ان لهم عقلية ميكانيكية ولكن دع قدرا ضئيلا من التراب والشوائب يدخل إلى الكربوريتور وعندئذ ستتوقف السيارة في المكان الذي تعطلت فيه إلى أن يحضر ميكانيكي ويخرج منها الشوائب، ودع نورا ينطفئ وعندما فلابد من مجئ كهربائي ليضع كبسا كهربائيا جديدا. ودع آلة رافعة تتعطل وعندئذ سيكون هناك هلع وفزع».

وقال المستر برتشارد «حسناً. لا أدري، وعلى كل حال فالشعب الأمريكي في مجموعه شعب ميكانيكي إلى حد ما وأجدادنا قاموا بأعمال عظيمة من أجل انفسهم».

«انهم فعلوا أعمالاً عظيمة بالتأكيد. وكذلك يمكننا ان نكون مثلهم إذا أردنا، هل باستطاعتك ان تركب ساعة السباق في سيارتك؟».

«حسناً. أنا».

وقال أرنست «فلنذهب إلى أبعد من ذلك. فلنفرض انك اضطررت للبقاء هنا لمدة أسبوعين. أتستطيع ان تقي نفسك من الهلاك جوعا؟ أم انك ستتعرض للالتهاب الرئوي وتموت؟».

وقال المستر برتشارد «حسناً، ان الناس كما ترى يتخصصون في الأعمال الآن».

وأصر أرنست على وجهة نظره «أباستطاعتك ان تذبح بقرة؟ أيمكن أن تقطعها إلى أجزاء وتطهيها؟».

وأدرك المستر برتشارد ان صبره بدا ينفذ مع هذا الشاب، فقال في حدة «إن الدولة تجتاحها في هذه الأيام موجة من السخرية والتهكم ويبدو لي أن الشباب فقد ثقته في أمريكا، أما أجدادنا فكانت لديهم الثقة في أمريكا».

وقال أرنست «انهم كانوا يسعون وراء لقمة العيش، لم يكن لديهم متسع من الوقت للثقة والإيمان. أما الناس الآن فانهم لا يعملون كثيراً ومن ثم أصبح لديهم الوقت للثقة والإيمان».

وصاح المستر برتشارد «ولكنهم ليس لديهم أي ثقة أو إيمان. ماذا دهاهم. ما الذي يوجد في داخلهم؟».

وقال أرنست «إنني لا تعجب، وقد حاولت ان أفهم السر وراء

ذلك، فوالدى يؤمن إيمانا راسخا في مسألتين: أحداهما ان الامانة لابد ان تكافأ بطريقة أو بأخرى. كان يعتقد ان الرجل إذا كان أمينا فإنه يشق طريقه بنجاح بأية كيفية، كما كان يعتقد ان الرجل إذا اجتهد في العمل فإنه يستطيع أن يجمع لنفسه قدرا من المال مما يحقق له الأمن والامان والطمانينة، والذي جعله يؤمن بالمسألة الأولى هو قبة أبريق الشاي في الكنيسة وعدد كبير من الأشياء المشابهة، أما الذي جعله يؤمن بالمسالة الثانية فهو عام ١٩٣٠ ميلادية. ثم اكتشف ان أكثر الناس تمتعا بإعجاب الآخرين لم يتصفوا بالامانة على الإطلاق ومات وهو يعاني من الحيرة الشديدة المخيفة. لأن المسألتين اللتين آمن بهما إيمانا راسخا لم يثبت نجاحهما في الحياة، لم يثبت نجاح الامانة وحسن التدبير والتوفير، ولقد صدمت انا لأن أحداً لم يبتكر شيئاً بدلاً من هذين المبدأين».

وهز المستر برتشارد هذا الكلام لكي يخر مهد رأسه.

وقال «لا يمكن لك ان تكون حسن التدبير والتوفير وذلك بسبب الضرائب. لقد كان هناك وقت يتمكن فيه الإنسان من ان يشتري لنفسه عزبة، ولكن الإنسان لا يستطيع ذلك الآن فالضرائب تلتهم كل شيء. فأنت تعمل فقط من أجل الحكومة. ويمكنني القول بأن الضرائب تدق الفرد مبتدئة برأسه. ولم يعد هناك أحد لديه طموح».

وقال أرنست «لا يوجد هناك فارق كبير بين ان تعمل عند الحكومة أو عند القطاع الخاص إذا كنت مؤمنا بذلك».

وقاطعه المستر برتشارد قائلاً «ان الجنود العائدين من الحرب هم الذين يثيرون قلقي واهتمامي، فهم لا يرغبون في أن يعيشوا عيشة استقرار ولا يرغبون في الذهاب للعمل. انهم يظنون ان الحكومة متكفلة باعاشتهم مدى الحياة مع اننا لا نقدر على ذلك».

وأصبح جبين أرنست مزركشا بحبات العرق وكان هناك خط أبيض حول فمه ونظرة عليلة في عينيه. وقال في هدوء «انا كنت في الجيش. ولكن لا تقلق. فأنا لست بصدد ان أطلب منك ان توفر لي عملا. لن أفعل ذلك. لا أريد ذلك».

وقال المستر برتشارد «إنني بالطبع أحترم جنودنا كل الاحترام وأظن انه ينبغي أن يكون لهم صوت».

وزحفت أصابع أرنست إلى العروة في طية صدر جاكتته وقال «بالتأكيد. أعرف ذلك. بالتأكيد» وكان يتكلم كما لو كان يخاطب طفلاً «لقد قرأت في الجرائد عن أفضل الرجال عندنا، وهم ينبغي أن يكونوا أفضل الرجال عندنا لأنهم قد اضطلعوا بأضخم الأعمال. وقرأت ما يقولونه وما يفعلونه. وقد اكتسبت عدداً كبيراً من الأصدقاء الذين تسميهم صعاليك. ولا يوجد بينهم سوى اختلاف ضئيل للغاية ولقد سمعت ان هؤلاء الصعاليك يقول كلاما له وقع أفضل من كلام وزير الخارجية الأمريكي ـ أوه. يا للجحيم؟!». وضحك. واستطرد «لقد توصلت إلى اختراع. عبارة عن طبلة من المطاط تطرق عليها بقطعة من الاسفنج. وهي طبلة من أجل المخمورين الذين يرغبون في الدق على الطبول الخاصة بالاوركسترا. انني ذاهب الآن للتريض قليلاً».

وقال المستر برتشارد «أنت عصبي المزاج».

وقال أرنست «نعم. انا عصبي. وكل شخص عصبي». سأقول لك شيئاً. اننا إذا دخلنا في الحرب مرة أخرى أتعرف ما هي أفظع الأمور شناعة ورعبا؟ انني سأهب للحرب أيضاً. وذلك هو أشد الأمور شناعة ورعباً.

ونهض وسار عائداً إلى الاتجاه الذي جاء منه الأتوبيس. وكان رأسه

منكسا وكانت يداه في جيبيه وكانت أقدامه تضرب على حصى الطريق، وكان قابضا على فمه بإحكام شديد ولم يستطع التوقف وقال «إنني فقط عصبي المزاج، وهذا هو كل ما في الأمر».

وحملق المستر برتشارد في أرنست هورتون ثم أخفض من بصره إلى أن وقع نظره على يديه فأخرج مبرد أظافره مرة أخرى وراح ينظف أظافره. وكان المستر برتشارد مهزوزا مما حدث. ولم يدر السبب في ذلك. فرغم كل التشاؤم الذي يحس به المستر برتشارد إزاء تدخل الحكومة في الأعمال التجارية فإنه كان يوجد دائماً في مؤخرة عمله تفاؤلا عظيمة. ففي مكان ما كان يوجد رجل مثل كواليدج Coolihgo أو هوفر Hover وقد يظهر في الافق ويستولي على الحكم من أيدي هؤلاء الحمقى القائمين على إدارة البلاد وعندئذ تسير كل الأمور على ما يرام فتتوقف الاضرابات ويستطيع كل شخص ان يحقق لنفسه ثروة ويصبح سعيدا. وكان المستر برتشارد يعتقد ان ذلك الأمر وشيك الوقوع فقد حدثت بعض الاخطاء ولكن الرجل المناسب سيظهر في الافق ـ ربما يكون بوب تافت Bob Taft وعندئذ ستسير الأمور بطريقة سليمة هادئة مرة أخرى وتتوقف هذه التجارب الملعونة.

ولكن هذا الشاب ضايقه لأنه شاب متفتح وسريع البديهة ومع ذلك تجتاحه مشاعر اليأس والقنوط. وكان المستر برتشارد يدرك ان أرنست هورتون لن يعطي صوته لصالح بوب تافت إذا رشح أسمه ولو انه لم يذكر ذلك صراحة. وكان المستر برتشارد. شأنه في ذلك شأن معظم زملائه يعتقد في المعجزات ولكنه أصبح مهزوزا بعمق بسبب ما حدث. صحيح ان هورتون لم يهاجم المستر برتشارد هجوما مباشرا ولكنه هاجمه في الاونة الاخيرة بخصوص الكاربويتور. وسمح المستر برتشارد لعقله ان يصور له الشكل الذي يكون عليه الكاربوريتور. أكان باستطاعته

ان يفك أجزاءه؟ وأدرك في غير وضوح وجود عوامة في الكاربوريتور واستطاع ان يشاهد في ذهنه الشاشة المصنوعة من النحاس الاصفر وان يرى الحلقات الموجودة حول البيستون.

ولكنه قال لنفسه ان أمامه أمورا أخرى أكثر أهمية تستاهل التفكير فيها. فقد قال له هورتون «لو ان الاضواء انطفأت» ـ وحاول المستر برتشارد ان يتذكر المكان الذي توجد فيه صناديق كبس الكهرباء في منزله ولكنه لم يعرف، ان هورتون كان يهاجمه. ان هورتون لم يحبه ولنفرض ان صلتهم انقطعت بالعالم الخارجي بسبب تعطل الأتوبيس كما قال هذا الشاب.

وأغلق المستر برتشارد عينيه وشاهد نفسه واقفاً في طرقة الأتوبيس ورأى نفسه يقول لباقي المسافرين «لا تقلقوا. سأعتني بشؤونكم. سأجنبكم الوقوع في المتاعب. فأنا لم أشيد مؤسسة تجارية كبرى دون أن تكون لدي بعض القدرات كما تعرفون ولنحلل الموقف تحليلا منطقيا يتمشى مع العقل السليم. اننا نحتاج أولاً إلى الطعام وتوجد هنا بعض الأبقار في ذلك الحقل هناك». وهورتون قد قال عنه انه لا يعرف كيف يذبح بقرة. حسناً انه سيبين له كيف انه يعرف ذلك. ان هورتون لم يكن يعرف انه يوجد مسدس في قسم خاص فوق لوحة الآلات. ولكن المستر رتشارد كان يعرف ذلك.

وأخرج المستر برتشارد المسدس. وخرج من الأتوبيس وسار بعيداً تجاه الحقل وتسلق سوراً. وأمسك بالمسدس الكبير الأسود في يده، لقد سبق للمستر برتشارد ان ذهب مرات كثيرة لمشاهدة الأفلام السينمائية. وبطريقة لا شعورية أحدث ذهنه انفصالا. فلم يشاهد نفسه وهو يذبح البقرة أو يقطع أوصالها وإنما رأى نفسه وهو يعود ثانية إلى النتوء البارز ومعه كتلة ضخمة من اللحوم الحمراء وقال «ها هو طعام لكم. ولأشعل

النيرانا». وأحدث انفصالاً مرة ثانية. وكانت النيران تتوائب وكانت قطعة كبيرة من اللحم معلقة فوق عصى على اللهب.

وقالت كاميل «ولكن ما العمل إزاء الاستيلاء على ذلك الحيوان؟ فهو ملك لشخص ما».

وأجاب المستر برتشارد «الضرورة لها أحكام. فقانون البقاء يأتي في المرتبة الاولي من حيث الاهمية. ولا يمكن لأي شخص ان يتوقع منى ان أترككم تهلكون جوعاً».

وفجأة أحدث انفصالاً مرة أخرى وهز رأسه وفتح عينيه وهمس لنفسه «ابتعد عن ذلك. يجب الابتعاد عن ذلك». ترى أين رآها من قبل؟ لو استطاع فقط التحدث إليها لفترة قصيرة فإنه قد يتوصل إلى حقيقة ذلك الأمر، وكان يدرك انه لم يكن خاطئاً في تصوره لأن وجهها قد أعطاه إحساساً راسخاً في صدره، ولابد انه لم يرها مجرد رؤية عادية فقط وإنما قد حدث أيضاً بشكل أكيد. ونظر نحو الأتوبيس وكان بيميلز والفتاتان ما زالوا في الداخل.

فنهض واقفاً على قدميه وراح يربت على مؤخرة بنطلونه كما لو ان الوقرة التي جلس عليها لم تحمه من التراب. وكان المطر يتساقط في شكل رذاذ خفيف بعض الشيء. وفي الغرب كانت توجد مساحات صغيرة من السماء الزرقاء الصافية. وأصبح من المتوقع ان يصير الجو على ما يرام. فسار إلى الأتوبيس وتسلق الدرج صاعدا إلى الداخل. وكان فان برانت ممددا على المقعد الخلفي الذي يشغل الأتوبيس بالعرض في المؤخرة. وكان يبدو على فان برانت انه نائم. وكان بيميلز والفتاتان يتحدثون بصوت منخفض لكي لا يقلقوا نومه.

قال بيميلز «ما أريده في الزوجة هو ان تكون مخلصة».

وقالت كاميل «وما الأمر بالنسبة لك؟ هل ستحرص على أن تكون مخلصا لها أيضاً».

فقال بيميلز «أكيد. سأكون مخلصا لها إذا كانت بمثابة النموذج السليم للزوجة».

«حسناً. ولنفرض انها ليست كذلك؟».

«حسناً. عندئذ سأريها شيئاً أو شيئين. سأريها ان الاثنين يمكن أن يلعبا تلك اللعبة. مثلما فعل كارى جرانب في ذلك الفيلم السينمائي». وعلى المقعد الذي يوجد في الجانب الآخر من المجموعة كانت توجد علبة فطير شاغرة وكذلك علبة فطير أخرى قد ترك بها ربع فطيرة فقط.

وكانت الفتاتان تجلسان سوية أما بيميلز فكان يجلس بالعرض على لمقعد الموجود أمامهما وقد وضع ذراعه على ظهر المقعد.

ونظروا جميعا لأعلى عندما دخل المستر برتشارد إلى الأتوبيس. «أيوجد مانع من ان أجلس معكم؟».

فقال بيميلز «تفضل» واستطرد «أترغب في تناول قطعة من الفطير؟ توجد قطعة في هذا المكان بالضبط» ثم ناول القطعة للمستر برتشارد وحرك العلبتين الشاغرتين حتى يتمكن من الجلوس.

واستطردت كاميل «هل لك الآن صديقة؟».

«حسناً. حسناً. يمكن القول ان لي صديقة ولكنها. ولكنها حمقاء بشكل ما».

«أهي مخلصة لك؟».

وقال بيميلز «بالتأكيد».

«كيف تسنى لك معرفة ذلك؟».

«حسناً. ليس باستطاعتي أبداً ـ أقصد ـ نعم. انا متأكد من إخلاصها».

وقال المستر برتشارد في مداعبة «أظن انك ستتزوج في وقت قريب بعض الشيء. وأعتقد انك ستدبر عملا تجاريا لحسابك الخاص».

وقال بيميلز «لا. لن يتم ذلك قبل مرور فترة معينة. لأنني أدرس الآن بالمراسلة. فالرادار يوفر للإنسان مستقبلا عظيما. فالاجر يصل إلى ٧٥ دولاراً في الأسبوع. والعمل فيه مستمر طوال العام».

«أهذا صحيح؟».

«أعرف أشخاص حصلوا على تلك الدراسة. وبعثوا إلى بخطابات وقالوا انهم يحصلون على ذلك الاجر، وقد حصل أحدهم عقب مرور سنة واحدة على منصب مدير المنطقة».

فتساءل المستر برتشارد «مدير منطقة لاية شؤون؟».

«مدير منطقة فقط. فذلك هو ما قاله لي في خطابه. كما ان هذا مطبوع على خطابه في الجزء العلوي المخصص للعنوان الخاص به».

وكان المستر برتشارد قد أخذ يشعر بالتحسن مرة أخرى إذ كانت هذه حالة من حالات الطموح أمامه. معنى ذلك ان الناس جميعا لا يميلون إلى التهكم والسخرية والزهد في الحياة.

وقال كاميل «متى ستتزوج على ما تظن؟».

وقال بيميلز «لم يحن الوقت المناسب لذلك بعد. فمن رأى انه ينبغي لي المرء ان يجوب العالم لبعض الوقت قبل أن يهدأ ويستقر في نطاق الحياة الزوجية. يجب على الإنسان ان يقوم ببعض الاسفار. ولربما أعمل في باجرة. والإنسان الذي يتعلم الرادار فإنه يتعلم اللاسلكي أيضاً.

وفي تصوري انني ربما أعمل على باخرة وأكون عامل لاسلكي لبعض الوقت».

وتساءل المستر برتشارد «ولكن متى تنتهي من دراستك؟».

«حسناً. الدروس ستبدأ في وقت قريب بعض الشيء. وقد ملأت جميع الكوبونات وكتبت جميع الأوراق الخاصة بذلك. وانا الآن أقتصد النقود اللازمة لكي أسدد المصاريف نقدا وبالكامل. ولقد أجروا لي اختبارا، وقالوا انني على قدر كبير من الموهبة والذكاء، وقد وصلني منهم ثلاثة أو أربعة خطابات».

وكان الإرهاق باديا على عيني كاميل. ونظر المستر برتشارد إلى وجهها. وكان يدرك ان عينيه كانت مستترة وراء نظارته. وظن ان لها وجها جميلا إذا ما نظرت إليه عن كثب. وكانت شفتاها في تلك اللحظة ممتلئتين للغاية ومتميزتين بالود والصداقة. كل ما هنالك ان الإرهاق كان باديا في عينيها. وراح يفكر.

انها قطعت المسافة كلها ابتداء من شيكاغو في الأتوبيسات، ولم يكن يبدو عليها انها قوية بالقدر الكافي. وكان باستطاعته ان يرى ثدييها الممتلئتين تحت ملابسها، وكانت ملابسها مكرمشة: وكانت قد قبلت الاسورة الفرنسية لقميصها من الداخل إلى الخارج لكي تكون الحواف نظيفة. فلاحظ المستر برتشارد ذلك. واعتقد ان هذا يعني انها حريصة على النظافة والأناقة، وراح يدرس بعض التفاصيل الدقيقة.

وشعرت ان هذه الفتاة تكاد تشبه العطر. وأحس بالإثارة والجوع وقال لنفسه ان المسألة ترجع فقط إلى أن المرء نادرا ما يشاهد فتاة كهذه من حيث شدة الجاذبية والجمال. وبعدئذ سمع نفسه وهو يتكلم دون أن يعرف انه كان بصدد التحدث.

قال «آنسة أوكس، لقد كنت أفكر في شيء خطر على ذهني، واعتقدت انك ربما تحبين الانصات لهذه الفكرة البسيطة التي جاءتني والتي تتعلق بالعمل التجاري. فأنا رئيس مؤسسة تجارية كبيرة للغاية، وظننت ـ حسناً. واني متأكد ان هذين الشخصين الصغيرين في السن سيسمحان لنا بأن نتركهما لفترة قصيرة. هذا إذا لم يكن عندك مانع من سماع أفكاري. أيمكنك الذهاب معي إلى الصخرة هناك؟ وانا معي بعض الجرائد لنجلس عليها». ودهش من نفسه لقولة هذا الكلام.

وقالت كاميل لنفسها «أوه، يا إلهي، ها هي المتاعب آتية في الطريق».

ونزل المستر برتشارد من الأتوبيس أولاً ثم ساعد كاميل في مروءة على النزول من الأتوبيس وأمسك بمرفقها وهي تخطو عبر الحفر ثم أرشدها في رفق إلى الجرائد المفروشة التي سبق ان جلس عليها أرنست. وأشار بيده لها لكي تجلس.

فقالت كاميل «أوه. لست أدري. لقد ظللت جالسة لفترة طويلة».

وقال المستر برتشارد «ربما التغيير في المكان يجعلك تشعرين بالراحة. فأنا عندما أقضي الساعات الطويلة في العمل جالساً إلى مكتبي أقوم بتغيير ارتفاع الكرسي الذي أجلس عليه كل ساعة تقريباً واكتشفت ان هذا العمل يجدد نشاطي». وساعدها على الجلوس على الجرائد. وغطت ركبتها بجونلتها. وجلست محتضنة ركبتيها إلى صدرها.

وجلس المستر برتشارد بجوارها. وخلع نظارته. وقال «لقد كنت أفكر. ان أي رجل في مثل مركزي ينبغي عليه ـ كما تعرفين ـ ان ينظر للأمام ويخطط للمستقبل، وانا الآن من حيث المصطلح الفني في

إجازة». وابتسم واستطرد «إجازة ـ ولست أدري على أي وجه تكون الاجازة الحقيقية».

وابتسمت كاميل. وشعرت بالأرض جافة للغاية تحتها. ولم تعرف كم من الوقت سيستغرق هذا الحديث.

وقال المستر برتشارد «ان المادة الخام الرئيسية لأي شركة ناجحة هي الآن العنصر البشري، ولذلك فأنا دائم البحث عن العنصر البشرى باستطاعة الإنسان الحصول على الصلب والمطاط في أي وقت ولكنه من الصعب عليه الحصول على الاذهان والمواهب والطموح والجمال».

فقالت كاميل «اسمع يا سيدي. انني أشعر بالتعب إلى حد مخيف».

«أعرف ذلك يا عزيزتي. سأدخل في الموضوع مباشرة. انني أريد لك ان تعملي موظفة عندي. وتلك هي أبسط صيغة يمكنني ان أقولها لك».

«وما هو نوع العمل الذي ستلحقني به؟».

«تعملين كفتاة استقبال. وهو عمل تخصصي للغاية. وبعد ذلك يمكنك أن تصبحي ـ حسناً تصبحي سكرتيرة خاصة لي».

وكان ذلك هو أقصى ما يمكن أن يقوله لكاميل. ونظرت كاميل إلى مدخل الكهف الذي ترقد فيه المدام برتشارد فإنها لم تتمكن من رؤية أي شيء «وما الذي ستقوله زوجته إزاء ذلك الأمر؟».

«حسناً. وما الذي يمكنها ان تفعله إزاء ذلك؟ انها لا تدبر لي أعمالي ولا تصرف لي شؤوني».

«سيدى. انني كما قلت لك أشعر بالارهاق الشديد. لا داعي لأن نتوصل إلى اتفاق في هذا الشان. فأنا أرغب في الزواج. وربما أكون زوجة ممتازة تعيش غيشة الاستقرار مما يجنبني القلق والمتاعب لبعض الوقت. بل وربما أكون مخلصة للرجل الذي أتزوجه».

فقال المستر برتشارد «لا أعرف ما تهدفين إليه».

فقالت كاميل «أنت تعرف. وأنت لن تشعر بالارتياح نحوي لأنني لا أجعل الأمور تسير وفق هواك. فأنت تريد ان تكسب ودي وتتملقني لبضعة شعور ثم تفاجئني بإجراء غير متوقع لكي تجبرني على ذلك الأمر. ولكنني الآن أكاد أكون مفلسة وأنت تقول ان زوجتك لا تدبر شؤون عملك التجاري ولكني أقول انها تفعل ذلك. انها تتصرف في أمورك وفي عملك التجاري وفي كل شيء يتعلق بك. انني أبذل جهودا لكي أكون لطيفة معك ولكنني أشعر بالارهاق. ومن المحتمل ان تكون هي التي تختار لك هيئة السكرتارية الخاصة بك دون أن تدري، انها امرأة تتصف بالقسوة والصلابة».

«إنني لا أعرف عم تتحدثين؟».

وقالت كاميل «أنت تعرف. ومن الذي اشترى لك ربطة عنقك؟».

«حسناً».

«إن زوجتك ستكشف أمري في دقيقة واحدة، ستكشف أمري، والآن دعني أتكلم معك كلمات قليلة، انك لا تستطيع أن تطلب من فتاة ما تريده منها بكل صراحة، فتضطر لأن تلف وتدور حول الموضوع ولكن لا يوجد هناك سوى طريقتين يا سيدي. فأنت أما ان تقع في الحب والغرام وأما ان تقترح عملا. ولو انك قلت لي (ها هو السبيل إليك. مبلغ كبير للغاية قد توصلت إلى قرار في هذا الشان ولكان ذلك الأسلوب قد نجح معي. ولكني لن أدع نفسي أتآكل وانقرض حتى الموت بسبب الدولارات. أتريد ان تفاجئني بعد شهرين أو ثلاثة عقب جلوسي إلى إحدى المكاتب. لقد أصبحت كبيرة في السن إلى درجة تجعلني لا أرحب باللعب».

وكان ذقن المستر برتشارد شامخا في كبرياء واعتزاز بالنفس. وقال «زوجتي لا تدير لي أعمالي، ولست أدرى كيف حصلت على هذه الفكرة؟».

فقالت كاميل «أوه. دعك من هذه النقطة».

واستطردت «ولكني باستطاعتي ان أثور على مجموعة من الحيات الرقطاوات الشبيهات بزوجتك إذا لم يشعرن نحوي بالمودة والارتياح». وقال المستر برتشارد «إنني مندهش من اتجاهاتك، فأنا لم أفكر مطلقاً في أي شيء من هذا القبيل. لقد حاولت فقط ان أعرض عليك وظيفة. ويمكنك أن توافقي أو ترفضي».

فقالت كاميل «أوه. إذا كنت تضلل نفسك وتدفع نفسك إلى الاعتقاد في ذلك. فالله يكون في عون أي فتاة تحصل عليها. فهي لن تعرف مطلقاً المكان الذي تقف عليه».

فابتسم المستر برتشارد وقال «أنت فقط تشعرين بالارهاق والتعب. وأمل عندما تحصلين على قسط من الراحة ان تفكري في هذا الأمر وتقولين لي رأيك».

وكان الحماس قد تخلي عن صوته وعندئذ شعرت كاميل بالارتياح واعتقدت أنها قد ارتكبت خطأ لأنه كان من السهل للغاية التعامل معه بالشكل الذي يرضيها فهو لا يعدو ان يكون طفلاً رضيعاً. وكان باستطاعة لورين ان تأخذ منه قميصه في يوم واحد.

ورأي المستر برتشارد وجهها حينئذ بشكل مختلف إذ شاهد في وجهها الصلابة والتحدي. وما ان تم هذا عن كثب حتى رأى المكياج والطريقة التي كان موضوعا بها، وشعر أنه عارياً أمام هذه الفتاة وتضايق لأنه سمح لها ان تتحدث إليه بهذه الطريقة. وهو كان قد وضع في خطته

انه لو سارت الأمور على ما يرام فإنه سيتصرف على ذلك النحو ولكن المشكلة هي انها قد عرفت مقدماً خطته فكشفت ألاعيبه.

وكان مضطربا ومرتبكا ومن خلال اضطرابه بدأ الغضب يزحف في داخله مرة ثانية. وكان تعرضه للغضب مرتين في يوم واحد يعتبر أمراً غير طبيعي بالنسبة له. وكانت رقبته قد بدأت تكتسي باللون الأحمر بسبب مشاعر الغضب. وكان عليه ان يتخلص من انفعالات الغضب من أجل صالحه هو. فقال في اقتضاب «إنني بكل بساطة عرضت عليك وظيفة وأنت لا تريدينها، وهو كذلك فهذا يرجع عليك. ولكن لا داعي لأن تكوني مبتذلة فهناك ما يسمى بالذوق الذي تتصف به النساء».

فظهرت الحدة في صوتها وقالت «اسمع يا ماك ان باستطاعتي أن أغلظ في القول أيضاً. فسيدة الأعمال هذه تفعل ذلك. انني سأقول لك شيئا: لقد ظننت انك رأيتني من قبل. والآن فانني أسألك أأنت تنتمي لأية نوادي مثل: الاكتاجون الدولي أو ذي بيردز أو ذا ورلد أو نادي توفيقتي ـ ثرى ثاورزاند؟».

فقال المستر برتشادر في فتور «أنا عضو في نادي الاوكتاجون».

«أتذكر تلك الفتاة التي تجلس في كأس الخمر؟ لقد رأيت الشكل الذي تبدون عليه أيها الاولاد. وانا لا أعرف ما تحصلون عليه من وراء ذلك ولا أريد أن أعرف. ولكنني أدرك ان ذلك ليس أمراً حسناً يا سيدي. وربما قد تعرف سيدة إذا رأيت واحدة. لست أدري».

وبدأ صوتها يتهدج قليلاً. وكانت تتعرض في الغالب لهستيريا الإرهاق. فقفزت واقفة على قديمها «انني ذاهبة الآن للنزهة يا ماك ولا تحاول أحداث متاعب لي لأنني أعرفك وأعرف زوجتك».

وسارت بعيداً على وجه السرعة. وشاهدها المستر برتشارد وهي

تنصرف. وكانت عيناه متسعتين وكان صدره يرزح تحت هم ثقيل وتحت نوع من الرعب الفيزيقي الذي يعتمل في داخله إلى أقصى مراحله وشاهد جسدها الجميل وهي تتمخطر وتتمايل أثناء ذهابها. ورأي ساقيها الجميلتين وقام ذهنه بخلع ملابسها فظهرت واقفة بجانب الكأس الضخم بينما الخمور تنساب في جداول حمراء اللون فوق بطنها وفخذيها وردفيها.

وكان فم المستر برتشارد مفتوحا. وكانت رقبته حمراء للغاية. ثم أشاح بنظره بعيداً عنها وراح يفحص يديه. وآخرج مبرد أظافره الذهبي ثم أعاده إلى جيبه مرة أخرى وهبط عليه شيء من الدوار، ووقف في حيرة، ثم سار تحت الصرة متجها إلى الكهف الصغير الذي ترقد فيه المدام برتشارد.

وافتحت عينيها وابتسمت لدى دخوله إليها. واصطجع المستر برتشارد إلى جوارها بسرعة وجذب معطفها لأعلى وزحف تحته.

فقالت «يبدو عليك الإرهاق يا عزيزي إليوت ماذا تفعل؟ إليوت!!».

وقال «اخرسي. استمعيني؟ اخرسي. أنت زوجتي. أليس كذلك؟ الا يكون للزوج أية حقوق على زوجته؟».

«إليوت. أنت مجنون. سيراك ـ سيراك أي شخص».

وقاومته في هلع ورعب وقالت «إنني لا أعرف» واستطردت «إليوت. انك تمزق ردائي».

«لقد اشتريته. أليس كذلك؟ لقد سئمت من ان أعامل كانني قط مريض».

وراحت برنس تبكي بهدوء في خوف ورعب، وعندما تركها أخذت تبكي ووجهها ملقى في استرخاء على معطف الفراء الخاص بها.

وتدريجيا توقف بكاؤها ثم جلست ونظرت إلى الخارج من خلال فتحة الكهف، وكانت عيناها متوحشتين. ثم رفعت يديها ووضعت أظافرها على خدها وجذبت الاظافر لأسفل مرة واحدة على سبيل التجربة ثم عضت شفتها السفلى ونزلت بأظافرها لأسفل محدثة خدوشا وقطوعا. وشعرت بالدماء تنساب في بطء من الأجزاء المخدوشة فمدت يدها ولوثتها فوق أرضية الكهف ثم حكت التراب في خدها النازف بالدماء فانسابت الدماء لأسفل عبر التراب وهبطت إلى أسفل ذقنها حتى وصلت إلى الجزء الأعلى من ردائها.

الفصل الثامن عشر

وخرج كل من ميلدريد وجوان من الإسطبل وقالت ميلدريد «انظر! لقد توقف المطر. وانظر إلى الشمس فوق الجبال. سيصبح الجو جميلاً».

فابتسم جوان.

وقالت ميلدريد «إنني كما تعرف أشعر انني رائعة... أشعر انني في قمة السعادة».

وقال جوان «أكيد».

«أتشعر بانك رائع إلى الحد الذي يجعلك تمسك لي مرآتي؟ فأنا لا أستطيع أن أرى ما بداخلها هناك».

وآخرجت مرآة صغيرة مستديرة من حقيبة يدها وقالت.

«هنا. لا. أعلى من ذلك قليلاً» ومشطت شعرها على وجه السرعة. وربتت بالبودرة في رفق على خديها ووضعت أحمر الشفاه وحملقت عن كثب للغاية في المرآة لأنها كانت ترى على مسافة قصيرة للغاية «أتظن انني ثرثارة بشكل لا يتناسب معي كفتاة غير عذراء؟».

فقال «أنتِ على ما يرام. وانا معجب بك».

«مجرد أعجاب فقط. ولا شيء أكثر من ذلك؟».

«أتريدين منى ان أكذب عليك؟».

فضحكت «أظن انني أريد ذلك بعض الشيء. لا ـ لا أريد ذلك هل تريد ان تأخذني معك إلى المكسيك؟».

«لا».

«وهذه هي نهاية المطاف إذن؟ الا يوجد هناك أي شيء آخر؟».

فسألها جوان «وكيف لي أن أعرف؟».

وأعادت المرآة وأحمر الشفاه إلى حقيبة يدها ونعمت أحمر الشفاه على شفتيها بوضع شفة فوق أخرى. ثم قالت «نظف معطفي من القش. ممكن؟».

واستدارت. وراح جوان ينظف معطفها بيده. واستطردت قائلة «لان والدي ووالدتي لا يعرفان شيئاً عن هذه الأمور. فأنا واثقة من انهما ينظران إلي على انني غير مدنسة وطاهرة تماماً. لقد غرست أمي بذرتي. غرست بصلة من أجود الأنواع قبل أن يجيئ الثلج ثم هالت على التربة والرمال والسماد». وكانت تشعر بالدوار. «الا تستطيع الذهاب إلى المكسيك؟ وما الذي ستفعله الان؟».

«سأعود وآخرج الأتوبيس من وهدته وأقوده إلى سان جوان» ثم سار نحو بوابة الإسطبل القديم.

«أباستطاعتي ان أمسك بيدك لبعض الوقت فقط؟».

فنظر جوان إلى يده ذات الإصبع المبتور في جزئه الأعلى وبدا يتحرك إلى الجانب الآخر ليعطيها يده الكاملة.

فقالت «لا. انني أحب تلك اليد الأخرى» ثم أمسكت يده وراحت تحك إصبعها فوق الجلد الناعم للمكان المبتور.

فقال «لا تفعلي ذلك. لأن هذا يثير أعصابي».

فأمسكت يده في أحكام وقالت «لا داعي لأن أضع نظارتي على عيني».

وكانت سلاسل الجبال الواقعة إلى الشرق منهما ساطعة وذهبية مع غروب الشمس. واستدار كل من جوان وميلدريد نحو اليمين وبدءا في الصعود إلى أعلى التل في اتجاه الأتوبيس.

«أستقول لي شيئاً كأجر ـ حسناً كأجر لي على ارتكاب الخطيئة معك؟».

فضحك جوان «وماذا تريدين؟».

«لماذا اتجهت إلى هنا؟ أظننت انني كنت سأجيئ وراءك إلى هنا؟».

فسألها جوان «أتريدين ان إذكر لك الحقيقة أم تريدين مجرد المداعبة واللعب؟».

«حسناً. أريد كلا الأمرين. ولكن لا. أظن انني أريد الحقيقة أولا».

فقال جوان «حسناً. لقد كنت في طريقي للهروب، كنت بصدد شق طريقى عائداً إلى المكسيك واختفي نهائيا. وأترك المسافرين يهتمون بشؤون انفسهم».

«أوه. ولماذا لم تفعل ذلك؟».

فقال «لست أدري. لقد سارت الأمور بطريقة غير مستحبة. فعذراء جوداليوب أوقعتني في الحفرة. ولكني أعتقد انني خدعتها. وهي بالطبع لا تحب الخداع. فأماتت الحماس اللازم لتنفيذ فكرتي».

وقالت له في جد «إنك لا تعتقد في ذلك. وانا أيضاً لا أعتقد في ذلك القول. فما هو إذن السبب الحقيقي؟».

«السبب الحقيقى لأي شيء؟».

«السبب الحقيقي في مجيئك إلى ذلك المكان القديم؟».

استمر جوان في السير وانفرج وجهه عن ابتسامة مشرقة فأبعدت الندبة الغائرة فوق شفته الابتسامة عن مركزها. ونظر لأسفل إليها وكانت عيناه السوداوان دافئتين. «لقد جئت إلى هنا على أمل ان تخرجي للنزهة. وخطر على ذهني انني قد أتمكن من التوصل إليك والفوز بك».

فلفت ذراعها حول ذراعه وجذبته بشدة على كم جاكتته. وقالت «إنني أتمنى استمرار ذلك الأمر لفترة أطول قليلاً. ولكنني أعرف ان ذلك لن يحدث. مع السلامة يا جوان».

فقال «مع السلامة». وسارا في بطء عائدين تجاه الأتوبيس.

الفصل التاسع عشر

كان فان برانت يرقد ممددا على المقعد الخلفي للأتوبيس. كانت عيناه مغلقتين ولكنه لم يكن نائما. وكانت رأسه مستندة على ذراعه الأيمن. وتسبب ثقل رأسه في منع سريان الدماء إلى يده اليمنى سريانا كاملا.

وعندما غادر المستر برتشارد وكاميل الأتوبيس ظل بيميلز ونورما صامتين لبعض الوقت.

وانصت فان برانت إلى الكهولة وهي تزحف في أوردته. وكان باستطاعته ان يحس بحفيف الدماء في شراينه الدقيقة كالورق كما كان باستطاعته سماع قلبه الذي يدق في صفير حاد قصير. وكانت يده اليمنى على وشك التنميل والتخدير ولكن يده اليسرى هي التي سببت له الضيق والمتاعب إذ لم يكن بها قدر وفير من الإحساس. إذ كانت بشرة يده اليسرى خالية من الإحساس كما لو كانت مصنوعة من المطاط السميك، وهو كان يدلك يده عندما يكون وحيداً لكي يعيد إليها الدورة الدموية وكان يعرف حقيقة أمره ولكنه لم يذكر ذلك صراحة لنفسه الا فيما ندر.

وهو منذ شهور قليلة أغمي عليه لفترة قصيرة فقط. وقام الطبيب بقياس ضغط الدم وأخبره ان يأخذ الأمور ببساطة كما طمانه وأوضح له

انه سيتحسن ويصبح على ما يرام. ومنذ أسبوعين فقط حدث له شيء آخر. إذ كان هناك وميض كهربائي في رأسه خلف عينيه عبارة عن إحساس شبيه بضوء قوي أزرق فاتح يخطف بالابصار بشكل مريع استمر لثانية واحدة فقط فأدى هذا إلى فقد قدرته على القراءة. إلا أن هذا لم يؤد إلى فقد الرؤية تماماً. إذ كان يرى بوضوح بالقدر الكافي ولكن الكلمات فوق أي صفحة من الورق كانت تسبح وتجري مع بعضها البعض وتتلوى كالثعابين مما أدى إلى تعذر متابعتها وفهم معناها.

وكان يدرك تماماً انه قد تعرض لهجومين صغيرين فجائيين من المرض. ولكن ذلك كان سراً لم يبح به لزوجته وهي نفسها كانت تعرف عنه ذلك السر وأخفته عنه والطبيب عرف ذلك وأخفاه عن كليهما وانتظر. انتظر حدوث هجوم آخر. وكان يدرك ان الهجوم الجديد سيحدث وميضا في ذهنه وميضا يسري في أرجاء جسده مما قد يؤدي إلى قتله أو تخدير جميع إحساساته، وكان يدرك ان ذلك الأمر قد حوله إلى شخص حاد المزاج وساخط وغاضب من كل شخص. وتزاحم في حلقه الغضب الفيزيقي من جميع الأشخاص المتواجدين حوله.

وجرب جميع النظارات التي يمكن الاستعانة بها فاستخدم نظارة مكبرة لدى قراءته للصحف والمجلات لأنه هو نفسه كان يحاول بنصف ذهنه إخفاء حالته الصحية عن نفسه بحيث تظل سرا. وأصبحت ثورات غضبه تنفجر عنه بطريقة فجائية ودون سابق انذار. ولكن الرعب الحقيقي بالنسبة له هو انه أصبح يصيح في عويل وصراخ دون أن يتمكن من التوقف وكبح جماح نفسه.

ومنذ وقت قريب استيقظ في الصباح الباكر وقال لنفسه «ولماذا ينبغي لي انتظار حدوث ذلك؟».

لقد مات والده بسبب نفس الشيء ولكنه قبل أن يموت ظل طريح الفراش مثل الدودة الرمادية التي لا حول لها ولا قوة لمدة ٢١ شهراً حتى انه أنفق جميع الأموال التي اقتصدها لمواجهة شيخوخته على روشتات الأطباء. وكان فان برانت يدرك انه لو حدث له نفس الشيء فإن رصيده في البنك الذي يصل إلى ٨٠٠٠ دولار ستذهب أدراج الرياح بحيث لا يتبقى شيء لزوجته عقب دفنه ومواراته التراب.

وبمجرد ان فتحت مخازن الادوية أبوابها في ذلك اليوم ذهب إلى صديقه ميلتون بوستن صاحب مخزن أدوية بوستن.

وقال «أريد ان أقدم السم لبعض حيوانات السنجاب يا ميلتون أعطنى قليلاً من مادة السيانيد السامة. ممكن؟».

فقال ميلتون «إنها مادة خطيرة للغاية. وانا لا أحب بيعها. ويمكنني ان أعطيك شيئاً من مادة الاستركنين السامة. فهي تقوم بنفس المهمة».

فقال فان برانت «لا» واستطرد «لقد حصلت على نشرة حكومية بها صيغة جديدة تروج للسيانيد».

فقال ميلتون «حسناً. وهو كذلك. وسيكون عليك أن توقع في دفتر السموم بالطبع. ولكن يجب عليك الاحتراس من تلك المادة يا فان. احترس منها. ولا تتركها فيما حولك».

لقد كانا صديقين حميمين لسنوات عديدة. وقد التحقا بالمحفل الأزرق Blue lodge سوية ونفذا إلى المناصب العليا ومع تعاقب السنين شغلا منصب المعلم المقدس الموقر لمحفل سان يسيدرو. وبعدئذ صعد ميلتون إلى الرويال آرش Royal Arch وإلى الاسكوتش رايت Scottish Rite أما فان برانت لنم يتخط الدرجة الثانية.

ولكنها ظلا صديقين.

«ما هي الكمية التي تريدها من هذه المادة؟».

«حوالي أوقية فيما أظن».

«هذه كمية كبيرة للغاية. يا فان».

«سأعيد إليك الجزء الذي لا أستخدمه».

وشعر ميلتون بالخوف والارتعاد. وقال «لا تلمس هذه المادة بيديك على الإطلاق. ممكن؟».

فقال فان بارنت «أعرف كيفية استخدامها».

ثم ذهب إلى غرفة مكتبه في بدروم منزله ووخز ظهر يده بمطواة جيب حادة. وعندما خرجت كمية ضئيلة من الدماء فتح الانبوبة الزجاجية المحتوية على البلورات الكريستال. وعندئذ توقف لم يستطع ان يفعل ذلك. لم يستطع ان يغمس الكريستال في الجرح.

وبعد ساعة أخذ الانبوبة إلى البنك ووضعها في صندوق الودائع الخاص به إلى جوار وصيته وبوليصات التأمين الخاصة به. وفكر في شراء انبوبة صغيرة ليضعها حول عنقه. بحيث إذ جاءت النوبة يضعها في فمه مثلما فعل أولئك الناس في أوربا. ولكنه لم يستطع ان يأخذها في هذه الرحلة، فربما لا تجيء له النوبة الكبرى.

وكانت هناك اثقال من اليأس ومشاعر الإحباط في داخله كما كانت هناك موجات من الغضب في أعماقه. فجميع الناس المحيطين به الذين لم يكونوا في طريقهم إلى الموت كانوا يثيرون غضبه. وشيء آخر كان يضايقه. فقد أزاحت نوبة المرض الفجائي النقاب عن إحدى الممنوعات عنده. إذ أخذ يشعر فجأة مرة أخرى برغبات قوية وراح ينجذب انجذابا لاهثا نحو النساء بل ونحو الفتيات المراهقات. وأصبح لا يستطيع أن يمنع عينه وفكرة عنهن. وفي ذروة رغباته المريضة قد ينفجر باكيا

بالدموع. وكان يشعر بخوف مثيل خوف طفل من منزل غريب غير مألوف له.

وكان كبيراً في السن على نحو لا يسمح له بالتوافق مع التغييرات التي حدثت في شخصيته عقب نوبة المرض وما نتج عن ذلك من طبيعة جديدة له. وهو لم يسبق له مطلقاً ان كان قارئاً جيداً. ولكن ما ان أصبح غير قادر على القراءة حتى أخذ يشعر بالرغبة الشديدة في القراءة وأصبح مزاجه أكثر حدة وعنفا طوال الوقت حتى ان الناس الذين عرفوه لسنوات طويلة بدءوا يتجنبونه ويتخلون عنه.

وانصت للوقت وهو يمر في شارييه. وأراد لسنوات ان يجيئ ولكنه كان خائفاً من الموت في نفس الوقت. ومن خلال عينيه شبه المغلقتين شاهد الضوء الذهبي لغروب الشمس يدخل إلى الأتوبيس. فتحركت شفتاه قليلاً وقال «المساء. المساء. المساء» وجاءت الكلمة جميلة للغاية. وكان باستطاعته سماع الصفير في قلبه. وهبطت عليه مشاعر عارمة منتفخة في صدره ومتورمة في حلقه ونابضة في رأسه وتراءى له انه سيصيح في صراخ وعويل مرة ثانية. وحاول ان يقبض يده اليمنى ولكنها كانت نائمة ولم تنقبض.

وبعدئذ صار متخشباً متصلباً بفعل التوتر. وبدأ جسده ممددا مثل قفاز من المطاط مملوء بالهواء. وتوهج ضوء المساء في داخله. وفي مؤخرة عينيه جاء وميض مخيف مرفوف. وشعر بنفسه يتشقلب ويتشقلب نحو ألوان رمادية ونحو ظلام وفي سواد وفي سواد...

ولامست الشمس التلال الغربية وبسطت نفسها. وكان ضوؤها أصفر وصافيا. وكان الواديْ المشبع بالماء متألقا تحت الضوء المنبسط. وكان الهواء النظيف المغسول هشا. وفي الحقول أحكمت الغلال المنبسطة

وجذوع أشجار الشوفان البرية الفاقدة الحركة وثاق نفسها. وارتخت أوراق الخشخاش الذهبية الداخلة في غمدها بعض الشيء. وكان النهر الاصفر يغلي ويلف ويدور في شكل دوامة ويقطع جسوره في شر مستطير وعنف شديد. وفي المقعد الخلفي للأتوبيس كان فان برانت يشخر بصوت خشن فوق سقف فمه. وكانت جبهته مبللة وكان فمه مفتوحا. وكذلك كانت عيناه.

الفصل العشرون

وانتقل بيميلز إلى المقعد الموجود بجوار نورما. فجمعت جونلتها حولها بطريقة مهذبة وانزلقت قليلاً إلى جوار النافذة.

وسألها في شيء من الشك «ماذا يريد ذلك الرجل العجوز من تلك الفتاة على ما تظنين؟». وقالت نورما «لا أدري. ولكني أقول لك شيئاً واحدا. انها تستطيع التعامل معه بلياقة. فهي فتاة رائعة».

وقال بيميلز «أوه. لا أعرف ذلك فهناك آخريات رائعات».

فسرى الغضب في داخل نورما وقالت له في سخرية.

«مثل من؟».

وقال بيميلز «مثلك».

فقالت «أوه» ولم تكن تتوقع سماع هذا القول. ونكست رأسها وحملقت في أصابعها المزدانة محاولة استعادة توازنها.

وقال بيميلز «ما هو السبب في ذهابك وتركك العمل».

«حسناً. كانت المدام شيكوي غير لطيفة معي».

«أعرف ذلك. فهي غير لطيفة مع أي شخص. ولكني أود الا تتركي العمل. فربما نتمكن من مواجهة الحياة سوية».

فالتزمت تورما بالصمت. وقال بيميلز «أنا تحت أمرك. إذا كنت تريدين طعاما ساخرج لك واحدة من فطائر الزبيب. فهي لذيذة الطعم».

«لا. لا. شكرا. لا أستطيع تناول أي شيء».

«أأنت مريضة؟».

«لا».

«حسناً. لو أنك عدت إلى العمل في الكورنرز فلربما نستطيع الذهاب إلى سان يسيدرو في أيام السبت ليلاً ونرقص سوية وأشياء من هذا القبيل».

فقالت «أنت لم تفكر في هذا الأمر من قبل».

«لانني كنت اعتقد انك غير معجبة بي».

وكانت قد أصبحت آنئذٍ على قدر من الدهاء والمكر. وكانت هذه لعبة ممتعة. فقالت له «وما الذي يجعلك تظن أنني معجبة بك الآن؟».

«حسناً. أنت الآن مختلفة عن ذي قبل. طرأ عليك نوع من التغيير. انني أحب تسريحة شعرك الجديدة».

فقالت «أوه. تلك. حسناً. لا يوجد هناك أي داع لأن أعود ثانية إلى صالة الطعام. فمن ذا الذي سيراني هناك؟».

فقال بيميلز في شهامة ومروءة «أنا الذي سأراك. أرجعي إلى العمل. فهم سيعطونك وظيفتك مرة أخرى. وانا أضمن لك ذلك».

فهزت رأسها «لا. عندما أترك العمل فأنا أترك العمل. لا رجعة في ذلك. لن أركع على ركبتي وأعود إليهم. وإلى جانب ذلك فالمستقبل أمامي. فنحن قد وضعنا خططاً».

«وما هي هذه الخطط؟».

ولم تدر نورما ما إذا كان عليها ان تخبره. فالتحدث في مثل هذه الأمور يجذب في بعض الأحيان الحظ السيء. ولكنها لم تستطع كتمان السر في داخلها «إننا سنحصل على شقة صغيرة بها كنبة كبيرة من النوع الذي يتحول إلى سرير في حالة الضرورة. وبها راديو وسيكون لدينا موقد وثلاجة. كذلك سألتحق بالدراسة لكي أصبح ممرضة في طب الأسنان». وكانت عيناها لامعتين.

«من الذي تقصدينهم بكلمة (نحن)؟».

«أقصد بكلمة نحن: أنا والآنسة كاميلي أوكس. عندما أصبح ممرضة للأسنان سيكون باستطاعتي ان أرتدي الثياب الجميلة وسنذهب إلى العروض السينمائية وغيرها من العروض الأخرى وربما نتناول العشاء في الخارج من وقت لآخر».

فقال بيميلز «كلام فارغ. لن تفعل ذلك أبدا».

«وما الذي يجعلك تقول ذلك؟».

«لن تفعل ذلك. وهذا هو كل ما في الأمر. والآن. لماذا لا تعودين إلى الكورنرز؟ انني أقوم بدراسة الرادار وسوف نخرج سوية في بعض الأحيان ومن يدري فربما يرتبط مصيرنا ببعض. ولكنك تأخذين فتاة ـ وهذه الفتاة على وشك ان تتزوج. أما انا الشاب صغير. وانه ـ وانه لمن المناسب للشاب الصغير ان تكون له زوجة. فذلك يعطي له نوعا من الطموح».

فنظرت نورما في وجهه نظرة مستفيضة مليئة بالتساؤل والاستفسار لترى ما إذا كان يهزأ بها. وكان هناك شيء مباشر في نظرتها مما جعل بيميلز يحرف المعنى المستتر وراء نظرتها. فنظر بعيداً عنها في خجل وارتباك.

وقال في مرارة «أعرف. أنت تظنين انك لا تستطيعين الذهاب للنزهة مع شاب تعلو وجهه هذه الأشياء. لقد فعلت المستحيل. وانفقت ما يزيد على خمسمائة دولار في الذهاب للأطباء وشراء الادوية من مخازن الادوية. ولكن كل ذلك لم ينفع. وقال لي أحد الأطباء ان هذه البثور لن تدوم طويلا. وقال انها ستتلاشى في خلال عامين آخرين ولكنني لا أعرف ما إذا كان هذا القول سيتحقق». واستطرد في وحشية «اذهبي إلى سبيلك وأحصلي على شقتك الملعونة. وربما أحصل انا على متع في الحياة لم تسمعي عنها من قبل. ولست ملزما بسماع الكلام الفاضي من أي شخص وتصديقه» وكان صوته بائسا للغاية. وحملق لأسفل نحو حجره.

ونظرت نورما إليه في دهشة. فهي لم يسبق لها ان عرفت هذا النوع من الألم الدنيئ في أي شخص آخر باستثناء ذاتها. حيث لم يسبق لأحد ان كان بحاجة لنورما من أجل الحنان أو إعادة توكيد الذات. فانفجرت في داخلها فقاقيع من الدفء ونوع من الامتنان والتقدير.

وقالت «لا تفكر على ذلك النحو. لا يجب عليك أن تفكر بهذه الطريقة. لأن أية فتاة إذا اهتمت بأمرك لن تفكر مثل ذلك التفكير. والطبيب الذي قال لك ان البثور ستتلاشى يعرف تماماً ما يقوله. كما أنني سبق لي أن عرفت ثلاثة آخرين كانوا يعانون من البثور وتلاشت هذه البثور بعد فترة قصيرة».

وظل بيميلز منكسا رأسه. كان البؤس لا يزال في داخله. ولكن كان الشيطان يتحرك في داخله في نفس الوقت. وأحس ان كفة الميزان تميل إلى داخله فبدأ يستغل الموقف. وكان ذلك الأمر جديداً عليه. كان بمثابة اكتشاف جديد. وهو دائماً ما كان يتحدث في عنف وحرية مع الفتيات

في شيء من التباهي والتفآخر وكان ذلك أمراً سهلا للغاية وبدأ شيطان خبيث يعمل في داخله.

وقال «حسناً. انها تظهر فقط ولا يستطيع الإنسان تحملها. بل إنني في بعض الأحيان اعتقد انني سأقتل نفسي» وأرغم نفسه على التظاهر بالبكاء مع شيء من التنهيد.

فقالت نورما «والآن. لا تقل هذا الكلام».

وكانت هذه مهمة جديدة بالنسبة لها أيضاً ولكنها مهمة تتناسب معها ربما بشكل أفضل من أي إنسان آخر.

وقال بيميلز «لا أحد يحبني» واستطرد «لا أحد يشغل باله من أجلي».

وكررت نورما قولها «لا تقل مثل هذا الكلام. فهذه ليست حقيقة فأنا معجبة بك دائماً».

«لا. أنت لم تشعري نحوي بالإعجاب أبدا».

«أؤكد لك ذلك». ثم وضعت يدها على ذراعه لتؤكد ذلك المعنى وفي اندفاع أعمى ارتفع بهامته لأعلى وضغط به على ذراعها. وأمسكت ذراعه ذراعيها واعتصر أصابعها فتراجعت للخلف تلقائيا. واستدار في مقعده ولف ذراعيه حولها ودفع بوجهه إلى وجهها.

فصاحت «لا تفعل ذلك. كف عن ذلك!!».

فأمسك بها في مزيد من الاحكام.

وقالت «توقف عن ذلك. كف عن ذلك. فذلك الرجل العجوز موجود في الخلف هناك» فهمس بيميلز قائلاً:

«استمعي إلى شنخير ذلك الرجل العجوز ابن الحرام، ان شخيره يدق إذنه. هيا تعالي. تعالي».

وحشرت مرفقيها على صدره لكي تباعد بينها وبينه. وبدأت يداه تجذبان بشدة جونلتها فهمست قائلة:

«توقف.. عليك فقط بالتوقف». وأدركت آنئذٍ انها وقعت في حيلة وألاعيبه. «كف عن ذلك. دعني اخرج من هنا».

فقال لها في حماس مجنون «هيا تعالي. أرجوك. هيا تعالي» وكانت عيناه متوهجتين ولامعتين. وكان يصارع مع جونلتها.

«كف عن ذلك. أرجوك ان تكف عن ذلك. ولنفرض أن كاميل جاءت ودخلت الأتوبيس؟ ولنفرض أنها رأت هذه الأمور التي تفعلها» فزالت الغيوم عن عيني بيميلز لبعض الوقت. ونظر إليها والشرر يتطاير منه «ولنفرض أنها رأتنا. فما الذي يهمك إذا رأتنا هذه الفتاة الافاقة الملعونة؟». وهنا انفرج فم نورما واسترخت عضلاتها ونظرت إليه في غير تصديق وكانها لم تسمع ما قاله. وبعدئذ جاءها الغضب بارداً وفتاكاً. وتصلبت عضلاتها الناشفة بسبب العمل في شيء من التوتر وجذبت يدها بشدة وخلصتها منه وضربته على فمه ثم قفزت ناهضة على قدميها وهبطت عليه بجماعى يديها. ففزع للغاية وغطى وجهه بيديه ليحمي نفسه.

وكانت تصرخ غاضبة في وجهه كالقطة المعتوهة وقالت «أنت ثعلب ماكر!» واستطردت «أوه. أيها الثعلب القذر الصغير!» وراحت تركله وتدفعه إلى الخارج نحو طرقة الأتوبيس. ثم خرجت إلى الطرقة ومنها إلى خارج الأتوبيس. وتشابكت أقدامه في دعائم المقاعد وحاول ان يتدحرج. وهبط على نورما الاعياء والتعب والمرض وكانت شفتاها ترتعدان. وكانت عيناها تسيل بالدموع. وصاحت «أوه. الثعلب القذر. الثعلب القذر الذي تشمئز منه النفس».

وعبرت الحفرة وألقت بنفسها على العشب ووضعت رأسها لأسفل بين ذراعيها. ونهض بيميلز على قدميه ونظر خلسة من نافذة الأتوبيس إلى الخارج. وتملكته الحيرة ولم يدر ماذا يفعل.

وكانت كاميل تسير ببطء عائدة على الطريق فشاهدت نورما مستلقية على العشب وقد أطرقت برأسها لأسفل فخطت عبر الحفرة وانحنت عليها «ماذا حدث؟ هل وقعت على الأرض؟ وماذا دهاك».

فرفعت نورما وجهها المليء بالدموع وقالت «إنني على ما يرام» فقالت لها كاميل في اقتضاب «انهضي. انهضي من فوق ذلك العشب المبلل» وانحنت لأسفل وحركت نورما إلى أن وقفعت على قدميها وسارت بها إلى المكان الموجود تحت الصخرة وأجلستها على الجرائد المطوية «والآن قولي بحق الجحيم ماذا حدث لك؟».

فمسحت نورما وجهها المبلل بالدموع بكمها وأتلفت بذلك آخر جزء من أحمر الشفاه وقالت «لا أريد التحدث في ذلك الأمر». فقالت كاميل «حسناً. ذلك يرجع إليك فهذه مسألة خاصة بك».

«إنه ذلك الولد بيميلز. لقد أمسك بي».

«حسناً. أليس باستطاعتك حماية نفسك؟ أكان عليك أن تجذبي نفسك جذبة قوية لأسفل؟».

«لم يكن ذلك هو السبب».

«حسناً. وما هو السبب إذن؟» ولم تكن كاميل في الحقيقة تشعر بالشغف والاهتمام. إذ كان لديها ما يكفيها من متاعبها ومشاغلها الخاصة بها.

ومسحت نورما عينيها الحمراوين بأصابعها وقالت:

«لقد ضربته. ضربته لأنه قال عنك إنك أفاقة».

فأشاحت كاميل بنظرها بعيداً على وجه السرعة وحلقت عبر الوادى بينما كان آخر جزء من قرص الشمس يختفي خلف الجبال ثم دلكت خدها بيدها. وكانت عيناها كثيبتين ولكنها ارغمتها على الحيوية وعلى الابتسام وأعطت الابتسامة لنورما.

وقالت «اسمعي. أختاه. سيكون عليك فقط ان تصدقي هذا إلى أن تكتشفي بنفسك حقيقة هامة وهي ان كل شخص يكون أفاقا في مرحلة ما من مراحل حياته. كل شخص بدون استثناء. وأسوأ الأفاقين على الإطلاق هم أولئك الذين يطلقون على الصياغة أسماً آخر».

«ولكنك لست أفاقة».

فقالت كاميل «أتركي ذلك الأمر». واستطردت «اتركي ذلك الأمر الآن. هيا بنا. فلنحاول أن نفعل شيئاً مع وجهك، وصحيح ان وضع أحمر الشفاه من جديد لن يكون جميلا مثلما يتم في الحمام ولكنه أفضل من لا شيء».

وفتحت كاميل حقيبة يدها وراحت تبحث بجد في داخلها واستخرجت مشطاً.

الفصل الحادى والعشرون

وأسرع جوان الخطى حتى ان ميلدريد وجدت مشقة في السير بمحاإذاته. فسألته «أينبغي لينا ان نجري؟».

«من السهل علينا كثيراً إخراج الأتوبيس من وهدته إذا كان ضوء النهار ما زال موجودا. فذلك أفضل من التعثر في الظلام».

وهرولت على الطريق بجانبه «أتظن أن باستطاعتك إخراجه؟».

«نعم».

«حسناً. إذن لماذا لم تفعل ذلك في بادئ الأمر بدلاً من السير بعيداً؟».

فأبطأ من خطواته للحظة وقال «لقد أخبرتك. أخبرتك مرتين».

«أوه. نعم. إذن فأنت كنت تقصد ذلك حقاً».

وقال جوان «إنني في الحقيقة أقصد كل شيء».

ووصلا إلى الأتوبيس بعد أن انزلقت الشمس تحت سلسلة الجبال ولكن السحب العليا كانت مضاءة بلون وردي وكانت تلقي شفافية وردية فوق الأراضي والتلال.

وتحرك بيميلز في خفية خارجاً من خلف الأتوبيس عندما اقترب جوان. وكان يبدو عليه نوع من الانكماش العدائي. وسأل بيميلز «متى سيجيئون إلينا لنجدتنا؟».

فقال جوان في اقتضاب «لم أستطع إحضار أي شخص» واستطرد «سيكون علينا أن نفعل ذلك الأمر بأنفسنا».

«سنحتاج للمساعدة. أين بحق الجحيم جميع الأشخاص الموجودين معنا؟».

فقال بيميلز «إنهم مبعثرون هنا وهناك».

«حسناً. آخرج القماش المشمع».

«لقد أخذته تلك السيدة المستلقية هنالك».

«حسناً. أيقظها. وانا أريدك ان تبحث عن بعض الصخور والحجارة وتحضرها إلى هنا كما أريد ألواحا خشبية سميكة أو بعض الأعمدة وقد نضطر إلى هدم جانب من السور. ولكن يجب المفتوح ودفع اللسان إلى أسفل وإلى الامام. ثم صاح» بيميلز!! فانفرج فم بيميلز متدليا وارتخت كتفاه.

«انك قلت.....».

استدع جميع الرجال لأنني سأحتاج للمساعدة.

وسأحضر أنا الرافعة الضخمة من تحت المقعد الخلفي.

وتسلق جوان صاعد إلى الأتوبيس. وكان الجو مظلما بعض الشيء في الأتوبيس انئذ. وشاهد فان برانت مستلقياً على المقعد الخلفي فقال له «عليك بالتحرك حتى أستطيع استخراج الالة الرافعة». وفجأة انحنى جوان عن كثب. كانت عينا الرجل العجوز مفتوحتين ومتدحرجتين. وكان ينبعث من فمه شخير منتظم كما كان هناك لعاب حول زاويتي فمه. فقلبه جوان على ظهره فسقط لسانه في حلقه مما أدى إلى انسداد حركة الشهيق عنده. فأدخل جوان أصابعه في الفهم المفتوح ودفع اللسان إلى أسفل وإلى الامام. ثم صاح «بيميلز!! بيميلز!!» وراح يطرق

بيده الشاغرة فوق النافذة مستخدما خاتم زواجه المصنوع من الذهب. فصعد بيميلز إلى الأتوبيس.

«هذا الرجل مريض. يا للهول. استدعى الناس لكي يقدموا العون والمساعدة. أنفخ في البوق».

وكان المستر برتشارد هو الذي اضطلع برعاية فان برانت. وكان يكره ذلك الأمر فإنه اضطر للقيام به. وقطع جوان قطعة صغيرة من الخشب وأوضح للمستر برتشارد الطريقة التي يبقي بها اللسان لأسفل بحيث يحشر هذا الوتد بين سقف الفم واللسان حتى يتمكن الرجل العجوز من التنفس. وأثار منظر الرجل العجوز اشمئزاز المستر برتشارد ونفوره بل وأصيب بالغثيان بسبب الرائحة الحمضية المرة التي تنبعث من الصدر الذي يعتمل بالتنفس. ولكنه كان عليه ان يقوم بذلك العمل. ولم تكن لديه الرغبة في التفكير في أي شيء. كان ذهنه يرغب في التوقف. ودخلت زوجته إلى الأتوبيس ورأته فاتخذت لنفسها المقعد الأول خلف الباب بحيث تكون على أبعد مسافة ممكنه منه. واستطاع ان يرى حتى تحت ضوء الغسق الخدوش والدماء الموجودة فوق ياقتها. ولم تتحدث إليه.

وقال في ذهنه «لابد أنني قد أصبت بالخبل والجنون. انني لا أدري كيف فعلت ذلك. الا يمكنك يا عزيزتي ان تتصوري انني كنت فقط مريضا وخارجا عن صوابي؟» وقال في ذهنه انه سيقدم لها بيت الاركاديا الصغير. ولكنه لن يكون مثل البيوت الصغيرة وإنما سيشيد لها أجمل بيت أركاديا يمكن أن تشتريه النقود. ولكنه لن يستطيع ذكر ذلك لفترة طويلة. سيكون عليهم الاستمرار في رحلة المكسيك وهي قد تكون رحلة مرعبة ولكن سيكون عليهم الاستمرار فيها. ويا ترى كم من الوقت

سينقضي قبل أن تنمحي تلك النظرة من عينيها ويزول التانيب والشعور بوقوع الاذي عليها وتتلاشى اتهاماتها له؟ كان يدرك انها ربما لا تتكلم لأيام عديدة أو عندما تتكلم سيكون كلامها متسما بالادب الجم والاجابات المقتضبة والصوت العذب وقد لا تتقابل عيناها مع عينيه. وراح يفكر «أوه. يا إلهي. كيف تسنى لي الدخول في هذه الأمور؟ ولماذا لم أكن انا الذي يعاني من سكرات الموت هنا بدلاً من ذلك الرجل العجوز؟ فهو لن يتعرض مطلقاً لأي شيء بعد الآن».

وكان يحس بالرجل يعمل في الأتوبيس تحته. كان يسمع ضربات الجاروف وأزيز الطين والوحل كما كان يسمع الاحجار التي تلقى تحت العجلات. وكانت زوجته تجلس في تخشب وقد ظهرت فوق شفتيها ابتسامه تنم على التسامح والغفران. ولم يكن يعرف حتى ذلك الوقت الطريقة التي ستتبعها في تناول الموقف. ولكنها ستتوصل إلى طريقة معينة.

وكانت هي حزينة وقالت لنفسها «يجب ألا أفكر في الشر. فمجرد استسلام إليوت للنزعات المتوحشة ليس مبررا لأن أفقد جمالي وتسامحي وغفراني». وكان هناك خفقان من النصر في داخلها. وهمست لنفسها: «لقد انتصرت على الغضب. لقد انتصرت على الاشمئزاز. باستطاعتي ان أعفو عنه. أعرف ان باستطاعتي العفو عنه. ولكن من أجل صالحه هو يجب الا يتم عفوي عنه في وقت مبكر للغاية ـ من أجل منفعته هو سيكون على أن أنتظر» وكان وجهها مليئاً بالوقار والمعاناة.

وفي الخارج كان بيميلز يصنع الاعاجيب والمعجزات باستخدام عضلاته في صبر وجلد وثبات وعزم. وقد اتلف الطين حذاءه الاكسفورد ذا اللونين. وربما أتلف هو حذاءه متعمدا. وكانت هناك طبقة من الطين

فوق بنطلونه البني الكاكاوي. لقد اتلف ملابسه الجميلة إتلافا شديدا. ودفع بيميلز بجاروفه في الأرض وراح يحفر لأسفل خلف العجلات وتحت الجوانب ويلقي بالطين إلى الخارج ونزل على ركبتيه في الوحل لكي يستخدم يديه وكانت عيناه الذئبيتان تلمعان بسبب المجهود وندف العرق فوق جبينه. وراح يرقب جوان بنظرة جانبية. لقد نسي جوان. نسي في الوقت الذي كان فيه بيميلز في أشد الحاجة إليه أكثر من أي وقت مضى. وكان بيميلز يضرب بجاروفه في الأرض ضربات قوية مليئة بالحماس.

وأخذ أرنست هورتون معولا وعبر الحفرة وراح يلتفظ الأعشاب والجذور وأعالي التربة ويزيحها بعيداً إلى أن وجد ما كان يريده الا وهي قطع الاحجار المتكسرة الناجمة عن الانهيار القديم الذي أصاب التل. فرفع تلك الاحجار وكومها على العشب بجانب الحفر.

وجاءت كاميل إليه وقالت له «سأساعدك في نقل بعض هذه الاحجار إلى مكان الأتوبيس».

فقال لها أرنست «سيؤدي ذلك إلى اتساخك تماماً»، فقالت «لن أصبح أكثر اتساخا مما انا عليه الآن».

ووضع أرنست رأس المعول على الأرض وقال «ألن ترغبي في أعطائي رقم تليفونك؟ انني أرغب في الخروج للنزهة سوية».

فقالت كاميل «لقد قلت لك الحقيقة. فأنا لا أسكن في أي مكان الآن. وبالتالي ليس لي رقم تليفون».

وقال أرنست «أفعلي ما بدالك».

«لا. أنا أقول لك الصدق. أين تقيم انت؟».

فقال أرنست «هوليوود ـ بلازا».

«حسناً. إنك إذا تواجدت في الردهة حوالي الساعة السابعة بعد غد فلربما أجيء لك في ذلك الموعد».

وقال أرنست «هذا كلام جميل. وسوف أخذك إلى مطعم (ماسو فرانك) لنتناول طعام العشاء».

فقالت «إنني لم أقل انني سأجيئ. ولكن قلت انني ربما اجيئ فلست أعرف الحالة الصحية التي سأكون عليها. فإذا لم أظهر أمامك في الموعد المحدد فلا تلق بساعتك على الأرض. فأنا مرهقة لدرجة انني لا أستطيع التفكير في أي شيء».

«هذا كلام جميل. سأظل ملاصقا ذلك المكان وسانتظرك حتى السابعة والنصف».

وقالت كاميل «أنت شاب لطيف».

وقال أرنست «لست سوى مصاص آخر» واستطرد «لا تأخذي تلك الاحجار الكبيرة. فتلك سأحضرها. عليك فقط بأخذ الاحجار الصغيرة».

فالتقطت قطعة من الصخور في كل يد وسارت نحو الأتوبيس.

وذهب جوان إلى السور القديم واقتلع الأعمدة من الأرض. اقتلع ثمانية منها بالتبادل وذلك لكي لا تسقط الأسلاك الشائكة على الأرض. وحمل الأعمدة إلى مكان الأتوبيس ثم عاد ثانية ليحمل المزيد منها.

وكان الشفق الأحمر الوردي قد أخذ يتحول إلى لون أحمر شاحب. واستقر فوق الوادي غسق يميل للظلمة. وثبت جوان رافعته على عامود وتحت حافة إطار العجلة ثم رفع أحد جوانب الأتوبيس وعندما ارتفعت العجلة راح بيميلز يملأ الحفرة الموجودة تحت الاطارات بقطع الصخور.

وأمسك جوان مسكة قوية أخرى ورفع مرة ثانية فارتفع تدريجيا أحد

جوانب الأتوبيس من الوحل وحرك جوان رافعته إلى الجانب الآخر ورفع العجلة الأخرى.

وكانت كاميل ونورما تحملان قطع الصخور لملأ الحفر بها بينما راح أرنست يضرب في الأرض لاستخراج المزيد من قطع الصخور.

وتساءلت ميلدريد «وما الذي يمكنني أن أفعله؟» فقال لها جوان «امسكى بهذا العامود في ثبات إلى أن أحضر عتلة أخرى» وكان يعمل في سباق وحشي مع الظلام الزاحف. وكانت جبهته تلمع بالعرق. وجمع بيميلز قطع الصخور تحت العجلات وهو راكع على ركبتيه في الوحل فأرتفع الجانب الآخر للأتوبيس عن الوحل.

وقال جوان «فلنرفعه لمسافة أعلى من ذلك حتى لا نضطر إلى تكرار هذا العمل. ويهمني ان توضع هذه الأعمدة تحت العجلات».

وما إن انتهوا من مهمتهم حتى كاد الظلام يخيم عليهم. «وعلى كل فرد أن يقوم بدفع الأتوبيس عندما أبداً. فلو أمكننا فقط التقدم لمسافة ثلاثة أقدام سنصبح على ما يرام».

وتساءل بيميلز «وما هي حالة الطريق أمامنا؟».

«يبدو أنه على ما يرام. يا إلهي. لقد أتلفت ملابسك إلى حد بعيد».

وكان وجه بيميلز مريضاً بخيبة الأمل. وقال «المسألة لم تصل إلى شيء. وما فائدة الملابس؟» وكانت نغمة صوته بائسة للغاية حتى ان جوان اضطر لأن يحملق فيه من خلال الظلام المهيمن نسبيا على المكان. وابتسم جوان ابتسامة مذمومة أدت إلى رفع شفتيه: «سيكون عليك الاهتمام بهذا الجزء الخلفي هذا يا كيت أثناء قيامي بالقيادة. أجعلهم يلقون بثقلهم على الأتوبيس عندما أتحرك به للأمام، وأنت تعرف الطريقة. عليك بالاهتمام هنا في الخلف يا كيت».

فألقى بيميلز بجاروفه وصاح «هيا. أقبلوا. أدفعوا الأتوبيس. سأتولي انا الجانب الأيمن. الفتيات يشتركن أيضاً في الدفع. على كل شخص ان يشارك في دفع الأتوبيس» ورتب أفراد شعبه خلف الأتوبيس. ونظر في نهم وجوع واشتهاء للحظات إلى المدام برتشارد الجالسة داخل الأتوبيس وقال «أظن انها ستعرقل عملية الدفع».

وتسلق جوان صاعدا إلى الأتوبيس. وقال للمستر برتشارد «اخرج لتساعد في دفع الأتوبيس».

ودار الموتور بسهولة بالقدر الكافي. وجعل جوان الموتور يدور لبعض الوقت ثم نقله إلى السرعة البطيئة ثم طرق مرتين على جانب الأتوبيس وسمع بيميلز يرد عليه بأن طرق مرتين على حائط الأتوبيس الخلفية. ثم زاد جوان من سرعة موتوره قليلاً وعشق الدبرياش فدارت العجلات وانزلقت وزأرت ودارت وتهادى الأتوبيس «حبيبة القلب» في بطء وتثاقل فوق الصخور وتسلق صاعدا فوق الطريق. وجذب جوان الأتوبيس خارجاً به من الوحل فوق الطريق ثم استخدم فرامل اليد لايقاف الأتوبيس. ونهض ونظر من الباب إلى الخارج.

«عليك فقط بتجميع الآلات هنا على أرضية الأتوبيس. هيا بنا. فلنبدأ في الرحيل».

وأضاء كشافاته. فانتشر الضوء فوق الطريق المليئ بالحصى وإلى مسافة تصل إلى قمة التل الصغير.

الفصل الثاني والعشرون

وسار جوان بالأتوبيس في بطء شديد فوق التل وهبط به على الطريق المليئ بالحصى المبلل بالماء والذي يمر إلى جوار المنزل المهجور. وعندما استدار بأتوبيسه سقطت أضواؤه الامامية فوق المنزل الذي لا عيون له وفوق طاحونة الهواء المكسورة وعلى الإسطبل وكان الليل حالك السواد إلا أن نسمات جديدة هبت حاملة معها رائحة التلقيح المنبعثة من الأعشاب ورائحة الترمس الطيبة المعطرة وشقت المصابيح الامامية الظلام على الطريق. وطارت بومة في ومضة سريعة داخلة إلى مساحة الضوء ثم خارجة منها. وإلى الأمام بعيداً على الطريق نظر أرنب عابر للطريق إلى الاضواء حتى ان عيناه توهجتا في احمرار ثم قفز بعيداً عن الطريق إلى داخل الحفرة.

وأبقى جوان الأتوبيس على السرعة الثانية وتفادى بعجلاته جرة العجلات القديمة المقعرة المليئة بالمياه. وكان الأتوبيس من الداخل مظلما فيما عدا الاضاءات الصغيرة الجانبية وسمح جوان لعينه بالقاء نظرة سريعة خاطفة على العذراء. وقال في ذهنه «سأطلب منك الآن شيئاً واحد فقط. لقد تخليت عن المطلب الأول. ولكنه سيكون لطيفا منك إذا استطعت ان تجعليها مخمورة عندما أعود إليها».

ولم تعد المدام برتشارد صارمة ووقورة. كان رأسها يتمايل مع حركة الأتوبيس وكانت تحلم. وكانت مرتدية. مرتدية ماذا؟ ما الذي سترتديه؟

شيء خفيف. ربما تكون ملابس بيض خفيفة. وكانت مصطحبة ايلين في جولة في بيت الاركاديا الصغير الخاص بها.

وسألت أيلين «أتعجبين من السبب الذي جعلني احتفظ بقليل من أنواع الاركاديا القرمزية؟». «حسناً. ان كل شخص له أقارب ممن يعجبون بالانواع القرمزية. وحتى أنت يا أيلين. وأنت تعرفين ذلك. ولكن انظري إلى هنا. ها هي الأنواع البنية الجميلة والأنواع الخضر المحببة للنفس. لقد طلبت إلى اليوت شراء هذه الاصناف من البرازيل. وهي مستجلبة على مسافة ألف ميل في عمق الأمازون».

وفوق أرضية الأتوبيس كان المعول يصطك بالجاروف محدثا أصوات حادة متقطعة.

وانحنى بيميلز بالقرب من إذن جوان «باستطاعتي قيادة الأتوبيس نيابة عنك يا مستر شيكوي. فأنت في غاية الإرهاق. سأقود انا إذا كنت ترغب في ذلك».

«لا. شكراً لك يا كيت. فأنت قد بذلت من الجهد ما فيه الكفاية».

«ولكنني لا أشعر بالتعب».

فقال جوان «كل شيء على ما يرام».

وكان باستطاعة ميلدريد رؤية المنظر الجانبي لوجه جوان في مواجهة الطريق المضاء.

«ترى كم سينقضي من الوقت قبل أن أشهد مرة أخرى يوماً كهذا اليوم الذي انقضى. يوم مثل سبيكة من روح النعناع. انني سأعيش على ذكرى هذا اليوم إلى أن أتمكن من ان أحيا يوماً آخر جميلا على غراره».

ومن خلال هدير وضجيج الأتوبيس استمع المستر برتشارد لانفاس فان برانت. واستطاع فقط ان يرى بصعوبة وجه فان برانت الملاصق

للمقعد. واكتشف في نفسه انه قد كره هذا الرجل لأنه كان يلفظ انفاسه الأخيرة. وتأمل كراهيته للرجل في دهشة. وأحس ان باستطاعته ان يخنق هذا الرجل بسهولة ويخلصه مما هو فيه. وصاح في داخله «أي نوع من الرجال أكون؟ وما الذي يجعل هذه الأمور المريعة تعتمل في داخلي؟ انا بصدد التعرض للخبل والجنون؟ ربما يكون السبب هو انني بذلت جهودا شاقة للغاية في العمل. ولربما يكون هذا بمثابة تمهيد لانهيار عصبي».

وانحنى عن كثب لكي يتأكد من ان انفاس الرجل المريض لم تتوقف. من المحتم ان تكون هناك كدمة رديئة في سقف فمه في المكان الذي انحشرت عليه العصا الصغيرة. ثم سمع حركة قليلة وأدرك ان أرنست هورتون قد عاد وجلس في المقعد التالي.

«أتحب ان أقوم برعايته بدلاً منك؟».

فقال المستر برتشارد «لا، أظن ان كل شيء على ما يرام» واستطرد «ما هو المرض الذي يعاني منه فيما تظن؟».

فقال أرنست «إنها صدمة عصبية»، واستطرد «إنني لم أهدف إلى إثارة غضبك اليوم. لقد كنت فقط عصبي المزاج».

وقال المستر برتشارد «إنه مجرد يوم من تلك الأيام. ان الأمور عندما تسير بشكل سيء بعض الشيء فإن زوجتي تقول (ستتحسن الأمور في وقت ما)».

وقال أرنست: «حسناً، تلك طريقة مناسبة للنظر إلى الأمور إذا استطاع الإنسان تطبيقها. إنني سأكون في هوليوود ـ بلازا إذا أردت الاتصال بي أو جرب تلك الشقة في إحدى الليالي في العنوان الذي أعطيته لك».

فقال المستر برتشارد: «إنني أخشى ان أكون مرتبطا بالأعمال طوال الوقت. وإذا كنت ترغب في إلقاء نظرة على المصنع في وقت ما فإننا قد نقوم ببعض الأعمال». وقال أرنست: «ربما نستطيع ذلك».

وكانت نورما جالسة آنئذٍ بجوار النافذة وعلى جوارها على المقعد كانت تجلس كاميل. وأسندت نورما مرفقها فوق قاعدة النافذة ونظرت إلى الخارج نحو الظلام المرفرف المرتعد. وكان هناك شريط غير من اللون الفاتح حول الحافة المحيطة بسحابة سوداء هائلة فوق الجبال الغربية. وما ان ارتفعت السحابة حتى سطعت نجمة المساء صافية ومغسولة وثابتة.

«ضوء النجمة، النجمة الساطعة».

«أول نجمة أراها الليلة».

«أتمنى لو استطعت تحقيق الرغبة التي تطلعت إليها الليلة».

فأدارت كاميل رأسها بينما النوم يداعب جفونها وتساءلت: «ماذا قلت؟».

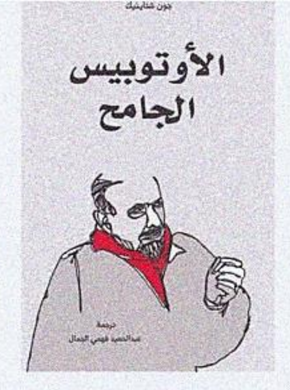
وظلت نورما صامتة للحظة. ثم تساءلت في رقة وعذوبة «سنرى كيف تسير الأمور؟».

فقالت كاميل «نعم، سنرى كيف تسير الأمور».

وإلى الأمام بعيداً، ونحو اليسار قليلاً ظهرت للعيان عناقيد من الأضواء ـ أضواء صغيرة تتغامز على المسافة ضائعة وهائمة ووحيدة في الليل ونائية وباردة ومتغامزة ومكبلة في خيوط من الأغلال والسلاسل.

فنظر جوان إليهم وصاح قائلاً: «تلك هي سان جوان أمامنا هنالك».

الفهرس



حسناً، أيها الناس، أظن أنكم ستضطرون فقط للإنتظار، انني آسف، ولا تنسوا أنكم جميعا أردتم أن تسلكوا هذا الطريق.